جـــامعـــة الجـــزائـــر

كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية

قســـم التـــاريـــخ

تطور مفهوم الخلافة بالمغرب الإسلامي منذ تأسيس الخلافة الفاطمية حتى نهاية الدولة المرينية (297هـ - 875هـ /909م -1470م)

رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالبة :

✓ حورية مدني

تحت إشراف الأستاذ الدكتور

صالح بن قربة

السنة الجامعية 2002/2001

الإهـــداء

- إلى إخوتي بالعراق و فلسطين
- إلى كل من ساعدني على إتمام هذه الرسالة، صديقتي صفية
- ديبة، تقرين حورية، مطاري فتيحة
- إلى الأخوة علي لكحل، ناصر، وأحمد العاملين بمكتبة المعهد الإسلامي.

أهدي عملي المتواضع

"حورية مدني"

شكر وعرفان

أتقدم بتشكراتي الجزيلة الأستاذ المشرف صالح بن قربة الذي ساعدني ووجهني بملاحظاته القديمة لإتمام رسالتي، فجزاه عني كل خيرا .

المقدمة:

عرفت منطقة المغرب الإسلامي انقلابات وتحركات سياسية وعسكرية مما جعلتها دوما مهدا للصراعات السياسية والمذهبية، ويعد العصر الإسلامي ببلاد المغرب من أهم فترات هذا الصراع الممتدة جذوره من المشرق الإسلامي بعد الفتوحات الإسلامية، وظهر هذا من خلال الإمارات والدول التي أسست إثر الخلاف الناشب بين المسلمين بالمشرق حول السلطة، فنتج عنها تنظيمات سياسية وعسكرية وإدارية صارت شكلا من أشكال النزاعات الحادة بسبب اختلاف المفاهيم والرغبة في التسلط والاستغلال، وكان دافعا لإستيلاء بعض الزعماء على الحكم بالقوة وتأسيس إمارات مستقلة عن المركزية الإسلامية بالمشرق.

وقد شدتني ظاهرة المفاهيم واختلافها بين المشرق والمغرب في نظم الحكم ومؤسساته ودفعتني إلى الاهتمام بهذا الجانب منذ ظهور الفاطميين إلى سقوط المرينيين أي من القرن الثالث الهجري إلى الثاني عشر الهجري.

ذلك إن هذا الاختلاف ولّد صراعا حادا أدى إلى ظهور تيارات سياسية مذهبية بمنطقة المغرب الإسلامي لفترات طويلة.

إشكالية الموضوع :

إن موضوع هذا البحث ينطلق من التساؤلات التالية :

أبدأ تساؤلاتي حول هذا الموضوع، هل كانت الدعوة الإسلامية سياسية أكثر منها دينية حضارية أم العكس ؟ لماذا نشب الخلاف بين آل محمد صلى الله عليه وسلم مع أقرب الناس بعد وفاته؟ لماذا اختلف في المفهوم الأساسي للدولة الإسلامية والمتمثل في"الخلافة" بين المسلمين، باعتبار أن هذا الدين الجديد هو رحمة ومودة بين مختلف الأجناس؟ هل هذا الصراع هو وليد هذه الحضارة الإسلامية الإنسانية العالمية التي امتزجت وتزاوجت فيها الشعوب والقبائل كما جاء في القرآن الكريم التي ساهمت إلى حد كبير في بلورة هذه التيارات المذهبية بعدما جعل الأمويون من هذا النظام نظاما وراثيا في كل من المشرق والمغرب والأندلس؟ لم طغى أصحاب مذهب المضطهدين المدعيين دائما بحقهم في الخلافة وزعامة العالم الإسلامي بعد استقرارهم بالمغرب الإسلامي فرارا من المركزية الإسلامية ؟.

هن نقاط التناقض والتشابه التي استخلصناها من دراستي لهذا الموضوع، أعطت الصورة الحقيقية لطبيعة النزاع الذي دام قرونا طويلة أهلكت فيه قبائل كثيرة بربرية استعملت لبناء هذه الهياكل السياسية؟

وكيف يمكن أن نفسر الدوافع الحقيقية التي أوجدها هؤلاء الزعماء لإنشاء وتأسيس هذه الإمارات والدول التي سادتها فترات من الاستقرار الممهد لتطور نظم الحكم ومؤسساته (من خلافي إلى إميري إلى سلطاوي إلى ملكي) وتطبيع السياسة الدينية والحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية ببلاد المغرب الإسلامي؟

دراسة في أهم المصادر والمراجع:

اعتمدت في دراستي لهذا الموضوع على أهم المصادر والمراجع التي تناولت موضوع نظام الحكم بهذه الدول الستة، من الفاطمية والمرابطية والموحدية والحفصية والزيانية والمرينية التي عرفها بلاد المغرب الإسلامي، وأهم المصادر في صورة موجزة، بعد تصنيفي لها إلى ثلاثة أصناف :

1/1 الكتب الدينية :

1- القرآن الكريم.

2-"تاريخ الخلفاء" للسيوطي، يعد من المصادر الهامة في تاريخ الخلفاء، إذ عالج مشكلة الخلافة عند المسلمين، وأبرز أهم الشروط الواجب توفرها في الخليفة، لخص مواقف المسلمين منها في ثلاثة آراء واتجاهات محاولا تفسير موضع كل واحد منها من هذه المسألة.

3-"الأحكام السلطانية" لأبي يعلى الذي حاول إعطاء الشروط اللازم توفرها في الشخص الذي يقود أمة الإسلام، مشيرا إلى ضرورة العمل على ما نصت عليه الشريعة الإسلامية.

4-"أدب الدنيا والدين" للماوردي الذي حققه وعلق عليه مصطفى الساقا، الطبعة الثالثة 1955، أبرز أن هذه الصفات، البر والمصاهرة والأخلاق تعد مصدر كل عمل خير للرعية وحمايتها.

5-" الفرق بين الفرق" للبغدادي، تحقيق محي الدين عبد الحميد، طبعة القاهرة 1991، اعتمدت عليه في معالجة موضوع الخلافة. إذ أورد على أهم نقاط النزاع بين الفرق الإسلامية السنية منها والشيعية وغيرهما، وآراء هؤلاء في دعم النشاط الفكري لهذه المسألة، فكثر الجدال حولها مما أدى إلى بروز تناقضات أخرى أثرت العالم الإسلامي بأفكار لم يعهدها.

6-" مآثر الأناقة في معالم الخلافة " من تحقيق عبد الستار أحمد فراج، طبعة بيروت، دون تاريخ للقلقشندي الذي تناول تاريخ الدول الإسلامية، بشكل مختصر، وفيه عرض لأوضاع الخلافة الإسلامية ومصطلحاتها ومعانيها، كما أشار إلى الخلافة في ميزان الفرق والأحزاب، حيث استفدت من هذا الكتاب في استعراض ظروف ظهور الخلافات بالمغرب الإسلامي ابتداء من العصر الفاطمي.

كما استفدت من كتابه المسمى " صبح الأعشى في صناعة الإنشا " والمسمى بديوان الإنشاء من عرض وتحليل عبد اللطيف حمزة، طبعة القاهرة 1962. ففيه عرّف بمهمات الإمام والخليفة والوزير، والحاجب والكاتب، وديوان الرسائل وكل ماله علاقة بالمؤسسات التي أوجدتها النظم الإسلامية منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى عهد المؤرخ.

1/2 كتب التاريخ السياسي:

جمعت أهم مصادر التاريخ السياسي لهذه الدول الإسلامية المغربية ورتبتها كالآتي :

1- " المقدمة" لإبن خلدون والمحقق عبد الواحد وافي، طبعة 1992. وقد عرفت من خلالها مفهوم الخلافة، وولاية العهد والبيعة، التي عالجها إبن خلدون بدقة وبطريقة علمية، ساعدني على فهم هذا الموضوع ومعالجته ما تضمنه الكتاب من معلومات قيمة حول نظرة المسلمين للخلافة على مختلف مذاهبهم وفرقهم.

2- " كتاب العبر ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر " لإبن خلدون الأجزاء 2، 4، 6، 7، للمحقق عبد الواحد وافي، طبعة 1992، احتوت على بدايات هذه الدول وأوضاعها السياسية، وسياستها الداخلية والخارجية، وطبيعة العلاقات التي كانت تجمع هذه الدول فيما بينها حسب فتراتهم.

3-كتاب " المجالس والمسايرات" في تاريخ الإسماعيلية للقاضي النعمان، والمحقق إبراهيم شيوح الحبيب الفقي محمد اليعلاوي، طبعة تونس 1978، فيه أهم الأحداث التي عاشتها الدولة الشيعية، وأهم المناظرات التي دارت بين العلماء في مجالس الخلفاء الفاطميين، ومنهم المعز الفاطمي.

مكنتنا هذه المعلومات التاريخية من التدقيق في بعض الحقائق، كنسب الفاطميين، وما ألصق بهم، من خلال التبريرات التي ذكرها المعز الفاطمي وسجلها كاتبه القاضي النعمان.

4-كتاب المقريزي" اتعاظ الحنفا" أخبار الأئمة الفاطميين للمحقق جمال الدين الشيال، طبعة مصر، أشار فيه إلى الخلفاء الفاطميين الأوائل بالمغرب الإسلامي، عبد الله المهدي، والقائم بأمر الله، والمنصور، والمعز، وتأسيس مدينة المهدية، وأسباب تأسيسها، بالإضافة إلى انتقال الخلافة الفاطمية من المغرب الإسلامي إلى المشرق وبالضبط إلى مصر، وتأسيس جوهر الصقيلي كل من جامع الأزهر، والقاهرة قبل انتقال المعز إليها بسنة.

5-"تاريخ المن بالإمامة" جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين على المستضعفين لابن صاحب الصلاة، تحقيق عبد الهادي التازي، طبعة بيروت 1964م، مصدر قيم لما يحتوي معلومات عن الدولة الموحدية من مختلف جوانبها، السياسية والعلمية، فصاحب الكتاب يشير إلى النظام الطبقي والذي تقوم عليه سياسة الدولة الموحدية، فكل طبقة كلفت بمهام معينة، فالطلبة والحفاظ مهمتهما الدعاية ونشر تعاليم المهدي، وتدريس كتبه " الموطأ" و"المرشدة" وتولي مناصب هامة في الولايات والأقاليم التي يتم فتحها، زيادة على دورهما في التشجيع على الجهاد ضد النصارى وغير ذلك.

7-المعجب في تلخيص أخبار المغرب، لمحي الدين أبي محمد عبد الواحد بن علي المراكشي.

يعتبر هذا المصدر هام بالنسبة في التأريخ للدولة الموحدية، رغم ما فيه من أسلوب السرد والمبالغة في الحوادث المفتقرة إلى السنوات، إلا أنني استخلاصت منه معلومات تاريخية قيمة، كتحامل الموحدين على المرابطين قصد تشويههم، ومواقف هؤلاء من الداعية الجديد محمد بن تومرت، وموقف الموحدين من علم الفروع الذي كان سائدا بالدولة المرابطية ومسيطرا على الدراسات الفقهية، و تدخل النساء في الحكم وانتشار البذخ وتخلي الأمراء عن رعاية الرعية وغيرها تسبب في سقوط الدولة المرابطية.

وعموما هذا الكتاب من أفضل الكتب إذ يعد عمدة في كتابة تاريخ الدولة الموحدية لمعاصرة معظم أحداثها.

8-"تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية" للزركشي احتوى معلومات تخص المهدي بن تومرت وكيفية توليه إمامة الموحدين، ودور بني حفص في ذلك وبالخصوص أبي زكريا الذي كان يأتمن له المهدي ويعد من أصحابه العشرة الأوائل الذين قامت عليها المشيخة الموحدية.

9-" نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان" لأبي علي حسين بن علي بن القطان، شمل هذا الكتاب على تاريخ المغرب والأندلس من الفتح حتى عصر المؤلف في أواخر الدولة الموحدية.

وهذا الكتاب الذي قام حققه ونشره الدكتور محمود علي مكي ابتداء من سنة 633هـ، أحتوى هذا على الجزء على أحداث شاهدها الدولة الموحدية منذ بدايتها، في عهد ابن تومرت وخليفته عبد المؤمن بن علي وخاصة فيما يتعلق بتنظيم ابن تومرت لأصحابه، والأخبار الأولى للصراع العسكري بين الموحدين والمرابطين.

10-"البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" لابن عذاري المراكشي، احتوت أجزاؤه معلومات قيمة وهامة عن التاريخ السياسي للمغرب وأفريقية من الفتح حتى بداية الدولة المرابطية، وتاريخ الأندلس من الفتح حتى نهاية عصر المرابطين واشتمل الجزء الثالث الخاص بالموحدين على الارتباط السياسي بين الأندلس والمغرب في عصري المرابطين والموحدين، بالإضافة إلى الجزئين الأخرين.

11-" الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية" لإبن القنفد القسنطيني، يعد مصدرا هاما لتاريخ الدولة الحفصية، وضمن معلومات هامة حول الأوضاع الداخلية لبني حفص الذين انقسموا إلى ناحيتين شرقية، وغربية سنة 683هـ/1187م، والعودة إلى الوحدة ومرحلة الانتعاش وغيرها من هذه الأحداث التي عرفتها بلاد تونس.

12-" روضة النسرين بني مرين" لإبن الأحمر تضمن أغلب أمراء الدولة المرينية وفترات حكمهم، وسنة توليتهم، وصراعاتهم حول العرش، ثم أشار إلى ملوك بني مرين التلمسانيين، بدأ بيغمراسن.

إن تلك الأحداث لم يدقق فيها ابن الأحمر على الأحداث الهامة التي عاشتها هذه الدولة، بل اكتفى بذكر بعض الأحداث التي عاشها هؤلاء الأمراء دون تفصيل واسع.

13-"بغية الرواد في تاريخ ملوك بني عبد الواد"، ليحيى بن خلدون تحقيق عبد الحميد حاجيلت، طبعة 1980م، وفيه حديث قيم عن تأسيس الدولة الزيانية بتلمسان، ومراحلها ودور ملوكها في بقائها دولة موازية للدولتين، الحفصية والمرينية وجعل تلمسان قبلة للعلم والعلماء، مضاهية فاس ومراكش بالمغربين الأدنى والأقصى.

14-"مقتطف من كتاب ذرو العقيان" في بيان شرف بني زيان، تحقيق وتعليق محمود بوعيـــاد، طبعة 1985، لمحمد التنسي، صوّر لنا جانبا من الجوانب السياسية لدولة بني زيـــان وملوكـــها، وطبيعة العلاقات التي كانت تربط بين البيت المالكي وأعوانه، دون تقديم تفاصيل دقيقة عـــن الصراع القائم على العرش، أو طبيعة نظام الحكم، ما عدا أنه وراثي سلالي أسري (بني زيان ثم بني عبد الواد، ثم بني زيان من جديد).

1/3- وفيما يتعلق بالمراجع الحديثة بالعربية والفرنسية اعتمدت على نوعين: النوع الأول الخاص بتاريخ الدول الإسلامية التي ظهرت بالمغرب الإسلامي مثل المؤلف عبد العزيز سالم، ومحمـــد عبد الله عنان، وأحمد بدر، وعبد المنعم سالم، وحسين مؤنس، ولقبال موسى، وصالح بن قربـة، وعبد الرحمان الجيلالي، وحسن عبد الوهاب الحسيني، ومحمد الهادي العروســـي، ومصطفـــى بنسباع، وعبد الهادي الحسيسن، ومحمد الدشراوي، وعز الدين عمر موسى وغيرهم.

أما النوع الثاني، فعام ككتابات، علي عبد الرزاق، وحسين الخربوطلـــي، وصبحـــي عطوان، ورشيد بورويبة، ودهينة عطاء الله.

أما عن المراجع الأجنبية والمعربة،فاعتمدت على كتابات، ليفي بروفنسال، وســـوردال جورج، وخربوبي أحمد، بالإضافة إلى مقالات الدوريات وأعمال الملتقيات التي ناقشت هـــذا الموضوع، ومنها مجلة الأصالة، ومجلة المعالم، ومجلة الحضارة الإسلامية، زيادة علـــى القواميـــس والدوائر والمعاجم التي استعنت بها لشرح مصطلحات ومواقع المسهمة في تأسيس هذه الدول.

إن نقدي للمراجع العربية والمعربة والفرنسية، على رأسها النوع الخاص كتلك المهتمة بتاريخ الدول الإسلامية التي ظهرت بالمغرب الإسلامي أذكر منها كتاب لمحمد عبد الله عنان تحت عنوان "عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس وهو العصر الثالث لكتاب دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى" طبعة القاهرة 1964. أفادني في انتقاء معلومات هامة عن عصر الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن وأهم الأحداث التي عاصرت هذه الشخصية كحركة الجهاد بالأندلس وسقوط مملكة الشرق، ثم عصر يعقوب بن المنصور حتى معركة العقاب وأوضاع إفريقية والأندلس ودور هذه الشخصية في الحياة الفكرية الموحدية ونتائجها على الغرب الإسلامي بالجملة.

أما كتاب الأستاذ الدكتور لقبال موسى المعنون " دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري 11 ميلادي " طبعة الجزائر 1979 فأبرز فيه دور الكتاميين في إرساء الأسس الأولى للخلافة الشيعية الفاطمية بالمغرب الإسلامي ابتداء من مرحلة الدعوة والتكوين حتى انتقالهم إلى مصر ثم يأتي مرجع محمد الدشراوي وعنوانه الخلافة المغربية الفاطمية 297هـ -365هـ/909م-975م" التاريخ السياسي والمؤسسات نقله إلى العربية حمايدي الساحلي طبعة بيروت 1994. وقد احتوى هذا الكتاب على النقاط الأساسية التي قامت عليها الخلافة الفاطمية بالمغرب مؤكدا على الألقاب الخلافية التي اتخذها الفاطميون قصد منافسة الخلافة السنية العباسية بالمشرق وشارات الملك ومراتبها.

أما عن كتاب إبراهيم حركات الذي يحمل عنوان" النظام السياسي والحربي لدولة المرابطين طبعة دار البيضاء بدون تاريخ، أشار فيه إلى النظام السياسي المرابطي ومميزاته، كبيعة أمير المسلمين ونائب أمير المسلمين في المقاطعات التابعة للدولة المرابطية كاللأندلس.

في حين عالج المؤلف عصمت دندش عبد اللطيف في كتابه" الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني 510هـ-546هـ/1150م-1176م تاريخ سياسي وحضاري، طبعة بيروت 1988 الدور الحضاري الذي لعبه كل من المرابطين والموحدين في إبقاء الأندلس لقرون أخرى بأيدي المسلمين وحفاظهما على المعالم الإسلامية هناك، بالإضافة إلى التنظيم السياسي الذي أوجده المرابطون الذي تختاره الحاشية السياسية.

أضيف إلى هذه المراجع كذلك كتاب الأستاذ الدكتور صالح بن قربة الذي يحمل عنوان المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد" طبعة الجزائر 1986

ساعدني في توضيح شعارات كل من الدولة الفاطمية والمرابطية الشيعية والسنية التي سخرت في خدمة السياسة والإديولوجية الجديدة اللتين انتهجهما الدولتين بالمغرب الإسلامي.

أما المرجع الثاني الذي اعتمدت عليه في دراستي وبحثي لليفي بروفنسيال المعنون Extraits des historiens arabes du maroc طبعة باريس 1923، أمدني بمعارف جيدة حول نسب المرابطين وشخصية يوسف بن تاشفين وتأسيسه لمدينة مراكش، وظهور الموحدين بداء بابن تومرت، وعبد المؤمن بن علي، ومعركة دلروكس، وتاريخ مدينتي سالة والرباط، ثم انتقل إلى المرينيين مشيرا على انتصاراتهم الأولى وتأسيس مدينة فاس جديدة ودور السياسي والحضاري للسلطان أبي عنان في الدولة المرينية وإنشاء جامع القرويين بالمغرب الأقصى.

وأما كتاب دومينيك وجنين سوردال الذي يحمل عنوان La civilisation de l'islam classique طبعة باريس 1983 فاحتوى على معلومات تاريخية حضارية هامة جدا بخصوص نسب المرابطين ومعيشتهم بالرباط ودور الزعيم الروحي عبد الله ابن ياسين، وموقعة زلاقة 1086 التي انتصر فيها أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين وبعدها قدم معلومات تاريخية عن الموحدين الذين نادوا بتوحيد مجالسهم العشرة والخمسين، وعبد المؤمن ابن علي....

وأشير كذلك هنا إلى مرجع أحمد الخربوبي الذي يحمل عنوان Les premiers merinides : Histoire et sociale باريس 1989 فقد خدمني في غربلة المعلومات الخاصة بالنظام السياسي لهذه الدولة التي برزت كخلافة سنية موازية للدولة الحفصية، وأن مؤسساتها ونظمها لم تكن تختلف عن جارتيها الدولة الزيانية والحفصية.

بينما النوع الثاني من المراجع، فعام، استقيت منها معلومات حول تحليل مفهوم الحكم عند المسلمين (مفهوم الخلافة) وكذلك إبراز أصوله باعتبار أن الخلافة مفهوم سياسي جديد لم تعرفه البشرية من قبل، سواء في الغرب أو الشرق. وقد تناول رضوان السيد في كتابه " الأمة والجماعـــة والسلطة، دراسات في الفكر السياسي العربي الإسلامي، طبعة بيروت 1984 راح يصـــف مفهـــوم الخلافة في الدولة الإسلامية كدولة المرابطين ووصف حكامها بعدم معرفتهم بأصول الحكم إلا أنهم تمسكوا به وجعلوه حكما وراثيا ونظاما وسلطة. رغم أنه أشاد بدورهم الحضـــاري في انتشار الإسلام بالمناطق الإفريقية المدارية والتصدي للذين تكالبوا على الأراضي العربية بالأندلس.

خطـــة البـحـث:

ضمنت هذا البحث مقدمة وتمهيدا وستة فصول وخاتمة وأردفت ذلك مبلاحـق. أمـا التمهيد فقد عالجت في مستهله موضوع الخلافة مبينة مفهومها العام، ثم مفهومها عند السـنيين والشيعة والخوارج، ومواقف وآراء كل هذه المذاهب فيها، ثم نتائج المرتبة عن هذه الإختلافـات على العالم الإسلامي بأكمله مشرقه ومغربه، وما أنتجته من تأثيرات مـن الناحيـة العلميـة والفكرية والاجتماعية في المجتمع الإسلامي وموقفه من هذا المجتمع. المعاشة آنذاك مـن جـراء الصراعات الناشبة بسبب التناقضات الدينية المذهبية التي ظهرت حول الخصـائص الجوهريـة للخلافة الإسلامية بين النظرية السنية والنظرية الشيعية وأثرهما على نظام الحكـم في الدولـة الإسلامية باعتباره نظام حكم جديد لم تعرفه البشرية قط، إلا أنهم اتفقوا على وجوب وجـود شخص على رأس المجتمع، للتكفل بتنظيم ورعاية مصالحه في الدنيا والآخرة، والسـهر علـى وحدة الأمة، وحفظ النظام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتطبيق شريعة الله على رعيتـه، والحكم بين الناس طبقا لما نصّ عليه الدين الحنيف.

وقد ضمنت الفصل الأول عن قيام الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي معرفة بدور عبيد الله الشيعي (حجة) في هذه الدولة والطرق التي سلكها هو وأتباعه من كتامة القبائل البربريـة القوية التي بني عليها مجد الخلافة الفاطمية بالمغرب وفي المشرق فيما بعد. كما أبرزت مفـهوم الخلافة عند الخلفاء الأربعة، عبد الله المهدي، والقائم بأمر الله، المنصور، والمعز لدين الله، مـن خلال الدورين : الدور المهدي أو المهدوي، ويعد دور التأسيس حيث كانت السلطة الروحيـة والدينية بيد الزعيم الروحي عبد الله المهدي.

واتصفت هذه المرحلة كذلك بسيطرة السلطتين الدينية والعسكرية بعدما لقـب هـذا الزعيم بالمهدي المعصوم، لقيادة العالم الإسلامي دون منازع بعد دخوله رقادة سنة 296هـ.

وابتداء من هذه السنة 296 هـ انتقلت الدولة إلى عهد الخلافة وصار عبد الله المـهدي خليفة وإماما وأمير المؤمنين، هذا الذي تلقب به الخلفاء الفاطميون في بلاد المغرب كلـه ثم في مصر بعد انتقالهم إليها في عهد المعز ودمشق وفي الحرمين الشريفين. بالإضافة إلى شارات الملـك التي إتخذها هؤلاء الخلفاء الفاطميون لإبراز قوتهم السياسية والعسكرية في المغرب الإسلامي أولا

ثم بالمشرق وبالضبط بمصر فيما بعد، وكذلك تناولت فيه خصائص هذه الخلافة ونتائجها على المغرب بأسره.

أما الفصل الثاني فأشرت إلى إمارة أو أميرية المرابطين التي تسمىّ مؤسسها بأمير المسلمين، جاعلا من دولته، تابعة للخلافة العباسية، بعدما كان المغرب الإسلامي في عهد الخلافة الفاطمية مستقلا استقلالا كاملا عن الحكومة المركزية بالمشرق. وأشرت فيه إلى قيام الدولة على أساس ديني، كسابقتها، معتمدة على الزعيم الروحي عبد الله بن ياسين، والزعيم العسكري يوسف بن تاشفين الذي وضع الأسس الأولى للدولة المرابطية من منطلق وراثي ملكي، واستقر الحكم ببيت آل تاشفين حتى آخر أمرائها الذين اتخذوا ألقابا رسمية، وضربوا السكة بأسمائهم التي سجلوها في الجهاد ضد النصارى بالأندلس لقرون عدة، ومهدوا للحركة العلمية والفكرية بهذه المنطقة التي تكالب عليها النصارى بعدما تشتت قوة المسلمين نتيجة للصراع المحتدم بين ملوك الطوائف الذين تحالفوا مع الأعداء لضرب إخوانهم، وكما لخصت نتائج هذه الدولة المحاربة على المنطقة رغم زوالها في أعز عنفوانها.

وأما الفصل الثالث فقد عالجت فيه الخلافة الموحدية وقيامها على قبائل بربرية غير كتامية، وهي قبائل مصمودة، استخدمها الداعي المهدي الثاني الذي عرفته منطقة المغرب الإسلامي وهو "محمد بن تومرت" في تأسيس دولته أو خلافته السنية التي تمكن بها من توحيدّ المغرب الإسلامي كله تحت شعار ديني قائم على "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، وذكرت الدور الذي لعبه"محمد بن تومرت" في الأول، كالقضاء على المرابطين بالأسلوب الدعائي الثوري منتهجا سياسة الترهيب والترغيب، وتقسيم المجتمع الموحدي إلى طبقات، بلغ عددها أربعة عشر طبقة بدء بأهل الدار، وأهل الخمسين والسبعين حتى الفرات أي العبيد. ثم المرحلة الثانية، انتقالية، أصبح الحكم أثناءها وراثيا بعد وفاة محمد بن تومرت، واستقر ببيت عبد المؤمن بن علي، الذي طبع دولته بطابع دنيوي رغم احتفاظه بالمذهب التومرتي ومبادئه، من مشيخة الموحدين التي قامت عليها الخلافة الموحدية، وتسميته بأمير المؤمنين جاعلا من خلافة الموحدين الأصدق غير معترف بالخلافة العباسية والخلافة الفاطمية، متخذا الألقاب، كلقب المهدي، والإمام وأمير المؤمنين، لتأكيد سلطتهم بالمغرب الإسلامي وبالأندلس التي دافع عنها الموحدون دفاعا مستميتا للقضاء على أطماع النصارى بها. زيادة على الشارات التي احتوت على طريقة ولاية العهد والبيعة، وأخيرا نتائج هذه الخلافة سياسيا وحضاريا بالمغرب الإسلامي بعدما

استطاع الخلفاء الموحدون بسط سياستهم وأهدافها ببلاد المغرب الإسلامي متحدّين السلطة المركزية بالمشرق أي (مصر) طيلة عهدهم.

في حين كان الفصل الرابع عن قيام الدولة الحفصية، تناولت فيه ظهور الحفصيين، كدولة وارثة للخلافة الموحدية بتعاليمها ومبادئها التي استغنى عنها الخلفاء الموحدون مما أدى إلى سقوط دولتهم.

دون أن أنسى الحديث عن الكيفية التي تم بها تأسيس هذه الدولة، مشيرة إلى شخصية أبي حفص الهنتاتي الذي قامت عليه مشيخة الموحدين، باعتباره شيخ المشايخ وفي أبناء دولة بني حفص الذين أعادوا تأسيس هذه الخلافة بتونس معتمدين على الشخصية العسكرية والسياسية أكثر من اعتمادهم على الشخصية الدينية والروحية، وحيث استطاع صاحبها فرض سيطرته على المغرب الأدنى بأكمله، وفي بعض الأحيان على المغربيين الأخرين اللذين كانا بحوزة كل من الدولة المرينية بالمغرب الأقصى، والزيانية بالمغرب الأوسط. وختمت هذا الفصل بالإشارة إلى الألقاب التي تسمّى بها هؤلاء، وإلى الشارات الملوك الأخرى التي كان يقيمها الخلفاء في مختلف احتفالاتهم ومناسبتهم، ثم ذكرت نقاط التشابه والاختلاف بين الخلافتين الموحدية و الحفصية.

بينما يحتوي الفصل الخامس، مدخلا للدولة الزيانية والصفة التي تم بها إنشاؤها بالمغرب الأوسط، ومراحل تأسيسها المختلفة، وأبرز مؤسيسها كأبي حمو موسى الأول، في المرحلة الأولى، وأبي حمو موسى الثاني الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة الزيانية مرتكزين على القوة العسكرية والحنكة السياسية لإبقاء دولتهما التي طالما سقطت بيد الحفصيين والمرينيين لفترة زمنية، وأنهيت هذا الفصل بخلاصة شملت خصائص تميزت بها هذه الدولة منذ بدايتها حتى نهايتها.

ومسك الختام الفصل السادس تطرقت فيه إلى قيام الدولة المرينية بالمغرب الأقصى، الظاهرة من التقسيم الذي عرفته الخلافة الموحدية بعد فشلها من السيطرة على أرجاء دولتها، فتناولت الأساس الذي قامت عليه الدولة المرينية واتخاذها اللقب الخلافي (أمير المؤمنين) منافسة بذلك الخلافة الحفصية التي اعتبرت نفسها الوريثة الوحيدة للدولة الموحدية ببلاد المغرب، وعرجت على طبيعة العلاقات التي كانت تربط هاتين الدولتين منذ تأسيسهما، والألقاب والكنى التي تسمىّ بها الأمراء المرينيون، وخصائص حكمهم، وما آلت إليهم دولتهم في النهاية، وخلاصة الفصل.

وكانت الخاتمة استعراضا لأبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث المتواضع.

المنهج المتبع:

ارتكزت منهجية هذا البحث على جانبين أساسيين، المنهج الوصفي التحليلي النظري، والتطبيقي التاريخي، معتمدة على دراسة الأحداث كما جاءت في التاريخ المغربي والأندلسي مشيرة إلى أهم الأحداث السياسية، والسياسة الدينية التي اتبعتها هذه الدول ومخلفاتها الروحية على المجتمع المغربي والأندلسي.

وسأحاول من خلال المنهج الوصفى إعطاء الصورة المادية التي خلفها هذا الصراع، كآثار المدن التي شيدت آنذاك وطورت حضاريا، ومازالت قائمة إلى يومنا هذا، مثل مراكش، وتلمسان، وإشبيلية، وغرناطة، وغيرها من المدن والحواضر ومعالمها التاريخية البارزة، التي وصفتها بالتدقيق الحركات الحضارية التي أعطت للفكر العربي الإسلامي فيما بعد صيغة تاريخية تحررية لم يعرفها العالم الغربي إلا في القرنين الأخيرين التاسع عشر والعشرين.

إن دراستي لموضوع تطور مفهوم الخلافة بالمغرب الإسلامي منذ ظهور الفاطميين في القرن الثالث الهجري إلى سقوط المرينيين في القرن 12 الهجري، لم يسبق أن درسه الباحثون والمهتمون بتاريخ المغرب الإسلامي، خصوصا أن هذه المرحلة التاريخية هامة، والدليل على ذلك الإتجاهات السياسية المختلفة التي عرفتها هذه المنطقة زيادة على كل هذا، ما يكتسيه هذا الموضوع الشيق من أهمية تاريخية وسياسية بالخصوص، إذ كان لهذا التغيير تأثير عميق في الحياة السياسية، والفكرية لم يشهده من قبل العالم الإسلامي عامة والمغرب الإسلامي خصوصا بعد تأسيس أول خلافة شيعية التي مثلتها الخلافة الفاطمية ببلاد المغرب، وسأنطلق في معالجتي لهذا الموضوع من الواقع السياسي للدول الإمارات التي ظهرت في المغرب الإسلامي، كدولة الفاطميين، والمرابطين، والموحدين، والحفصيين، والزيانيين، والمرينيين، وتأثير هذه الدول الستة في التاريخ السياسي الأندلسي الذي ارتبط ارتباطا وثيقا بالأحداث التي عرفها المغرب الإسلامي في عهد المرابطين والموحدين بخاصة إذ يرجع لهم الفضل في إبقاء الأندلس في ذمة المسلمين لقرون أخرى قبل زوالها.

وفي النهاية آمل أن تكلل معالجتي لهذا الموضوع بالتوفيق وتلقي الرضا والصدى وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلّم.

تمهيد:

منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم نشب صراع بين المهاجرين والأنصار حول من يستخلفه لقيادة المسلمين، ومن هنا بدأت نقطة الخلاف وكثرت الصراعات بين أقرب صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم و أقدمهم الصحابة الستة.

وتولد عن هذا الخلاف حول من يتولى منصب الخلافة بعد وفاة المصطفى صلى الله عليه وسلم واشتعال نار فتن كبيرة بين المسلمين، مما أدى إلى ظهور ثلاثة فرق مختلفة نتج عنها بروز ثلاثة آراء.

-أولا : الرأي القريشي الذي يفضل عامل أهل السنة، ويحصر اختيار الخليفة من قريش اعتمادا على بعض الأحاديث النبوية وما تقرر في سقيفة بني ساعدة [1].

-وثانيا الرأي الشيعي القائم على اختيار الإمام بنص نبوي.

-وثالثهما الرأي الديمقراطي يرفض الرأيين السابقين وينص على ضرورة اختيار الأمة لإمامها، ويرفض الرأيين السابقين مستندا على أحاديث نبوية بعضها ينص على طاعة ولي الأمر ولو كان عبدا حبشيا.

لم تكن الخلافة في مرحلة الدعوة المحمدية مهمة ولهذا لم يعهد بها لأي أحد، فالرسول صلى الله عليه وسلم قد جمع بين الصلاحيات الدينية والسياسية بصورة إجمالية، والجدير بالذكر ان القرآن والسنة لم يحددا بالضبط كيفيات إقامة "الخلافة" ولا الأعمال والأموال المنوطة بمن يتولى أعباء القيادة الدنيوية للمجتمع الإسلامي، وبمعنى أدق لم تأت النصوص الأساسية للمذهب بنموذج خاص للحكم ([2])، رغم نيل الاسلام قصب السبق في ايجاد نظام الخلافة الذي لم تعرف البشرية له نظيرا نظام جديد .

---

[1] السيوطي (جلال الدين)، تاريخ الخلفاء، ط.ج.بيروت، 1994ص 11، ابن العربي، العواصم القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، تحقيق محي الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، جزيرة الروضة، 1371هـ، ص40.

[2] علي عبد الرزاق، الإسلام وأصول الحكم: بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام، مطبعة مصر، القاهرة، 192، ص 16، 17، 18.رضوان السيد، الأمة والجماعة والسلطة، دراسات في الفكر السياسي العربي الإسلامي، ط1، دار اقرأ للنشر والتوزيع، 1984، ص 119، 120، 161.

و الواضح أن الأفكار السياسية التي تضمنها القرآن الكريم لم تبين كيف يكون رئيس السلطة، فمثلا كلمة امام لا يقصد بها حاكم او رئيس روحي يتولى سلطة الدين والدنيا في الدولة الاسلامية ،و انما يقصد بها فقط امام الصلوات لاغيركما ان عبارة امير المؤمنين ليست عبارة قرآنية بينما الاسم "خليفة" ورد في القرآن بمعنى خليفة الله في الأرض " فكل إنسان يعتبر وارثا لله في الأرض([1])ويقول ابن خلدون في هذا المعنى: " والخلافة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلّم لم تكن مهمة فلم يعهد فيها ثم تدرجت الأهمية زمان الخلافة بعض الشيء بما دعت الضرورة إليه في الحماية والجهاد وشأن الردة والفتوحات فكانوا بالخيار في الفعل والترك، كما حدث في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه" ([2]).

وعلى كل حال ساحاول تعريف مفهوم الخلافة من خلال المفهوم الخلدوني لها فلديه:" الخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة اليها إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به"([3]).

وعرّف القلقشندي([4]) الخلافة بأنها في الأصل مصدر خلف، يقال: خلفه في قومه يخلفه خلافة فهو خليفة، ومنه قوله تعالى: ((**وقال موسى لأخيه هارون أخلفني في قومي**)) ([5]) ثم أطلقت في العرف العام على الزعامة العظمى، وهي الولاية العامة على كافة الأمة والقيام بأمورها والنهوض بأعبائها.

والقائم بهذا يسمى خليفة وإماما، فأما تسمية الإمام فتشبيه له بإمام الصلاة في اتباعه والإقتداء به ولهذا يقال الإمامة الكبرى، وأما تسميته خليفة فلّكونه يخلف النبي في أمته بالإطلاق وخليفة

([1]) عبد الرحيم لمشيس، "السلطة والدين في نظر الإسلام"، مجلد معالم، العدد الثاني، الجزائر، 1994، ص 128-130.

([2]) ابن خلدون، المقدمة، تحقيق عبد الواحد وافي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ص .

([3]) نفسه ، ص 195.

([4]) القلقشندي، مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت، (د.ت)، ص 8-9. حسن إبراهيم حسن، علي إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، ط.3، مكتبة النهضة المصرية، 1962، ص2.

([5]) سورة الأعراف، الآية، 142.

الرسول صلى الله عليه وسلّم، قد اختلف في تسميته خليفة الله فأجازه بعضهم افتباسا من قوله تعالى حول الخلافة العامة التي خص بها الآدميين : ((**أني جاعل في الأرض خليفة**)، وقوله: ((**جعلكم خلائف**)) لكن أبا بكر الصديق رضي الله عنه نهى عن ذلك لما دعي به وقال لست خليفة الله ولكني خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلّم [1].وفعل مثله عمر بن الخطاب الذي رفض التسمّي بهذا اللقب. ويمثل هذا المذهب الأول. أما المذهب الثاني فيقوم على أن الخلافة تكون عن الرسول صلى الله عليه وسلّم، وخليفته يسمى بخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلّم[2]

والمذهب الثالث يرى أن الخلافة قد تكون عن الخليفة قبله مثلا، كقولنا فلان خليفة فلان، واحد بعد واحد، حتى ينتهي إلى أبي بكر رضي الله عنه، وهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وعلى ذلك خوطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أول أمره بخليفة رسول الله [3]

أما فيما يخص وجوب الإمامة[4]، يقول الإمام ابن حزم الظاهري: " أتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع المعتزلة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة[5]، وأن الامامة فرض وواجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله ويوصيهم بشريعته التي آتى بها الرسول صلى الله عليه وسلّم ما عدا النجديون من الخوارج فإنهم قالوا: لا يلزم الناس

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ط، 1، ص 190-191. القلقشندي، مآثر الأناقة، المصدر السابق، ص15.

[2] نفسه ، ص 17.

[3] نفسه، ص 18.

[4] ابن حزم الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد ابراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة. بيروت، (د.ت) ج4، ص 177-ص178.

[5] الحسن الخربوطلي ، الإسلام والخلافة نقلا عنه أنه أطلق على الخلافة ثلاثة ألقاب، الخليفة، أمير المؤمنين، والإمام، كما للخلافة امتيازات مثل البيعة، والخطبة، والسكة، أما عن الامتيازات الشكلية البردة الخاتم والقضب والطراز، علي حسين الخربوطلي، الإسلام والخلافة، د ار بيروت للطباعة والنشر، بيروت 1969، ص 50-ص51. حسن إبراهيم حسن، علي إبراهيم حسن، النظم.....ص4.

فرض الإمامة وإنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم، وهذه الفرقة ما نرى بقى منها أحـــد وهـــم المنسبون إلى نجدة ابن حنفي القائم باليمامة".

ويشترط في الخليفة أن يكون قرشيا ذكرا بالغا عالما شجاعا متصفا بسلامة الحـــواس والأعضاء وبالرأي السديد في سياسة الرعية وتدبير المصالح، وبالشجاعة. و حددت مهامـــه في حفظ اصول الدين وما اتفق عليه سلف الأمة وتنفيذ الأحكام بين المتشاجرين، وقطع الخصـــام بين المتنازعين، ومباشرة مسائل رعيته بنفسه وتصفح الأحوال [1] أما مدة خلافته فهـــي غـــير محددّة، ولا ينقض البيعة له إلا الوفاة أو الجنون أو الكفر البواح أو العجز عن القيـــام بأعبـــاء الخلافة أو وجود مانع يمنع ذلك[2] .

وقد ا تخذ الخليفة كنية ,تكنى الصديق رضي الله عنه بابي بكر ,وتكنى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بابي حفص ,وكانت كنية عثمان بن عفان رضي الله عنه أبا عمرو، وكنية علي بن أبي طالب أبا الحسن[3]

أما الألقاب التي تلقب بها الخليفة فكانت أربعة:

اللقب الأول عبد الله، وأول من تلقب به من الخلفاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكان يكتب في كتبه الصادرة عنه: من عبد الله عمر أمير المؤمنين.

اللقب الثاني الإمام. وهو من الألقاب المستجدة للخليفة أثنـــاء الدولـــة العباســـية بـــالعراق.

واللقب الثالث الخليفة كالمنصور والهادي والرشيد والمأمون والمعتصم بالله والمتوكل علـــى الله.

أما اللقب الرابع أمير المؤمنين، وأول من لقّب به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أثناء خلافته، ثم صار هذا اللقب يلازم من ولى الخلافة بعده كالفاطميين والموحدين والحفصيين بالمغرب الإسلامي، والأندلس.

---

[1] حسين عطوان، الفقهاء والخلافة في العصر الأموي، ط.1، بيروت 1991، ص ص، 7-11.

[2] القلقشندي، مآثر الأناقة، المصدر السابق، ص18، محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، مفاهيم حـــول الحكم الإسلامي، ج9، ط3، المكتب الإسلامي، 1991، ص ص 38-39-40. الونشريسي، كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية، والخطط الشرعية، نشر وتعليق محمد الأمين بلغيـــث، لافوميـــك، الجزائر، 1985، ص22.

[3] حسين عطوان، المرجع السابق، ص28.

مفهوم الخلافة عند السنة والشيعة

يرى أهل السنة في الخلافة[1]—هم أصحاب الرأي الأول ــأنها رياسة المسلمين، وهنا تلتقي الإمامة بالخلافة، كأنهما كلمتان لهما المعنى نفسه, و يطلقون على الخليفة لقب "إمام المسلمين" وعلى الخلافة "الإمامة الكبرى" تشبيها للخليفة بإمام الصلاة التي هي عماد الدين.

والإمام عند أهل السنة رجل من المسلمين اختير لتدبير أمورهم الدنيوية والدينية، وهو خليفة الرسول صلى الله عليه وسلّم لا خليفة الله في الأرض.

ويشترط في الامام المختار أن يكون فاضلا فحسب, ولا يشترط ان يتميز بميزة خاصة، ويحق لمن اختاره عزله .

الإمامة عند الشيعة:

استعمل الشيعة كلمة "إمامة" للدلالة على"الخلافة" وأصل كلمة الإمامة ما يعرف بالوصاية او تولية النبي لعلي,وهي مشتقة من الفعل اوصى لتدل على معنى ولى ,و هي كالقرآن موحى بها من الله حتى تكون الإمامة عند الشيعة تعبر عن المفهوم الذي شرحه أهل السنة، فالإمامة عندهم أعلى ان النبوة,إذ جعلوا الإمام يستمد قوته من الله مباشرة دون وسيط.

فهو هاد في الماضي والحاضر والمستقبل وجاء في هذا المعنى قول ابن خلدون"... تم حدث فيهم من بعد ذلك القول بالإمام المعصوم, وكثرت التواليف في مذاهبهم, وجاء الإسماعيلية يدعون ألوهية الإمام بنوع الحلول وآخرون يدعون رجعة من مات من الأئمة بنوع

---

[1] محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، (د.ت)، القاهرة، ص78، أحمد أمين، فجر الإسلام، ط11، دار الكتاب العربي، بيروت، 1975، ص ص 253-282.

* الخلافة في اللغة: الخلافة لغة مصدر تخلّف فلان فلانا إذا تأخر عنه، وإذا جاء خلف آخر، وإذا قام مقامه، يقال خلف فلان فلانا إذا قام بالأمر عنه، إما معه وإما بعده.قال تعالى: ((**ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون**)) والخلافة نيابة عن الغير، إما لغيبه المنوب عنه وإما لموته وإما لعجزه الخ، والخلائف جمع خليفة، وخلفاء جمع خليف والخليفة السلطان الأعظم. علي عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 26.

التناسخ وآخرون ينتظرون عن من يقطع بموته منهم...." إذ يعتبره الشيعة صاحب السلطة الوحيدة القادرة للنظر في كل المسائل التي تفصل فيها الشريعة المتسلسلة منذ بدء الخليفة ليؤخذ بأحكامه فيها في كافة العصور التالية، كما أن هذه السلطة هي وحدها القادرة على تفسير الأحكام الشرعية ،وتطبيقها. والرسول صلى الله عليه وسلّم حسب رأي الشيعة إنما بعث لهداية الإنسانية في عصره ثم بعد عصره في أوسع تأويل وليس له سلطة على الماضي.

و الحقيقة ان الإمامة كامنة في جوهر عليّ كرم الله وجهه بالفطرة, فمند أن خلق الله آدم تسلسلت في أعقابه الواحد تلو الآخر مادة نورانية ءالهية انتهت إلى صلب الجد المشترك لمحمد صلى الله عليه وسلّم وعلي كرم الله وجهه,و انقسم هدا النور الإلهي بين"أبي طالب" والد علي وعبد الله والد محمد , ولما مات الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى بالإمامة لعلي ,فنال علي بدلك النورين معا، فيكون أقوى اعتبارا من النبي صلى الله عليه وسلّم الذي لم يرث إلا نورا واحدا، وهذا النور الذي أصاب علي كرّم الله وجه ينتقل إلى ذريته الأئمة من بعده جيلا بعد جيل.

ومن أهم الفرق الشيعية طائفة الأئمة "الإثنا عشرية"، وسميت بهذا الاسم لأنها تقول باثني عشر إماما، أولهم الإمام علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم علي زين العابدين ثم محمد الباقر ثم أبو عبد الله جعفر الصادق ثم محمد المهدي المنّظر الذي (اختفى نحو سنة 260هـ)([1]).

و تعد فرقة الإسماعيلية من الفرق الهامة، وهي تتفق مع الأثنى عشرية في الاعتراف بسلسلة الأئمة حتى الإمام جعفر الصادق، لكنها تفترق عنها في جعل الإمام السابع هو إسماعيل بن جعفر الصادق أو محمد بن إسماعيل.

وللشيعة مبادئ عامة رغم اختلاف طوائفهم وهي:

1-الامامة والعصمة([2])والمهدية والرجعة والتقية .

أما بالنسبة للشيعة فالخلافة حكر على بيت علي كرّم الله وجهه إلى يوم الدين، وأستعمل الشيعة كلمة إمامة للدلالة على "الخلافة"[3] وهي ركن أساسي من أركان الإسلام

([1]) عبد الله علام، الدعوة الموحدية بالمغرب، دار المعرفة، القاهرة، 1964، ص ص 244. حسن إبراهيم حسن، النظم...ص 9.

([2]) ابن العربي، المصدر السابق، ص 198.

[3] عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، القاهرة، 1953، ص66

عندهم، وأنهم يساوون بين كلمة "إمام" بكلمة دين، وهو عندهم متميز عن غيره [1].ولهذا اختلف مفهوم الإمامة عند الشيعة عند أهل السنة، وبمرور الوقت تناول ابن خلدون موضوع الخلافة، وغلب على معالجته لهذه المسألة الطابع النقدي، حيث قام بمناقشة نظامها و اتفق مع الماوردي في أصل الخلافة والغرض من هذا النظام، فالخليفة نائب النبي صلى الله عليه وسلّم وحامي الشريعة وعليه حفظ الدين وحكومة الدنيا، ويجب أن يكون من قريش زيادة على الصفات والشروط التي ذكرها الماوردي سابقا عكس الخوارج الذين يقولون بأن كل مسلم مؤهل للخلافة, وإن كان أعجميا أو عبدا، و قيام الإمام لديهم ليس من الفروض الدينية ,إ ذ تستطيع الجماعة الإسلامية تدبير أمورها دون إمام [2].**وقد ظلت** مسألة الخلافة من اصعب المسائل التي عرفتها([3])الأمة الإسلامية, وكانت سببا في حدوث كثير من المآسي في التاريخ

---

[1] البغدادي (عبد القادر)، الفرق بين الفرق، ترجمة محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، القاهرة، 1991، ص، 340، ص349.

[2] إن مسألة الخلافة عند الخوارج مبنية على مبدأ الاختيار ولهذا أنكروا على الشيعة الإمامة الوراثية في أبناء علي بن أبي طالب، فهم يرون كذلك أن من حق الأمة إسقاط الإمام (الخليفة أو الحاكم) الذي يبتعد عن الطريق المستقيم الذي سطره الله ورسوله.

والإمامة تحق لمن تختاره الجماعة أيا كان ولو كان عبدا أسودا، وبهذا أسقطوا النزعة الأرستقراطية التي أراد أهل قريش فرضها في اختيار الخليفة. وهم لهذا يختارون ويطلقون على من يختارونه إماما لقب أمير المؤمنين. واعترف الخوارج بالخلافة لأبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، ثم بعد ذلك لمن اختاروهم هم. و لم يوضح الخوارج من هو الإمام الحق بل اكتفوا بذكر ان الخلافة ليست حقا شخصيا لأحد تطبيقا لما قال الرسول صلى الله عليه وسلّم : " **اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله**" ابن خلدون، المصدر السابق، ص 248.

[3] الخلافة: شرعا هي الإمامة، وقال بعض الصوفية أن الخلافة قسمان، خلافة صغرى وهي الإمامة والرياسة الظاهرية، وخلافة كبرى وهي الإمامة والرياسة الفاطمية كما كان لعلي رضي الله عنه، فالخليفة هو الإمام الذي ليس فوق إمام. ويشترط فيه أربعة شروط إحداهما: أن يكون قريشيا من الصميم. الثاني أن يكون على صفة من يصلح أن يكون قاضيا من الحرية والبلوغ والعقل والعلم والعدالة. والثالث أن يكون قيما بأمر الحرب والسياسة وإقامة الحدود، لا تلحقه زافة في ذلك، والذي يذود عن الأمة. الرابع: أن يكون أفضلهم في العلم والشرع. القاضي أبي يعلى محمد بن حسين الفراء الحنبلي. الأحكام السلطانية، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الياس الحلبي وأولاده، مصر، ص 3، 4، موسوعة كشف اصطلاحات

الإسلامي، وراحت بذلك فكرة الإمام المهدي تتارجح بين أهل السنة والجماعة والشيعة غير أنهم اتفقوا جميعا ان هذا الإمام سيعود ليملأ الدنيا عدلا بعدما ملئت ظلما وجورا.

وعلى هذه الأساس نعالج موضوع الخلافة وتطور مفهومها بالمغرب الإسلامي من خلال الدول التي تعاقبت على حكم البلاد ونظرتها إليه و مفهومها حوله ,وما نتج عن ذلك من مفاهيم جديدة بهذا النظام الإسلامي، وأول هذه الدول الدولة الفاطمية التي انطلقنا منها في دراسة هذا الموضوع ,ولذلك سنحاول من خلال الحقائق التاريخية ان نبين نظرة الخلفاء الفاطميين لنظام الخلافة.

الفنون والعلوم محمد علي التهتوي، تحقيق علي دحروج، ترجمة جورج زيناني.ط. 1.. مكتبة بيروت (د.ت).

الفصل الأول

طبيعة الخلافة الفاطمية في المغرب

(297هـ-363هـ)(909م-975م)

تمهيد تاريخي

1. التعريف بشخصية عبد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية
2. مفهوم الخلافة بالدولة الفاطمية ببلاد المغرب
3. لقب الخلافة و شارات السيادة بالدولة الفاطمية

خلاصة الفصل

تمهيـــد:

قبل قيام الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي، كان هذا الأخير منقســـما إلى إمـــارات إسلامية، كالرستميين بالمغرب الأوسط (160هـــ-296هـــ/776م-909م) والأدارســـة بالمغرب الأقصى (172هـــ-375هـــ/788م-985م) والأغالبة بإفريقيـــة (184هـــ-296هـــ/800م-909م). وتعايشت هذه الإمارات فيما بينها رغم اختلاف المذاهب الـــتي كانت سائدة آنذاك، كالخارجية والإباضية والسنية [1]، فالدولة الرستمية الخارجية التي أقامت دولة مستقلة عن الخلافة العباسية بالمشرق منذ أن لقب عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بالخليفة عام 160هـــ-177م [2].

---

1) صالح بن قربة: المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط بني حماد، د، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986م ص 169-174، ابن الأثير، الكامل في التـــاريخ ط.6، دار صادر، بيروت، 1995،مج.7 ص 519-521، الوزير السراج، الحلل السندسية في الأخبار التونسية تحقيق وتقديم محمد الحبيب الهيلة، ، ط.1 دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985،مج.2 ص 7-11، أحمد مختـــار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت).ص 226-ص228.

(2) الدولة الرستمية: أسسها عبد الرحمن بن رستم بن بهرام الذي بويع بالخلافة عام 160هـــ/176م، وأخذ تهارت عاصمة له لما أختطها سنة واحدة من بيعته 160هـــ/177م، وكان هدفه من تأسيسها هو إقامة دولة مستقلة عن الخلافة العباسية بالمشرق. ومدينة تهارت هذه مدينة قديمة تحيط بها أنهار ثلاثة اشـــتهرت بكثـــرة بساتينها وأشجارها ومياهها. بني بها مسجد من أربع بلاطات في أول تأسيسها ثم أحيطت بمساكن فيما بعد. استقر بها عبد الرحمن بن رستم حتى وفاته عام 168هـــ-784م، ملكها أمراء كثيرون منهم أبو سعيد أفلح بن عبد الوارث، أبو بكر محمد بن أفلح، الذي حكمها 27 سنة، ثم أبو اليقطان محمد بن الأفلح، وآخـــرهم يقطان بن أبي يقطان الذي قتله أبو عبد الله الفاطمي مع جماعة من أهل بيته ، ثم حكمها ولاة من الشـــيعة الفاطمين مثل أبي حميد دواس اللهيصي، و مصالي بن حبوس المكناسي. ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في تاريخ الأندلس و المغرب، تحقيق ليفي بروفنسال، مراجعة، ج.س-كلان، ط.3-دار الثقافة، بيروت، ج1، ص 197-ص199، الادريسي المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق من القرن السادس هجري، الثاني عشـــر ميلادي حققه ونقله محمد حاج صادق، المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983 ص 110، المقريزي: اتعـــاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفاء، نشره وحققه وعلق على حواشيه وقدم له ووضع فهارسه جمال الدين شيال، دار الفكر العربي، مصر، 1978، ص91-92.

والثانية دولة الأدارسة العلوية التي مثلت المذهب العلوي وعاصمتها فاس [1]، ودولة الأدارسة كانت هي الأخرى تكّن للدولة العباسية عداءا شديدا والذي تعود جذوره إلى هزيمة محمد ذي النفس الزكية وأخيه إبراهيم عنان الخليفة العباسي المنصور في مكة والبصرة عام 145هـ-761م وفرار كل من إدريس ويحي إلى المغرب والاستقرار به، والأدارسة الذين أسسوا دولتهم بالمغرب الأقصى على يد إدريس الصغير الذي نشأ وترعرع بين البربر حتى بلغ رشده وجعل من دولته دولة حضارية زراعية، وأخضع دول الخوارج المجاورة، وفتح بلاد البربر المصامدة، وكذلك قبائل نقرة بتلمسان [2] وسكّ النقود باسمه وتحالف مع الأندلسيين رغم اختلاف مذهبهما هادفا من وراء ذلك ضرب الخلافة العباسية سياسيا الاستقلال عنها، وتوحيد المغرب الإسلامي تحت لوائه.

---

(1) فاس: اختطتها الأدارسة الحسينين، فجعلوا منها دار فقه وعلم وصلاح ودين. تعد مدينة فاس قاعدة بلاد المغرب وقطرها، أخذها الأدارسة عاصمة لهم، ثم صارت عاصمة مملكة زناتة وغيرها، نزل بها المرابطون بأول ظهورهم على المغرب، من خلال هذه الفترات التي مرت بها مدينة فاس فقد عمرت بالمساجد والفنادق والحمامات، وبنيت القصبة، وأحيطت بالأسوار في عهد الأخوين الفتوح وعجيسة، بعد حلول المرابطين بها هدموا أسوارها التي بنيت في عهد الأدارسة بين العدوتين وبين أرباضهما، عدوة الأندلسيين وعدوة القرويين، وجعل بينهما قناطر للعبور، قنطرة أبي طوبة، والثانية قنطرة أبي برقوقة، والثالثة قنطرة باب السلسلة، وقنطرة السباغين وغيرها. كما قام عبد المؤمن بن علي سنة 542هـ/1050م بهدم أكثر أسوار فاس قائلا: " إنا لا نحتاج إلى سور إنما أسوارنا أسيافنا وعدلنا".

تشتهر مدينة فاس بأبوابها الكثيرة كباب الفتوح، وباب الخوخة، وباب بني مسافر، وباب الجيسة، وباب يصلين، وباب الشريعة. بلغت مساجدها أكثر من 785 مسجدا في عهد المنصور الموحدي، وكثرت بها كذلك العمارات الأخرى بالمدينة كالحوانيت والفنادق، والأسواق مما أدى إلى ازدهارها وثراء أهلها. علي الجزنائي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط.2، المطبعة الملكية، الرباط، 1991، ص40-41 الأدريسي، المصدر السابق، ص94-95. روجي لوترنو، تاريخ مدينة فاس، ترجمة نقولا زيادة، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت، نيويورك، 1983،

(2)تلمسان: مدينة إسلامية شهيرة بغرب مغرب الأوسط. تقع في السفح الشمالي على ارتفاع 800 متر فوق سطح البحر الأبيض المتوسط. كانت تدعى قديما بأكادير، وربما هي مدينة الجدار المشار إليها في القرآن في قصة موسى والخضر، وهي في الأصل قرية بربرية احتلها الرومان وانشأوا بها معسكرا سموه (بوماريا).

أما عن دولة الأغالبة [1] التي اتسمت سياستها المتمثلة للخلافة العباسية بالتبعية، وتمثلت هذه تبعية في الروابط التقليدية من الخطبة في المساجد، ونقش اسمهم على الطراز ودفع مبلغ مالي معين من الخراج لخزانة الخلفاء في بغداد. وظهرت هذه التبعية بعد تعيين الخليفة العباسي هارون الرشيد إبراهيم بن الأغلب أميرا على تونس [2] ومن إيجابيات هذا التعيين أنه أدى إلى القضاء على حق الخلافة في تولية الولاة على إفريقية وإقرار مبدأ الوراثة في أسرة بني الأغلب، ويعتبر هذا التطور حدثا سياسيا هاما في نظام الحكم في إفريقية منذ الفتح الإسلامي [3].

والواقع أن هذه الأوضاع السياسية لم تمنع من انتعاش الحياة الاقتصادية وازدهار الحياة الاجتماعية والفنية مما أدى بكثير من أهل المشرق إلى الاستقرار ببلاد المغرب، بغرض العلم والتجارة والسياسة. وظهرت معالم هذه الأبعاد السياسية بعد استقرار شخصيات كانت معادية للحكم العباسي بالمشرق، مثل الداعيتين الشعيبين الحلواني وأبي سفيان اللذان أرسلهما أبو جعفر الصادق إلى المغرب الإسلامي قصد نشر الدعوة سريا بين أهل هذا البلد ويعتبر أبو جعفر[4] سادس الأئمة الإثني عشر عند الأئمة و ينسب إلى قوله لهما: " بالمغرب أرض بور،

---

[1] ولما جاء الإسلام فتحها أبو المهاجر دينار المخزومي سنة 55هـ وهزم حولها الأمير البربري كسيلة البرنسي ثم دخلها عقبة بن نافع في ولايته الثانية للمغرب، ومر بها الإمام إدريس الأول في طريقه إلى المغرب الأقصى، واتخذها الزناتيون عاصمة لهم بعد سقوط الدولة الموحدية، علاصيتها وتبحر عمرانها وازدهر العلم والثقافة فيها، وقبل الزناتيين قامت في إقليم تلمسان دولة خارجية، وهي دولة أبي قرة المغيلي الذي اتخذ رقم الإمامة على مذهب الإباضة الصفرية. بنيت بها عدة مراكز ثقافية وحضارية منها، جامع تلمسان الأعظم، ومسجد سيدي بلحسن، وحمام الصباغين، قرية العباد، مسجد سيدي الحلوى والمدارس، كمدرسة تشفينية التي أمر بتشيدها أبو تاشفين مدرسة العباد، أو مدرسة الشيخ ابن مدين التي درس بها العالمان الجليلان سيدي سنوسي وأبو عبد الله وابن خلدون فيما بعد، كما استولى عليها العثمانيون عام 952هـ. علي الجزنائي، المرجع السابق، ص14، حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط1، القاهرة، 1980، ص120-123، ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق ج. 1.ص200.

(2) شاكر مصطفى:دولة بني العباس، وكالة المطبوعات، الكويت، 1974، ص 379-394.

(3) المقريزي المصدر السابق، الهامش رقم 1، ص33، صالح بن قربة، المرجع السابق، ص171، شاكر مصطفى، المرجع السابق، ص391.

(4) عبد الله أبو جعفر الصادق أحد الأئمة الإثنى عشر، لقب بالصادق لصدقه في مقالته، ولد سنة 80هـ وقيل سنة 83هـ، أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، اشتغل بالكيمياء والزجر والفأل،

فاذهب واحرثها حتى يجيئ صاحب البذر فنزل أحدهما ببلد مراغة وآخر ببلد سوف جمار وكلاهما كتامة ففشت هذه الدعوة في تلك النواحي [1] ". وبهذا مهد لميلاد دولة شيعية ستعرفها بلاد المغرب فيما بعد باسم الدولة الفاطمية.

وقد حكمت الدولة الفاطمية البلاد ما يقارب ستين سنة (297هـ-363هـ/910م-973م) تداول عليها أربعة خلفاء قبل انتقال آخرهم المعزلدين الله إلى مصر والاستقرار بها.

وقامت الخلافة الفاطمية ببلاد المغرب على أنقاض أربعة دول، بفصل مساعدة قبائل كتامة[2] الذين حرصوا حرصا شديدا على توسيع نشاط النظام الجديد ومذهبه داخل أفريقية

يقال كان من تلاميذه أبو موسى جابر بن حيان، وأنه ألف كتابا يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل أستاذه جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة. توفي في شوال سنة 148هـ بالمدينة ودفن بالبقيع بقبر أبيه، المقريزي، المصدر السابق، ص 15.

(1) ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق علي عبد الواحد وافي الطبعة1، دار الكتب العلمية، بيروت 1992، مج4، ص38، المقريزي، المصدر السابق، ص67. موسى لقبال: المغرب الإسلامي من بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج، سياسة ونظم، ط 3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص150-151.

(2)كتامة: وهم مجموعة قبائل مستقرة تنتمي إلى فرع برانس، حسب التقسيم التقليدي للمجتمع الأمازيغي، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى الجد الأعلى لسائر فروعها وهو "كتام" أو "كتم" وهذا الأخير هو ابن برنس بن مازيغ بن كنعان بن حام.ويفترض النسابة أن كتامة فرعان هما: غرسن-ويسوده، ومنها تناسلت كل بطون كتامة، وهم بذلك عناصر محلية أصيلة حسب رأي المؤرخين.

ويشير ابن خلدون أن هذه القبائل كانت تنتشر قبل الإسلام في جهات من بلاد المغرب كلها. وحدّد حدودها في قوله " من حدود جبل أوراس إلى سيف البحر، ما بين بجاية وبونة، وهناك تحديد آخر لمنطقة كتامة مخالف نوعا ما لما جاء به العلامة ابن خلدون، وهو أن منطقة كتامة تبدأ شمالا من نقطة ما قرب مرسى الخرز (القالة) إلى ما وراء تدلس في أرض، يتخللها موانئ: القالة وعنابة، والقل وسكيكدة، وجيجل وبجاية ودلس، ومن الحد الجنوبي جبال الأوراس حتى جبال النمامشة، ومن الغرب من خط دلس حتى مناطق صنهاجة، ويوجد بداخل هذه المنطقة قرى زواوة الجبلية، ومراكز ومدن كتامة، وهي قالمة، سوق اهراس، وسطيف، وايكجان، وميلة، وقسنطينة، وعلى العموم فأرض كتامة أرض جبلية، كان دورها في تاريخ الدولة الفاطمية، إذ كانت علاقتهم بالحركة الإسماعيلية، علاقة تأييد منذ ظهورها حتى قيامها وحرصت على تدعيم مكاسب النظام الجديد ودعمته

وخارجها، والتصدي لكل حركة معادية، كالزناتيين والإباضيين والصفرية وبني الأغلب و غيرهم، لعبت الدولة الشيعية الناشئة دورا كبيرا في وضع أسس المغرب الإسلامي الذي وحدّه دعاة الشيعة المؤهلين لنشر دعوتهم سرا أولا وجهر بها فيما بعد.

وقبل التطرق لمعالم هذه الخلافة ويحسن التعرف على نسب الفاطميين، فهم من فرقة شيعية اسماعيلية تنتسب إلى اسماعيل بن جعفر الصادق الذي انتقلت إليه الإمامة بالنص والذي مات في حياة أبيه [1]، وهناك من يقول أنهم من محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن أبي طالب رضي الله عنه وتنسب إليهم "الميمونة" أو "القداحية" [2]، وهذا ما يوضح اختلاف المؤرخين في نسبهم.

سياسيا ومذهبيا داخل إفريقية وخارجها وخاصة في فترة المعز لدين الله، قد حاز الكتاميون على امتيازات كبرى في الجيش باعتبارهم قوة عسكرية اعتمد عليها بالمغرب وبالمشرق لفتح مصر وانتقال الخلافة الفاطمية إليها.

واستمر هذا الوضع المميز للكتاميين بالمغرب حتى أواخر أيام الحاكم بأمر الله، حيث صارت الأوضاع ضدهم وأعطيت أدوارهم لصالح عناصر أخرى أجنبية لعبت دورا هاما في الخلافة الفاطمية بمصر والشام وغيرهما من الدول التي كانت تخضع للسيطرة الفاطمية الشيعية بالمشرق، موسى لقبال: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص92 من 99، موسى لقبال، " دور قبيلة كتامة الدولة الفاطمية، مجلة الأصالة، العدد11، نوفمبر-ديسمبر، 1972م، ص 173، الإدريسي، المصدر السابق ص 126.

(1) ابن خلدون، كتاب العبر.

(2) ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص 24، المقريزي، المصدر السابق، ص25-27، الوزير السراج، المصدرالسابق، ص 13-20.

رغم هذا كله قطعت الدولة الفاطمية الشيعية [1] في المغرب الإسلامي في أواخر القرن الثالث الهجري، التاسع ميلادي أشواطا بعيدة، في نشر مذهبها مما سهل وتسهيل الاستيلاء على الدولة الأغلبية، والقضاء على بني رستم في تهارت، ودولة بني مدرار في سجلماسة.

وما كان في طعن في نسب الفاطميين واختلاف حوله إلا أن هذا لم يمنع من قيام الخلافة الفاطمية ببلاد المغرب التي أصبحت منذ ذلك الوقت دار خلافة بعد أن كانت ولاية تابعة للخلافة العباسية في بغداد، فتطور بذلك مفهوم الحكم بالمغرب الإسلامي من إمارات إلى دولة وخلافة إسلامية مغربية شيعية[2].

1/ التعريف بشخصية عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية:

أما عن مؤسس الدولة الفاطمية هو عبيد الله بن محمد الحبيب بن جعفر الصادق، ولد سنة 259 هـ أو 260هـ بالكوفة [3]. ثم انتقل إلى بلده سلمية بشمال الشام بؤرة الإسماعيلية[4].

---

(1) الفاطميون: طبقة من الشيعة الاسماعيلية يقولون بما يقول به سائر فرق الشيعة: أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى بالأئمة لجدهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه- وانتقلت الامامة بعد علي إلى ولده الحسن إلى الحسين إلى علي زين العابدين ثم إلى إبنه محمد الباقر، قوله جعفر السابق، ثم ولد اسماعيل فولده محمد المكتوم ثم ابنه جعفر المصدق، فولده المصدق فولده محمد الحبيب، فولده عبد الله المهدي جد البيت الفاطمي أي صاحب الدولة بإفريقيا والمغرب التي قام بها أبو عبد الله الشيعي بكتامة. ابن خلدون، المصدر السابق، ص 36، أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 222 ، عبد العزيز سالم المغرب الكبير العصر الإسلامي دراسة عمرانية وأثرية، ط.1، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 603-607، صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 261-262.

(2) نفسه، ص 262.

(3) أبو زكريا يحي الصنهاجي، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، حققه ووضع هوامشه إسماعيل العربي، ط.3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص 164، ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص 24، الوزير السراج، المصدر السابق، ص،13-20، صالح بن قربة، المصدر السابق، ص261، حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية بالمغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب، ط.2.مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958، ص16-ص62. أبي عبد الله محمد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرهم، تحقيق وتعليق جلول أحمد بدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص85-86.

(4) تقع سلمية بالقرب من حمص ببلاد الشام.

قام برحلات عدة، منها رحلته إلى بغداد وإلى مصر. وكان أبوه قد وجّه أبا عبد الله الشيعي[1] إلى المغرب ولقي هذا الأخير ترحيبا من قبائل كتامة وناصرته في الدعوة لظهور المهدي، وعندما تمكنت دعايته، لحق عبيد الله عن طريق الزاب وسجلماسة[2] وبويع في القيروان في سنة 297هـ، واستقر برقادة قبل أن يخطط المهدية[3] التي كانت مأمنا له والبنات الفاطميات بصحبة الكتاميين الذين ساعدوه على إنشاء الدولة الفاطمية.وقد طعن المؤرخون في نسب عبيد الله في نسبه ونسب إلى عبد الله بن ميمون القداح، ولكن عبيد الله لم يهتم لهذا

---

(1) أبو عبد اله الشيعي هو أبو عبد الله الحسني بن علي الشيعي الملقب بالمعلم ناشر دعوة العبيديين في المغرب، أصله من صنعاء، وأرسله إلى المغرب لجمع الأنصار وقد أحاط دعوته بكثير من الأسرار والغموض. بدأ نشاطه الحربي والعسكري باستيلائه على قلعة ايكجان حصنا له، ثم زحف إلى ميله ثم القيروان التي طرد منها زيادة الله الأغلبي، وبذلك مهد العرش لعبيد الله، قتل هو وأخوه أبو العباس في رقادة عام 298هـ من عبيد الله المهدي الذي خشي منهما لكرة نفوذهما بين الكتاميين وقبائل البربر الآخرين -أبو زكريا يحي بن أبي بكر الصنهاجي، المصدر السابق، ص168، ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص31-ص52، المقريزي، المصدر السابق، ص85-ص88.

(2) **سجلماسة:** اسم لمدينة عتيقة كانت بأقصى جنوب المغرب بأقليم "تافيلات" أختطها عيسى بن يزيد الصفري الخارجي المكناسي، وجعلها عاصمة البلاد سنة 140هـ وفي سنة 160 هـ أصبحت ملك بني مدرار. واتخذها اليهود موطنا لهم بالنظر إلى أهميتها التجارية مع السودان. واشتهرت بتجارة الذهب القادم من السودان مقابل النحاس والودع والملح. وهؤلاء اليهود الذين وشوا بعبيد الله المهدي ألى اليسع بن مدرار حاكم سلجلماسة. ياقوت الحموي: معجم كاملا، ج ص45-138.

(3) **المهدية:**بنيت المهدية في شهر ذي القعدة من عام 303هـ، واختيرت لتكون مدينة للمهدي، لأنها جزيرة متصلة بالبر، فجعلها دار ملكه، وأحاطها بسور محكم، وأبواب عظيمة، وقصور ودور، ودار صناعة السفن، وارتبط بناء هذه المدينة بقول المهدي الفاطمي:"اليوم أمنت على الفاطميات" يعني بناته لم أرتحل تمّ بناؤها سنة 305هـ، وكان لهذه المدينة أرباض كثيرة آهلة عامرة، منها ربض زويلة، وفيه السواق والحمامات، وربض الحمي،وكما أمر المهدي ببناء مدينة أخرى بجوار مدينة المهدية وسماها زويلة نسبة إلى أحد قبائل البربر، المقريزي، المصدر السابق،ص101، ص102، ابن الأثير، المصدر السابق،ص94-95، الوزير السراج، المصدر السابق، ص24، عبد العزيز سالم،606-607، حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص524-525.

الأمر لأن أتباعه كانوا يؤمنون بالتفويض الإلهي الروحي والمستوى الذهني الخاص (السبب الروحي في الإمامة) و يعد مؤسس الأسرة التي حكمت المغرب ومصر وسورية أيضا.

وقد توفي عبيد الله سنة 322هـ وحكم 24 سنة.

وكان في مقدمة الإجراءات التي قام بها عقب خلافته[1] أنه قطع صلاة التراويح في شهر رمضان، وأمر بصيام يومين قبله، والقنوت في صلاة الجمعة قبل الركوع، والجهر بالبسملة في الصلاة المكتوبة وإسقاط آذان الصبح[2] وبنى قصرا دارا للصناعة،كما أمر بهدم قصور بني الأغلب[3] الموجودة ببلاد إفريقية وتخريبها وطمس معالمها ومحو آثارها ورسومها؛ فأمر أن تقلّع من المساجد المواجل والقصور والقناطر أسماء الذين بنوها وكتب عليها اسمه [4].

هكذا وضعت الأسس الأولى للخلافة الفاطمية في عهده؛ حيث ملك إفريقية كلها والمغرب بأسرها، وملك طرابلس وجزيرة جربة وصقلية، واستمرت في عهده هذه الفتوحات حتى وفاته وبايع لأبنه أبي القاسم قبل موته.

كما اهتم عبد الله المهدي في هذه المرحلة بقمع المذاهب الإسلامية وبالخصوص مذهب الخوارج الصفرية بسجلماسة؛ حيث قام بحرق المدينة وقتل علماءها وفقهاءها سنة 296هـ-910م. واستمر في قمعه هذا مع الخوارج الإباضية بتيهرت سنة 296هـ/909م، إذ قام

---

(1) الوزير السراج، المصدر السابق ص 25، أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص231-233، سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب الكبير، تاريخ دول الأغالبة والرّستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين، منشأة المعارف الإسكندرية، مصر، 1979،ج.2، ص582.

(2) الصنهاجي، المصدر السابق، ص17، صالح بن قربة، المرجع السابق، ص280.

(3)أسقط من آذان الصبح " الصلاة خير من النوم ، وزاد حي على خير العمل، محمد وعلي خير البشر مرتين، ونص الآذان طول مدة بني عبيد بعد التكبير والشهادتين حي على الصلاة وحي على الفلاح مرتين، حي على خير العمل، محمد وعلي خير البشر مرتين، مرتين لا إله إلا الله مرة، ثم يقول المؤذن: أحياك الله يا مولانا حافظ نظام الدنيا والدين وجامع شمل الإسلام والمسلمين، وأعز بسلطانك جانب الموحدين، وأباد بسيوفك كافة الملحدين-وصلى عليك وعلى آبائك الطاهرين، وأبنائك الأكرمين، ابن حماد الصنهاجي. المصدر السابق، ص 17، ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص 151، صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 263.

(4) ابن عذاري المراكشي ، المصدر السابق، ص59.

بحرق مكتبة المدينة التي اشتهر بها الرستميون؛ لأنهم كانوا يحبون العلم وكانوا هم أنفسهم علماء وفقهاء.

أما عن مذهب المالكية[1] فقد شن عليهم حربا منذ أن دخل الفاطميون القيروان بزعامة أبي عبيد الله المهدي، الذي حاول إدخال المذهب الإسماعيلي وأفكاره السياسية عنوة في المغرب. غير أن أغلب المفكرين والعلماء لم يستسلموا رغم التعذيب وبقوا أوفياء لمبادئ الإسلام الصحيحة متمسكين بمذهبهم. يقول الدباغ بهذا الصدد: " جازى الله مشيخة القيروان خيرا فهذا يموت وهذا يضرب وهذا يسجن، وهم صابرون لا يفرون ولوفروا لكفرت العامة دفعة واحدة[2].

---

(1) **المذهب المالكي**: نسبة إلى الإمام أبي عبد الله مالك بن أنس أحد أصحاب المذاهب الإسلامية السنية المعروفة، انتشر مذهب مالك أو المذهب المالكي أول في الحجاز والمغرب والأندلس انتشارا واسعا، وظل منتشرا إلى يومنا هذا يتبعه الملايين من المسلمين في المغرب والجزائر وتونس وليبيا وموريطانيا ونيجيريا، وله أتباع في الكويت والسودان، ويقدر عدد أتباع المذهب المالكي بمائة مليون تقريبا.

يقوم مذهب الإمام مالك على الاعتماد على القرآن الكريم الاستناد إلى الأحاديث النبوية بوجه خاص، ومن هنا كانت تسمية المذهب المالكي بمذهب أهل الحديث.

إلى جانب القرآن الكريم والحديث، أخذ المذهب المالكي بالقياس والإجماع، "وعمل أهل المدينة"، أي أعرافها، على أقوال الصحابة، وعلى المصالح المرسلة وهو دليل شرعي ينظر فيه إلى التعليل بالمصلحة والضرورة خروجا عن القياس والنص.

والموطأ هو أول كتاب جمع الأحاديث النبوية والفقه معا، وقد صنفت الأحاديث وبوبت فيه حسب المواضيع والمسائل.

ومن تلاميذ الإمام مالك محمد بن الحسن الشيباني الحنفي، والإمام محمد بن إدريس الشافعي الذي اتخذ لنفسه مذهبا خاصا وسطا بين المذهبين الحنفي والمالكي وهو المذهب الشافعي، وأسد بن الفرات جامع كتاب "المدونة" المنسوب إلى الإمام مالك، وعبد السلام التنوخي (سحنون) الذي رتب مدونة ابن الفرات ونشرها باسم "المدونة الكبرى" التي هي أساس العلم عند المالكية، وتوفي أنس بن ملك رضي الله عنه 93هـ وهو ابن مائة سنة، السيوطي: كتاب الموطأ: كتاب إسعاف المبطأ برجال الموطأ، قدم لها وراجعها ونسقها، فاروق سعد، ط.1، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979، ص7-8-9، ابن قنفد القسنطيني، كتاب الوفيات، تحقيق عالد بن نهيض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط.3، 1980، ص85.

(2) عبد المنعم ماجد، المرجع السابق،ص139-140-141.

بالإضافة إلى هذا، دعّم المهدي سلطته المذهبية والسياسية بتنظيم محكم للرعية معتمدا على مدارس الدعوة[1] التي كان يرأسها داعي الدعاة يسهر على نشر المذهب الإسماعيلي وإفهامه والدعوة له، وذلك قصد خدمة الدولة دون أن ننسى الدور والقصور والمساجد التي سخرت هي الأخرى لهذا الغرض.

وظلت الخلافة الفاطمية في عهد الخلفاء (المهدي، أبو القاسم، والمنصور)(297هـ-341هـ) تطبق نفس السياسة نفسها المبنية على الحذر والقوة إذ كان يشترط في الخليفة سعة التجربة والكفاءة، فالقائم بالله بن عبيد الله كان قبيل توليه الخلافة ماهرا في الحرب حاذقا في السياسة، حيث استطاع في حياة أبيه أن يغزو مصر مرات عديدة، ويخمد الثروات التي قامت في وجه الدولة الفاطمية بالمغرب [2] أما خلافة المعز لدين الله الذي اتسمت سياسته بنوع من

---

(1)**مدارس الدعوة:** حرص الفاطميون على تبليغ دعوتهم عن طريق المدارس التي سخرت لبث عقائد المذهب الإسماعيلي، إذ كان من مهامها ربط أتباعه به والربط بين رعاياه عامة حتى تبقى زعامته قائمة ويظل المذهب الإسماعيلي رائجا بينهم، وبالفعل قامت هذه المدارس بتنفيذ سياسة المهدي المزدوجة فزاد عبيد الله بإنشاء مدارس الدعوة حتى يظهر أمام رعاياه علويا صريحا يأخذ مناصري العلويين، مخفيا للمذهب الإسماعيلي ومبادئه في الوقت نفسه، وراجت هذه المدارس بالمهدية حاضرة الدولة الفاطمية الناشئة في عهد عبيد الله، ثم في عهد حفيدة المنصور، ثم في القاهرة في عهد المعز ومن جاء بعده من الخلفاء الفاطميين، وعرفت هذه المدارس في مصر باسم " مدارس الحكمة" وكان دورها كبير في نشر الثقافة الإسماعيلية، واهتمت الدولة الفاطمية كثيرا بهذه المدارس لتخريج دعاة ينشرون المذهب الإسماعيلي بين الناس في عامة البلاد الإسلامية ويكونوا أداة اتصال بين رياسة الدعوة والدولة ووحدت كذلك هذه المدارس في دور الستر، والقداح في سلمية والأهواز وغيرهما من نواحي العالم الإسلامي.

المدارس الأولى كان هدفها قلب حكومة بغداد وشغلها عن الإمام الإسماعيلي المستور، والجديد بالنسبة إلى المدارس الفاطمية أنها أصبحت تندفع في تيار السياسة الفكرية، والغرض الأول لها كان إيصال تعاليم هذه الدعوة ومناصرة الفاطميين والدفاع عنهم، وتزعم هذه الحركة الإصلاحية مفكرون وفقهاء، ورجال لغة وأدب ألفوا مؤلفات كثيرة خدمة للدولة الشيعية الجديدة (من جعفر بن منصور اليمن، صاحب مؤلفات كثيرة في الدور المغربي، وأبي حاتم الرازي، والقاضي النعمان)، حسين إبراهيم حسن، ج4، العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر والمغرب والأندلس، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المغربية ، القاهرة، ط13، 1991، ج 4، ص330، حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، المرجع السابق، ص 329.

(2) حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ص 267.

اللين والتفتح مع خصومه في مختلف المجالات فمن هو المعز لدين الله؟ وهل عرفت الخلافة في عهده خطوات جديدة في ميدان العقيدة والحكم؟

أما عن المعزّ لدين الله أبو تميم معد بن المنصور بن الطاهر إسماعيل بن القائم أبي القاسم محمد بن عبيد الله المهدي المولود يوم 11 رمضان سنة 317 هـ وقيل 318هـ بالمهدية، فتولى الحكم مباشرة بعد وفاة أبيه يوم 17 شوال 341هـ، في العشرين العمر إذ كان عالما بعلوم الدين وشاعرا [1] وعرف بشجاعته وفطنته وذكائه،وكانت خلافته كانت أكثر استقرارا من سابقيه، حيث جمع كل السلطات بيده، فكان المحرك لأمور الدولة،ومعين الولاة على الأقاليم بنفسه، وقائد الجيش، والمشرف على القضاء والشرطة معتمدا على رجاله في تطبيق أهدافه [2] واهتم بمدارس الدعوة، وتنظيم المناظرات وحضورها مع العلماء والفقهاء، صحح ما جاء عن الخلفاء الفاطميين معتمدا على القاضي النعمان الذي أرّخ للإسماعيلية الفاطمية، وألف كتبا كثيرة عن المذهب منها كتاب "المجالس والمسايرات"،" افتتاح الدعوة" ...بالإضافة إلى أنه أول من أظهر المذهب الرسمي للدولة الفاطمية، إذ حملت السكة في عهده تحمل شعارات شيعية واضحة لأول مرة بالمغرب الإسلامي كلها لتفضيل لعلى بن أبي طالب وتمجيده وتخصيصه بالوصاية والوزارة للنبي صلى الله عليه وسلم[3] وتم في عهده فتح مصر، وبنى القاهرة [4] .

---

[1] المقريزي، المصدر السابق، ص 134، ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص 221، ابن الأثير المصدر السابق، ص 590.

[2] صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 349-350، حسن إبراهيم حسن، طه أحمد شرف، المعز لدين الله، ط.2، النهضة المصرية، القاهرة، 63-1964، ص 13-61.

[3] صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 350، في سنة 349هـ وجه ابن تميم المعز لدين الله إلى أئمة المساجد المؤذنين بأمرهم ألا يؤذنوا أذانا إلا ويقولوا فيه:" حي على خير العمل" وأن يقرءوا " بسم الله الرحمان الرحيم في كل أول سورة ويسلموا تسليمتين ويكبروا على الجنائز خمسا، ولا يكبروا بالعشاء الأخيرة ولا تصيح وراء جنازة ولا يقرأ العميان على القبور إلا على الدفن، ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق ص 221.

[4] **مدينة القاهرة:** أسست مدينة القاهرة عام 358هـ، من طرف جوهر الصقلي، قائد جيوش الخليفة الفاطمي المعز لدين الله بعد سنة من استيلائه على مصر عام 359هـ، سماها مؤسسها في البداية

وجامع الأزهر [1] وهكذا نقل الخلافة الفاطمية من المغرب إلى المشرق (ابتداء من مصر ثم سوريا) ودامت فترة حكمه ثلاث وعشرين سنة قضاها كلها في خدمة المبادئ الشيعية والتخطيط لغزو مصر والاستقرار بها[2] .

"بالمنصورية"ربما تقربا إلى خليفته المعز إحياء ذكرى والده المنصور، وظلت تحمل هذا الاسم حتى قدوم المعز بعد أربع سنوات فسماها القاهرة، قاصدا من وراء هذه التسمية تفاؤلا ستقهر الخلافة العباسية.

ولم يكن قصد جوهر الصقلي من إنشائه مدينة القاهرة أن تكون قاعدة أو دارا للخلافة، بل قصد منها أن تكون مسكنا للخليفة وحرمه وحاشيته وخاصته، فأسس القصر، وعرف هذا القصر باسم القصر الشرقي الكبير، وأحاط المدينة بسور كبير، يتكون من أربعة أبواب: باب النصر، وباب الفتوح، وبابا زويلة، ثم أصبحت في عام 636هـ القاهرة عاصمة الخلافة الفاطمية، وانتقل المعز وأسرته من المغرب وأتخذ مصر موطنا له، فاتصلت بعد ذلك مبانيها بمباني الفسطاط وصارتا تؤلفان معا، أكبر المدن الإسلامية في العصور الوسطى المقريزي، المصدر السابق، ص159، محمد جمال الدين سرور، المرجع السابق،ص36، 37،حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص526-530.

(1) **تأسيس جامع الأزهر**: يعد جامع الأزهر من أهم معالم الفاطميين، وأول معلم فني معماري أقامه الفاطميون في مصر، ويقع جامع الأزهر في الجنوب الشرقي من قاهرة المعز ليس بعيدا عن القصر الكبير الذي كان موجودا بين حي الديلم وحي الترك في الجنوب، سمي هذا الجامع في بادئ الأمر بجامع القاهرة نسبه إلى العاصمة الجديدة التي بناها جوهر الصقلي، وكان الجامع وقت إنشائه يتوسط العاصمة الفاطمية الجديدة، ويشتمل على مكان مسقوف للصلاة يسمى المقصورة، وآخر غير مسقوف يسمى صحنا، وبنى به جوهر الصقلي كذلك مقصورة كبيرة، ومحرابا، يسمى الآن القبلة القديمة، وعرف الأزهر زيادات متنوعة على يد الخلفاء الفاطميين الذين تعاقبوا على الحكم.

وقد أنشئ الجامع الأزهر ليكون مسجدا رسميا للدولة الفاطمية في حاضرتها الجديدة، والخلفاء الفاطميون كانوا يحتفلون بإقامة الصلوات أيام الجمعة والأعياد والحفلات الدينية، ومعنى هذا أن مسجد الأزهر استخدم كمقر للدعوة الدينية، ورمز للسيادة الفاطمية الروحية، إذ كان تعقد فيه الجلسات الفقهية، ومركز للمحتسب العام، وفيه أيضا يعقد كثير من المجالس الخلافية والقضائية، وهو معهد للدرس والقراءة، محمد جمال الدين سرور، المرجع السابق، ص 38-39.

[2] ابن خلكان، الوفيات، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة.(د.ت).ص547.

2-مفهوم الخلافة بالدولة الفاطمية ببلاد المغرب

والآن أتسأل بعدما أعطينا لمحة قصيرة عن قيام الدولة وأبرز خلفائها في مرحلتها المغربية، أتطرق إلى مناقشة مسألة الحكم ومفهومه عند الأغالبة ثم مفهوم الخلافة الفاطمية للخلافة الإسلامية.

قبل التطرق إلى طبيعة الخلافة الفاطمية ببلاد المغرب، علينا أن نشير إلى خصائص الحكم الذي ميّز كل من الدولة الرستمية التي كانت على المذهب الإباضي الذي حصرّت سلطته هو الآخر في بيت واحد، غير أنه أوجد نوعا من الانتخاب في اختيار الإمام وإن كان هذا الانتخاب تقوم به طبقة معينة من الناس، إلا أنه في حقيقته لا يخرج عن النظام الوراثي أو دولة الأدارسة الذين كانوا على المذهب الزيدي[1] ، فيما يخص الإمامة فإن حكمهم ملكي دستوري أي لا مركزي وخاصة منذ عهد أدريس الثاني سنة 213هـ/818م) عكس ما قامت به الخلافة الفاطمية الشيعية لما أقامت حكمها بالمغرب الإسلامي متخذا من الإكراه والقوة أسلوبا في فرض النظام الجديد به. كذلك دولة الأغالبة السنية التي كانت أميرية معتدلة رغم أ أن حكمها كان حكما وراثيا منحصرا في عائلة واحدة لم يفرض في بلاد المغرب، بل تعايش كلهم في استقرار وسلم.

---

[1] **المذهب الزيدي:** انتشر هذا المذهب باليمن، نسبة إلى زيد بن علي بن الحسين (25هـ/743م) حفيد علي، والزيدية فرقة من الشيعة، لا تعتقد بوجوب الإمامة إرثا في أسرة معنية، وإنما عن طريق الانتخاب، فهي ترى أن الإمامة غير مقيدة بهذه الأسرة أو تلك، وإنما ينالها كل علوي مستوفي الشروط هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لا تعترف الزيدية بحقوق مقدسة لعلي، ولا تعتبر الخلفاء الذين أتوا بعده مغتصبين، ولهذا لم يرفضوا إمامة أبي بكر الصديق بقولهم بجواز إمامة المفضول مع الأفضل وبسبب هذا افترقوا عنه فقالوا له: وأنت أيضا فلم يظلمك أحد ولا حق لك في الأمر" ومنذ هذه الحادثة صاروا يسمون بالرافضة وسمي أتباع زيد بالزيدية ثم أصبحت الإمامة بين الأئمة الستة علي إلى الحسين، ثم الحسين، ابنه علي زين العبادين، ثم ابنه محمد الباقر ثم ابنه جعفر الصادق الذين لم يخالف أحد من الرافضة في إمامتهم ابن خلدون، المصدر السابق، مج، 4، ص35.

ارتكزت الخلافة الفاطمية كما هو معروف في بنائها على الدين[1] الذي يعد جوهر النظم التي وضعها الأئمة الفاطميين، ويوافقهم في هذا الرأي ابن خلدون الذي يقول أنه ليس من الممكن فصل الدين عن الدولة، فالدولة الإسلامية تقوم على ركائز و أعمدة تتشابك فيها الدولة بالدين[2] والخلافة الفاطمية مذهبية يقوم سلطانها السياسي على الإمامة الدينية ولهذا كان خلفاؤها يحيطون أنفسهم بالفضائل والخصال الحميدة.

والواضح بالفعل في السياسة الدينية لكل من الدولة الأموية والدولة العباسية، اللتين جعلتا من الحكم نظاما ملكيا مركزيا، ومن الدين دستورا ومصدرا للعمل السياسي والإداري، أن هذه السياسة الدينية لم يكن هدفها منطلق عقائدي بقدر ما كان سياسي فاتخذ الدين سبيلا لدعم نظام الحكم وضمان بقاء البيت الأموي والعباسي، ودعّم هذا الهدف بمظاهر أعمال الدينية كنشر الإسلام والجهاد، والحج، واتخاذ الألقاب وبلورة العقيدة الرسمية السنية للدولة وغيرها.

اتخذت الدولة الأموية، في الحكم سياسة عربية قائمة على العصبية العربية في تكوين دولتها عكس العباسيون الذين أخذوا في الحكم سياسة إسلامية باعتبار أن الدين هو الرباط الروحي بين الشعوب الإسلامية بمختلف أجناسها وألوانها.وتبع هذا بوضع نظرية سياسية سنية أوجدتها التجربة (الواقع العملي والممارسة السياسية) البعيدة عن الفكر النظري والاستلهام الديني[3].وكما أشارنا من قبل أن أعمال الخلفاء الدينية التي أوجبها المنصب الخلافي تأكيدا

---

(1) عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص11، حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص 329، أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 286.

(2) ابن خلدون، المصدر السابق، ص393، أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 286.

(3) قامت النظرية السياسية السنية التي وضعها العباسيون على أسس ستة، وكان لكل أساس من هذه الأسس شكله النظري الفكري ومجاله التطبيقي العملي في الحكم تدعيما للدين الإسلامي والدفاع عنه وجعل من الخلافة هي الصورة السياسية له، والأسس الست هي:1) إبراز القرابة من الرسول صلى الله عليه وسلم والحق في إرثه كأساس للشرعية في الحكم، 2) القيام بأمر الدين كتطبيق عملي لتلك القرابة مقابل ما أخذوه على الأمويين من إهمال كتاب الله وسنة رسوله، 3) تمثيل الجماعة الإسلامية في الحكم، 4) توطيد المذهب السني وجعله المذهب الرسمي 5) التعايش مع أهل الذمة كرعايا الدولة الإسلامية باعتبارهم جماعات يعترف بها الإسلام ضمن حدود ذلك الاعتراف.6) رفض الحركات المارقة والزندقة بقية ومحاربتها باعتبارها تهديدا

للخلافة مؤسسة دينية زاد من قداسة الخليفة الذي يستمد سلطته من الله سبحانه وتعالى حسب مفهومهم لذلك.

كان يرأس الدولة الفاطمية خليفة[1]، يتمتع كغيره من الخلفاء الأمويينو العباسيين في عصره بجميع الصلاحيات المنصوص عليها في كتب القانون العام، فهو يتصرف تصرفا مطلقا في الإدارة المدنية والعسكرية باعتباره خليفة وإماما، لا يشاركه في سلطته أي أحد، فهو صاحب الخلافة الشرعي، لأن الخليفة العباسي ببغداد والخليفة الأموي في قرطبة ما هما سوى شخصين مغتصبين للحكم. ومن أجل ذلك تمتد سلطته إلى جميع بلاد العالم التي سيورثها الله الأئمة الفاطميين، وبهذا يتمكن من أداء مهمته الجليلة المتمثلة في حماية الإسلام والمسلمين، والأمر بالمعروف والنهي على المنكر، غير متردد في قيادة جيشه لأداء واجب الجهاد المقدس[2].

للدين الإسلامي والخلافة (نظام حكمه) في نفس الوقت، شاكر مصطفى، المرجع السابق، ج2، ص5، 6، 8.

(1)خليفة: معناه خلف، يقال: خلفه في قومه، يخلقه خلافة فهو خليفة، ومنه قوله تعالى:" وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي" أي يخلفه بعده، وعليه حمل قوله تعالى في حق آدم عليه السلام" إني جاعل في الأرض خليفة"، وكذلك قول: إن آدم أوّل من عمر الأرض وخلفه فيها بنوه بعده. ولقب الخليفة قد نشب حوله خلافات بين جمهور المسلمين، فمنهم من يقول أن القائم بأمر المسلمين يسمى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنهم من يقتصر هذا اللقب على الخلفاء الراشدين وعلي وبنوه، الحسن والحسين فقط، القلقشندي، مآثر... المصدر السابق،ص 10-14.

(2) فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب 296هـ-365هـ/909م-975م) التاريخ السياسي والمؤسسات، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994، ص ص 419-417.

الألقاب الخلافية وشارات الملك:

ظل المغرب الإسلامي طيلة قرن من الزمن إمارة عباسية مستقلة، إلى أن أصبحت دار خلافة بعد قيام الدولة الفاطمية سنة 297هـ/909م على يد إمامها الإسماعيلي الشيعي عبيد الله المهدي الذي ادعى الشرعية على حساب الخلافة السنية من خلال اللقب الذي تلقب به الخلفاء الفاطميون "أمير المؤمنين".

كما تسمى الداعي "بالسيد" في المرحلة الانتقالية، ويلقب الخليفة المالك بأمير المؤمنين في عهد الخلافة الفاطمية، تقليدا للخليفة العباسي في بغداد والخليفة الأموي بقرطبة وانفراد بصفة الرئيس الروحي الأعلى وإلزاما لكافة المسلمين من خلالها وضعه من مراسيم وطقوس معقدة وفخمة[1].

أقيمت بالبلاط الفاطمي الاستقبالات العادية والاستثنائية التي يتضمنها نشاط الخليفة الرسمي، كاستقبال سفراء قيصر الروم بالقاعات ا لعظيمة التابعة لقصور الخليفة في المهدية والمنصورية[2] بالإضافة إلى الاحتفال بعيد عاشوراء، والعيدين (عيد الفطر وعيد الأضحى).

ومن أهم شارات الملك عند الفاطميين "التاج" الذي يرجع تاريخ استعماله في المغرب الإسلامي إلى عهد المعز الفاطمي. وهو عبارة عن إكليل مرصّع بالحجارة الكريمة ومركب من شريط دائري تعلوه ثلاث ورقات في شكل مثلث، وهذا الشكل يجعله يختلف عن تاج ملوك النصارى، ويعتبر التاج في نظر الرعايا شعارا خارقا للعادة حسب ما قاله كل من ابن هانئ والأيادي، وكذلك لما يحظى به الخليفة من مجد عظيم[3].

---

(1)فرحات الدشراوي، المرجع السابق، القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 425، ص424.

(2)إن أكبر وأعظم، احتفال أقيم في عهد الخلافة الفاطمية بالمغرب، كان يخص ختان أبناء خليفة المعز الثلاثة: عبد الله ونزار وعقيل سنة 351هـ/962م.

دام هذا الحفل أكثر من شهر في العاصمة وفي مختلف مدن الدولة من سجلماسة إلى بلرم، وفي المنصورية جرى الحفل بمحضر الخليفة في قصر البحر حول الماء والأشجار، وتسلم كافة المختونين مهما كانت وضعيتهم الاجتماعية هدايا كثيرة ومتنوعة، وخصت الدولة لهذه المناسبة أموالا طائلة لختان ما بين 500 و1000 طفل في اليوم، الدشراوي فرحات، المرجع السابق، ص427.

(3) ابن حماد، المصدر السابق، ص 45-69.

وكان الخلفاء الفاطميون يظهرون في الاحتفالات الرسمية جالسين على سرير (أي عرش) منذ عهد المهدي، فقد استقبل المعز مبعوث قيصير الروم نقفور فقاس في موكب ضخم فخم بقصر البحر وهو جالس على سرير[1]، وفي بعض الأحيان كان الخليفة الفاطمي ومنهم المعز يتظاهر بالبساطة مثل ما فعله، عندما استدعى عدة شيوخ من كتامة " وأمر بإدخالهم من غير الباب الذي جرى الرسم به، فإذا هو في مجلس مربع كبير مفروش باللبود على مطارح، وحوله كساء، وعليه جبة، وحواليه أبواب مفتحة تفضي إلى خزائن كتب، وبين يديه مرفع ودواة، وكتب حواليه...."[2].

أما العلامة الأخرى التي اختص بها الخليفة الفاطمي فهي " المظلة" التي وجدت بقصد إبعاد وهج الشمس عنه، وحامل هذه المظّلة يسمى "بصاحب المظلة" وهي شبه درقة في رأس رمح محكمة الصنعة، رائقة المنظر، مرصعة كلها بالجواهر والأحجار الكريمة إلى حد أنها تبهر أو تسحر الناظرين. وفي عهد المهدي عهدت هذه الخطة إلى شخصين اثنين هما، الفتى مسعود، والفتى غيس[3].

كما كان الخاتم عند الفاطميين شعارا لسلطتهم وأساسا من أسس شارات الملك. وهو من ذهب ينقش عليه عبارات في شكل شعار يشير إلى انتصار قضيتهم، فخاتم المهدي يحمل " بنصر الدائم ينتصر الإمام أبو قاسم "[4].

أما الإمام المنصور، فشعاره كان يحمل بصورة أوضح المذهب الإسماعلي " بنصر الباطن الظاهر، ينتصر الإمام أبو الطاهر"[5].

وأخيرا كان شعار المعز: " في سبيل الله الواحد الأوحد، يدعو الإمام معد"[6]

---

(1) ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص69.

(2) المقريزي، المصدر السابق، ص 136-137.

(3) القاضي النعمان، المصدر السابق، ص14-15.

(4) المقريزي، المصدر السابق، ص106.

(5) نفسه، ص 133.

(6) ابن حماد، المصدر السابق، ص47-71.

وكان يكتب اسم الخليفة ولقبه في مقدمة المقدمة إلى القادة العسكريين عند خـــروجهم إلى القتال " وفي الطراز من أعمال العبيد الرقامين بالذهب فيما يلبسه الأئمة... وكذلك أيضا في البسط مما يعمله العبيد من عجيب أعمالهم ومعجز صنعتهم، وهذه النقوش كانت مـــأخوذة من المذهب الإسماعيلي والمطابقة لتوجيهات الخليفة، تحتل مساحة كبيرة من الأقمشة والبســـط المطروزة[1].

زيادة على هذه الشارات، هناك شعاران آخران من شعارات السيادة والخاصة بالخلفاء الفاطميين، وهما الطبل والمذبة اللذان استخدمهما المهدي الفاطمي منـــذ الوهلـــة الأولى عنـــد وصوله إلى المغرب متأثرا بلا شك بأهل الشام، والمذبة استعملها الآشوريون والفرس في محالفهم العسكرية.

ترأس الخلافة الفاطمية خليفة، يستعين في ممارسة الأعمال بولي العهد وعدة أشـــخاص من أعيان البلد الذين يتقاسمون المناصب العليا في الدولة، وولاية العهد كانت في أغلب الأحيان لابن الأكبر للخليفة، وهذا ما كان يميز الخلافة الفاطمية عن الخلافة الأمويـــة[2] والعباســـية[3] والخلافة الأموية كانت خلافة وراثية منذ أوائل خلافة معاوية الذي سنّها بغرض بث نوع مـــن الإستقرار، بسبب الصراع القائم بين البيت الأموي والجماعات الموالية لعليّ كرّم الله وجهـــه، مستعملة منذ ظهورها بالقوة مما زاد من حدة التوتر لفترات طويلة.

---

(1) نفسه، ص88.

(2) تميز نظام ولاية العهد في للدولة الأموية والعباسية بعدم وجود نظام معين لوراثة الخلافة، فمـــثلا عهـــد الخلفاء الأمويين الخلافة إلى أكثر من واحد، مما أدى إلى انقسام البيت الأموي، فقد كان ولي العهـــد الأول عندما يصبح خليفة يحاول بدوره تعيين ابنه بعده، وخلع ولي عهده. وأول من ارتكب هذا الخطأ مروان بـــن الحكم، فقد عهد بالخلافة لولديه عبد الملك ثم عبد العزيز وقد حاول عبد الملك خلع أخيه، علـــي حســـين الخربوطلي، المرجع السابق ،ص120.

(3)ويعلّق الدكتور فيليب حتى على نظام ولاية العهد في العصر العباسي فيقول: " ولقد حذا العباسيون حذو الأمويين في نظام الوراثة غير الواضحة المعالم، وكانت نتيجة سيئة عليهم كما كانت سيئة علـــى أســـلافهم الأمويين، علي حسين الخربوطلي، المرجع السابق، ص 202-203.

البيعة:

أخضع أهل السنة نظام البيعة[1] واعتلاء الخليفة العرش لشروط وتقاليد نشأت مع هذا النظام الجديد أي "الخلافة" بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم. وترتكز البيعة عند المسلمين عموما على تعيين الخليفة عن طريق الشورى وموافقة أهل الحل والعقد. مثل ما حدث في خلافة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، بينما تقوم البيعة في الدولة الفاطمية على ما جاء به المذهب الشيعي الإسماعيلي الممثل في شخصية الخليفة الممنوح نوع من القداسة والعصمة، واختياره لولي عهده يعبر عن إرادة الله، لأن هذا الخليفة المختار سيكون حاكما للبشر في حياة الدنيا[2]. وبعد هذا التعين (خلفه وحجته) يقوم الخليفة الفاطمي بإطلاع مستودعة باسم الخليفة الجديد، ولا يظهر إلا في الوقت المناسب، وهذه الطريقة موروثة عن التقاليد الإسماعيلية، تبين أن الفاطميين ظلوا متمسكين بشرعيتهم في الحكم لقيادة العالم الإسلامي.

وتكون البيعة عند الفاطميين صريحة ولا يحق لجماعة المؤمنين التدخل في ذلك، فهي وحي من الله ولهذا يجب الخضوع لإرادة الله عز وجل، وطاعة الإمام طاعة عمياء لا جدال فيها. وأول من بويع هذه البيعة مؤسس الدولة الفاطمية المهدي عبيد الله أثناء صلاة الجمعة.

فتوالت عليه وفود البلدان من كل مكان لمبايعته باعتباره "أمير المؤمنين" والرئيس الأعلى لأتباعه من المؤمنين وجميع المسلمين الذين هم على مذهبه[3].

---

(1) البيعة والمبايعة كالبيع الحقيقي، معناها المعاقدة والمعاهدة، والطاعة والميثاق وهي نوعان بيعات الخلفاء وبيعات الملوك، ترتكز الأولى على إيمان البيعة واشتهرت بين الفقهاء، وأول من قام بهذه البيعة الحجاج بن يوسف حين كان يأخذ البيعة من أهل العراق للخليفة عبد الملك بن مروان.
أما بيعات الملوك فتعود جذورها إلى النبي صلى الله عليه وسلم عندما فوض أمر اليمن في حياته إلى عمرو بن حزم رضي الله عنه، القلقشندي، في كتاب صبح الأعشى، عرض وتحليل، عبد اللطيف حمزة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1962، ص226. محمود الخالدي: البيعة في الفكر السياسي الإسلامي، ط.خ، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر، مكتبة الرسالة الحديثة، الأردن، 88، 1989،ص17و 37.

(2) فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص 431-432.

(3) فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص434.

واتبعت هذه الطريقة في مبايعة الخلفاء الثلاثة، القائم والمنصور، والمعرضين يتم تنصيب ولي عهد الخليفة الفاطمي في فترتين متتاليتين قبل وفاة الإمام وبعدها، أثناء مرحلتين اثنتين يذكران بمرحلتي البيعة عند أهل السنة، أي البيعة الخاصة والبيعة العامة.

كان تنصيب الخليفة المنصور، كان في قصر الخلافة، بحضور "شيوخ الدعوة" وافتتح الاجتماع" شيخ الخطبة صولات رئيس لهيصة، أحد يطوف كتامة الذي قرأ الوصية مرتين متتابعتين ثم تقدم إلى الخليفة، فقرأ الوصية للمرة الثالثة ليكون التصريح بتعيين إسماعيل وليا للعهد ثم أمر الحاضرين بمبايعته، فسجد شيوخ الدعوة تعبيرا عن موافقتهم على قرار إمامهم.

أما البيعة الثانية فكانت عامة لم تتم إلا بعد وفاة القائم، وانتصار المنصور على ثورة الخوارج سنة 366هـ-947م، فنادى المؤذنون الآذان لصلاة الظهر: السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، وتلقب الخليفة الجديد في الحين بالمنصور اللّه، وهنأه الناس بالخلافة ثم طلب الخليفة المنصور بإرسال الكتب إلى الأمصار والأعمال لتأكيد أنه أمير المؤمنين واثبات ذلك في الطراز وفي دار الضرب أي السكة. كما أمر اتباعه على الطاعة والاعتراف بسلطته كإشارة إلى مبايعتهم له[1].

ومن المشهور أن التصريح بتعيين المعزّ وليا لعهد أبيه المنصور قد تم في أيام جده القائم بأمر الله[2] الذي طلب من ولده المنصور أن يولي ابنه تفاديا للخلافات التي قد تحصل داخل الأسرة الفاطمية حول الوراثة على العرش، وبالفعل تمّ تعيين المعز الفاطمي على الدولة ممتثلا لقاعدة "النص" حيث قال لابنه: " إن ما خولني الله من الكرامة واصطفاني به من الإمامة، فإنما هو متاع عندي وعارية في يدي لانقضاء المدة وتمام العدة، ثم هو لك بحكم الله وأمره[3].

وبالفعل أعلن تولي المعز لدين الله مهام الإمامة والخلافة بعد وفاة أبيه يوم 29 شوال سنة 19/341 مارس 953م، وانتصاره على أبي يزيد على توليه مهام الإمامة والخلافة في حفل رسمي حضره شيوخ وأعيان وأفراد الحاشية[4].

---

(1) نفسه، ص 437.

(2) القاضي النعمان، المصدر السابق، ص469.

(3) نفسه، ص 124.

(4) فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص 438.

ومن المعلوم أن قليل من الخلفاء تم تنصيبهم أو توليتهم دون معارضة، وكانت البيعة تقوم على موافقة البيت الملكي والأعيان والأشراف والفقهاء والعامة على ولي العهد الذي تم اختياره من طرف الخليفة، صيغت دعوة البيعة عند بني أمية حسب مضامن الظروف والسلوك الخاص بالخليفة، رغم وجود خطب التولية وهي أهم وثائق الدعوة إلى البيعة – أيضا- صورة واضحة لنوايا واتجاهات كل خليفة الذي أصبح "خليفة الله" وظل الله في الأرض" بعدما كان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتداء من عهد عبد الملك بن مروان.

إن ولاية العهد التي أوجدها الأمويون والعباسيون لم تختلف في محتواها عن فكرة الوصاية التي روجها الفاطميين التي تشبه إلى حد كبير ولاية العهد والتي سنها كل من الأمويين والعباسيين، وكان الخليفة يعهد بالخلافة إلى أحد أبنائه ثم تتحدد هذه البيعة بعد وفاته ولكنها صارت قائمة على العصبية العائلية، وعلى الترغيب والترهيب من أجل الاحتفاظ بالملك مما تسبب فيما بعد في ذهاب رسم الخلافة[1].

أما الخلافة الفاطمية فكانت خلافة وراثية تتم ذلك عن طريق التعين بالنص، لأن الخليفة الفاطمي باعتباره إماما يرث ابنه بهذه الطريقة.

ويعين الخليفة ولي عهده قبل وفاته، حتى لا يخلو العالم من إمام حسب اعتقادهم، وكان لهذه الطريقة ميزاتها، إذ يشترط على ولي العهد أن يكون كفئ لهذا المنصب الخطير، كبير السن وواسع التجربة. وتجدد بيعته بعد وفاة الخليفة مباشرة.

والملاحظ لم يختلف نظام الوراثة الذي سارت عليه الخلفاء الفاطميون عن مبدأ الوراثة الذي سارت عليه كل من الدولة الأموية والعباسية السنية فقد انتقل من نظام شوري وانتخابي إلى نظام وراثي[2] كما قلدت الدولة الفاطمية الدولة العباسية في نظام حكومتها وسائر شؤونها[3] إلا فيما يتعلق بالدين، لأن

---

(1) علي عبد الرزاق: المرجع السابق، ص 6، حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق ص 267.

(2) صبحي الصالح، النظم السياسية نشأتها وتطورها، ط،4، دار العلم للملايين، بيروت 1978-ص275.

(3) قلّد الفاطميون النظام السياسي والاقتصادي والمالي والاجتماعي الذي وضعته الخلافة العباسية، وهذا التقليد دليل على شدة الصراع القائم بين الخلافتين بالمغرب والمشرق، فالاحتفالات الدينية والمراسيم كانت تنظمها الخلافتين كانت تتشابه إلى حد كبير، كالاحتفال بتوليه العرش، وإحياء مناسبة المولد النبوي الشريف،

الإمـــــامة[1] الفاطمية تميزت عن غيرها أنها إمامة دينية وراثية تقوم على أساسين، أولها العلم اللادّني[2] الموروث عن النبي صلى الله عليه وسلّم عن طريق علي كرّم الله وجهه ثم أولاده.مـــن بعده إلى الفاطميين، والأساس الثاني هو مسألة الوصاية باعتبار أن الإمامة الفاطمية وراثية لوصية عليّ كرم الله وجهه[3].

وهذا يعني بالنسبة إلى الفاطميين أن الوصاية مثل القرآن موحى بها مـــن الله، وتكـــون الإمامة إرثا في بيت عليّ كرّم الله وجهه إلى يوم الدين، ولهذا جعل الشيعة ومنهم الفـــاطميون الإمامة أعلى من النبوة؛ لأن الإمام يستمد قوته من الله مباشرة دون وسيط.(عكس الأنبيـــاء) وجاء في هذا المعنى قول ابن خلدون" ...ثم حدث فيهم من بعد ذلك القول بالإمـــام المعصـــوم وكثرت التآليف في مذاهبهم وجاء الإسماعيلية منهم يدعون ألوهية الإمام بنوع مـــن الحلـــول وآخرون يدّعون رجعة من مات من الأئمة بنوع التناسخ وآخرون ينتظرون مجيء من يقطـــع بموته منهم..إذ يعتبرون الإمام صاحب السلطة الوحيدة القادرة على النظر في كل المسائل الـــتي

ويوم عاشوراء وغيرها من هذه الاحتفالات الدينية كانت تسخر لها أموال وشخصيات لإنجاحها، فشـــجعت الأعمال الفكرية والأدبية التي كانت تخدم مصلحة الخلافتين السنية والشيعية، وزخر بلاطهما بالأبهة والثـــراء، بالإضافة إلى تنظيم نظام الجباية والسكة، التي كانت تعبر عن الاتجاهات السياسية والاقتصادية والمذهبية للدولة، وقد حاولت كل خلافة اكتساب مناطق وحلفاء خدمة لمبادئهما وأهدافهما السياسية.

(1) استعمل الشيعة كلمة " إمامة" للدلالة على " الخلافة " وأصل كلمة الإمامة أو فيما يعرف "بالوصاية" أو تولية النبي " لعلي" مشتقة من فعل "أوصى" لتدل على معنى "ولى" وهي مثل القرآن، موحى بها من الله، حتى تكون الإمامة "إرثا" في بيت علّي إلى يوم الدين، عبد المنعم ماجد: المرجع السابق، ج1، ص51.

(2) العلم اللادني يقصد به أن الإمامة كامنة في جوهر عليّ كرم الله وجهه بالفطرة، فمنذ أن خلـــق الله آدم تسلسلت في أعقابه واحد تلو الآخر مادة نورانية إلهية انتهت إلى صلب الجد المشترك لمحمد صـــلى الله عليـــه وسلّم وعليّ كرّم الله وجهه. أنقسم هذا النور الإلهي بين أبي طالب والد علّي وعبد الله والد محمد. ولما مات الرسول عليه الصلاة والسلام أوصى بالإمامة لعلي فنال عليّ بذلك النورين معا. فيكون أقوى باعتبارا من النبي الذي لم يرث إلا نورا واحدا، وهذا النور الذي أصاب عليّ رضي الله عنه ينتقل إلى ذريته الأئمة من بعـــده جيل: وهذه الميزة تمكنهم من تفسير الأحكام الشرعية وتطبيقها، ابن خلدون، المصدر السابق، ص326.

(3) أحمد مختار العبادي، المرجع السابق،ص 262-ص263.

تفصل فيها الشريعة المتسلسلة منذ بدء الخليقة ليؤخذ بأحكامه فيها في كافة العصور التالية كما أن هذه السلطة هي وحدها القادرة على تفسير الأحكام الشرعية وتطبيقها [1].

وحسب نظر الفاطميين فالإمام معصوم [*] من الخطأ، وطاعته جزء من الإيمان وهو المعلم الأكبر؛ لأنه ورث العلوم اللادنية عن النبي صلى الله عليه وسلّم عن طريق علي رضي الله عنه ثم أولاده إلى الفاطميين من بعده ، وسمح قانون الوراثة الشيعي أن يتلقى أسرار العلم اللادني من لم يبلغ سن الرشد وعلى هذا الأساس كان من الممكن أن يلي الإمامة من كان قاصرا.

أما عن الأساس الثاني للخلافة الفاطمية وهو" النص" على ولاية العهد، الذي يعد مظهرا من إرادة الله نفسها والتي يجب أن يخضع لها كل الآراء المختلفة في تعيين رئيس الأمة الذي يجب أن يكون من سلالة علّي وزوجته فاطمة الزهراء عكس ما عند السنيين الذين يطلبون شروطا لازمة في شخص الخليفة المتفق عليه بإجماع الأمة[2] والخلافة الفاطمية رافضية أي أنها ترفض إمامة أبي بكر الصديق وعمر، وترى أن عليّا أحق بالإمامة بعد النبي محمد صلى الله عليه وسلّم[3] والغريب أنه لا يعرف هذه الوصية إن كانت عبارة عن أمر مكتوب أو أمر

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص326، عبد الله علي علاّم، المرجع السابق، ص240-241.

(*) إن عصمة الأئمة من المبادئ الشيعية الأساسية، فالأئمة عند الشيعة معصومون من الكبائر والصغائر والخطأ والنسيان، وأعمالهم غير قابلة للنقد والاعتراض، فهم مصدر النور والعلم والتشريع والهداية. فهي عصمة مطلقة، وهذا لا يتفق مع سنة الكون الذي تتجانس فيه قوى الخير والشر ولا تتفق مع قصد الدين، ومن المفكرين الذين تعرضوا لهذه النقطة أي العصمة نجد أبي جامد الغزالي يقول: وليس في الوجود آدمي إلا وشهوته سابقة على عقله وغريزته عدة لشيطان، متقدمة على غريزته التي هي عدة الملائكة، محمود شاكر، المرجع السابق، ص 38-39-40.

(2) حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص 55-56.

(3) يرى فقهاء المذهب الفاطمي أن عليا رضي الله عنه أحق بالخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلّم لا عن طريق الكفاية فقط بل عن طريق النص (**الوصية**).فيقولون أن النبي بعد حجة الوداع، قال في غدير خم بمكة " **من كنت مولاه فعليّ مولاه" اللهم وال من ولاّه، وعاد من عاداه**" وقوله أيضا "علي منّي بمنزلة هارون من موسى"، ولهذا يرفضون خلافة أبي بكر الصديق وعمر، عكس الخوارج الذين يعترفون

شفوي أو حتى تلميح بسيط من طرف الإمام لولي عهده الذي ينص عليه، وهذه الوصي تمنح للخليفة طبيعة روحية تنتقل بالوراثة من إمام زائل إلى إمام مستخلف[1].

وقد تصور هذا التصور للسلطة الذي وصفه خلفاء الدولة الفاطمية بالمغرب، بحاشية سياسية، يمثلها الخليفة كجهاز منظم للدولة، ويعد القصر الخلافي محور النشاط السياسي كله.

وكانت هذه الحاشية السياسية ذات مناصب إدارية تابعة مباشرة لرئيس الدولة، وانحصر دورها في تنفيذ أوامر السلطة العليا، وينتمي أفرادها إلى فئات عرقية مختلفة، أبرزها، فئة العرب والبربر والصقالية الذين خدموا الخليفة المهدي بكل إخلاص ووليت لهم مهام مدنية وعسكرية، كما أنهم عينوا على رأس أهم الدواوين (مدنية وعسكرية).

أما عن فئة الكتاميين، التي سايرت الدولة الفاطمية من مرحلتها الأولى، أي مرحلة الدعوة حتى قيامها، قد خصّوا بمعاملة خاصة، وخاصة في عهد المعز الفاطمي الذي أظهر حبا كبير لهم، فغمرهم بالمال والنعم قبل[2] انتقاله إلى مصر.

وهذه المساهمة الكبرى التي قامت بها هذه الفئات الثلاث في دعم الدعوة الفاطمية وإصلاحاتها السياسية والدينية، تولد عنها إنشاء مجلس يشارك الداعي[3] في ممارسة السلطة، وكان يتكون من مشايخ كتامة التي قسّمت إلى سبعة، كان دور المشيخة البربرية التمسك بزمام الحكم ولكن بعد المؤامرات الفاشلة التي قام بها هؤلاء وقتل زعماؤها، حصرت مهامها في الإحاطة بالأولياء الذين كان يعتمد عليهم الداعي في نشر الدعوة الفاطمية الإسماعيلية داخل

بشرعية خلافة عثمان إلا في السنوات الست الأولى، وعليّ منذ بدايتها حتى معركة صفين، قلهوزن يوليوس: المرجع السابق، ص39.

(1) تذكر بعض الروايات الفاطمية أن عليّا كرّم الله وجهه قد ورث عن الرسول صلى الله عليه وسلّم بعض علومه الإلهية، ولا ندري ما هذه العلوم الإلهية، فنقلها عليّ إلى أبنائه ثم إلى أحفاده حتى الأئمة الفاطميين. وربما هذه العلوم تشتمل على تفسير القرآن (**علم التأويل**) أو على معارف جغرافية وعلى أسماء الملوك وبعض الدعاة حتى يوم البعث. وقال المعز لدين الله أن هذا العلم كان يتضاعف ست مرات عند نقله إلى إمام جديد، حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص60.

(2) فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص449.

(3) القاضي النعمان، المصدر السابق، ص -6، 254، 255.

حدود دولته وخارجها، من أجل منافسة فقهاء المالكية، ومرافقة الإمام في الاستقبالات الرسمية، وهكذا تقلص نفوذ شيوخ كتامة في الخلافة الفاطمية، وصاروا يحتلون المرتبة الثالثة بعد الإمـــام وحجته ومستودعه.

والخطة الأخرى التي حلت محل هذا المجلس، تمثلت في خطة الحجابة [1] التي تطـــورت خلال الفترة الفاطمية الأفريقية، وكان يترأسها الصقالبة الذين اشـــتهروا بـــولائهم الشـــديد للمهدي الفاطمي [2]، وقد نسب أربعة حجاب له وهم: أبو الفضل جعفر بن علي، وأبو أحمد جعفر بن عبيد، وأبو الحسن طيب بن إسماعيل المعروف بالخادن، وأبو سعد عثمان بن ســـعيد المعروف باسم مسلم السجلمائي [3].

في هذه المرحلة اختص هؤلاء برعاية أهل الدار، ثم تطور دورهم فصار الوقوف يمـــين ويسار العرش والقيام بالحجابة أثناء المواكب الرسمية التي يحضرها الخليفة، فأصـــبحت بـــذلك مهمة تشريفية أكثر من خدمة منزلية، ثم عهدت لهم بعض المهمات كالتي قام بها جعفر الحاجب أثناء الحملة على أبي يزيد فكان أحد كبار قواد المنصور، وحينما خلفه هذا الأخـــير بإســـقاط الجباية على أهل إفريقية، وكانت له إمامة صلاة الجمعة، وحراسة أبي يزيد الذي أصيب بجروح ووقع في الأسر.

أما عن نشأة الوزارة، والتي تعد من الوظائف الديوانية. فإن الوزير هو صاحب قلـــم، وإذا كان الوزير صاحب سيف، يقوم الخليفة نفسه بتقليده، ويقف ببابه خمســـة حجـــاب ولا

---

(1) خطة الحجابة، يقوم بها حاجب وهو في الأصل مبلغ الأخبار من الرعية إلى الإمام، وهي وظيفة قديمـــة ابتدأت بابتداء الخلافة، فحاجب أبي بكر الصديق كان شديدا، وحاجب عمر"يرفأ" وحاجـــب عثمـــان "حمران"... ثم تطور هذا اللقب فصار في الخلافة الأموية بالأندلس، يقوم مقام الخليفـــة، أمـــا في الدولـــة الفاطمية، أطلق عليه لقب "صاحب الباب".القلقشندي، صبح الأعشى، ص171.

(2) ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص159.

(3) هؤلاء الحجاب كانوا من أصل نصراني، دخلوا في خدمة المهدي الفاطمي قبل مجيئه إلى المغرب وإعلان دولته الشيعية، فمثلا أبو الفضل جعفر، وابن عمه كانوا أقرب المقربين لأهل الدار، فقد تشرّف على رعاية وتربية أبناء الخليفة المهدي، ثم أبناء الشيخ وأحفاده، ثم تطور استخدامهم، فصاروا يقومون بدور الحجابـــة أثناء المواكب الرسمية التي يحضرها الخليفة. فرحات الدشرواي، المرجع السابق، ص444.

يقوم لأحد وهو بمجلس الحكم مهما كان قدره [1]، والوزارة الفاطمية كانت تكمله للإدارية الموروثة عن العهد الأغلبي. وسميت الوزارة في عهدهم بالوساطة [2].

وكان دورها تنفيذي فقط، ولكن هذا لم يمنع من بروز شخصيات احتلت منصب التفويض مثل ما حدث في عهد الخليفة المنصور الذي أوكل وزارة التفويض "لجوذر" الذي ارتقى إلى أعلى رتبة إلى جانب ولي العهد، وسماه"بمولى أمير المؤمنين" وأمره بتصدير الوثائق الرسمية بهذه العبارات: "من حوذر مولى أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان"، وعهد إليه حراسة أهل القصر، والسهر على حفظ الأمن والنظام في البلاد، ومراقبة المصالح الإدارية العمومية ونشاط العمال بالنواحي. واستمرت سلطة حوذر هذا في عهد المعز الفاطمي بوصفه الخادم المفضل، فقد كان يحظى برعاية الخليفة ومودته [3].

مفهوم الخلافة (الإمامة) وتطوره.

إنّ نظام الخلافة يقوم على النّص وهو مبدأ أساسي في العقيدة الفاطمية ومنه نشأت فكرة الوصية ولقبّ علي بالوصي، ولقبّ من جاء بعده بالأئمة. ومرتبة الوصاية عندهم أعلى من مرتبة الإمامة وتلي مرتبة النبوة وتنتقل من الآباء إلى الأبناء، ولا تنتقل من الأخ إلى الأخ بعد انتقالها من الحسن إلى الحسين ولدي علي بن أبي طالب.

بالإضافة إلىالنص أو " **الوصية**" أوجد الفاطميون مبدأ آخر " **الولاية**" بمعنى الطاعة للإمام، والهدف من هذا هو تثبيت وتأييد النص، إذا فالولاية فرض جوهري من فروض الدين[4] والمجتمع والدعامة الأولى من الدعائم السبعة التي بني عليها الإسلام الفاطمي، وهي

---

(1) القلقشندي، صبح الأعشى، المصدر السابق، ص126.

(2) نفسه، ص171.

(3) فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص453.

(4) إن كلمة " **إمام**" عند الشيعة مساوية لكلمة " **الدين**" فمن لا إمام له، لا دين له، وهو تائه، وإن مات على هذه الحال مات ميتة كفر ونفاق. ولتأييد عقائدهم وتجسيدها في إمامهم يقومون بتأويل القرآن كما يشاء خيالهم في قوله تعالى: ((**و جعلنا له نورا يمشي في الناس**)) النور هو الإمام الذي يقود المسلم-زيادة على ما قاله إمامهم أبو جعفر " **محمد الباقر**" نحن خزانة علم الله، ونحن تراجمة وحي الله، نحن

الولاية، والطهارة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، والولاية إذا هي سلطة الإمام، وعصمته، ويجب أن تكون شاملة تجمع،كل الأمة الإسلامية وفق شروط البيعة[1] المتمثلة في واجب كل فرد من أسرة الإمام ومن أعيان دولته ووجهائها الدخول فيها وإعلان الطاعة له. والعهد على الطاعة لم يكن عند الفاطميين نصّا يقرأ، وإنما يعبّر عنه مجازا كتقبيل الأرض بين يدي الخليفة أو تقبيل اليد والأرجل.

يملك الإمام كذلك سلطات واسعة دينية ودنيوية، فمهمته الدينية تكمن في إشرافه على تنظيم الدعوة ومبادئها لأنه الوحيد الذي يستطيع تفسير المعنى الصحيح للقرآن بالنظر إلى معرفته للمعنى الباطن للدين والمعنى المؤول، فحسب معتقداتهم أن الدين لا يكون تاما إلا بعلم الإمام[2].

ويقول القاضي النعمان في كتابه"المجالس والمسايرات" عن المعز لدين الله أنه الرجل الذي تحصّل على علم الأولين والآخرين، فالمعز متبحر في كل علم وفن، عارف بعلم الظاهر وعلم الباطن وبأحكام الدنيا وأصوله وفروعه، و بالعلوم الرياضية والطب والهندسة، وعلم النجوم والفلسفة...وهو متضلع في الفقه يجيب على قضايا عويصة، فإن هذا العلم يرثه وارثه كما يرث الخلافة تماما... [3] ، ولما كانت الخلافة هي السلطة العليا للدولة، حرص الفاطميون ومنهم المعز على أن تكون في ألقابهم واجدرهم، وقد أدرك المعز أن الخطة التي وضعها الخلفاء الثلاثة الأوائل هي كيفية النصوص بشؤون الرعية دنيويا ودينيا فيقول:" للناس شغل بدنياهم وما يتلذذون به منها، وشغلنا إقامة أودهم، وصلاح أحوالهم، والنظر فيما يعود عليهم، ويحمي حماهم، ويدفع عن بضيئهم ويحقن دمائهم، ويحصن ترميمهم وأموالهم..."

الحجة البالغة على من دون السماء، ومن فوق الأرض"، علي عبد الله علام، المرجع السابق، ص 252.

حسن إبراهيم حسن، علي إبراهيم حسن، النظم...، المرجع السابق، ص9.

(1) **البيعة**:أصبحت البيعة في عهد الأمويين رسما شكليا يقبل عليها الناس، لأن نظام الخلافة بعدما استقر في نظام وراثي أصبح يتميز بالقوة والمال، فلا ضرورة للبيعة لإقامة حاكم مسلم عادل.

(2) محمد جمال الدين سرور، المرجع السابق، ص 170-180، حسن إبراهيم حسن، ص، 267.

(3) ابن خلدون، المصدر السابق، ص 26، حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص264-267.

وقد دفعت هذه الدراية الواسعة بالشؤون الدينية والسياسية التي تمتع بها الخلفاء الفاطميين، بإحاطة أنفسهم بنوع من القداسة، وكانوا يرون في هذا التقديس [1] إعلاء لشأنهم واعتبروا أنفسهم هداة لهم، وكانوا كذلك يلقبون أنفسهم بألقاب كثيرة تشبيها بخلفاء الدولة العباسية ببغداد كألقاب، وضائفية أو فخرية، فالعباسيون تميزت ألقابهم بأنها ألقاب دينية ترمز لسياستهم الدينية، فكلها حملت معنا واحدا وهي الهداية الدينية وحفظها، ومن هذه الألقاب العباسية نجد المهدي والهادي والرشيد والأمين والمأمون، وكذلك ألقاب ولي العهد المؤتمن والناطق بالحق، كما اتخذ الأمويون لقب الخلافة في عهد عبد الرحمن الناصر سنة316هـ/928م وتسمّ " بأمير المؤمنين الناصر لدين الله [2] ، وأمر بلعن الفاطميين الشيعيين الذي كانوا يطمحون لضم الأندلس تحت حكمهم، وذكرت بعض المصادر أن المعز الفاطمي حاول الإستيلاء على الأندلس هادفا أو متطلعا إلى عرش قرطبة قصد القضاء على نفوذ الأمويين بالمغرب قبل انتقاله إلى المشرق، وإبقاء مسالك تجارة الذهب خاضعة أو تحت سيطرة حلفائه بالمغرب[3].

لقد كان هدف الألقاب التي تسمّ بها كل من خلفاء الدولة العباسية والفاطمية والأموية بالأندلس إبراز سيطرة كل خلافة من الخلافات الثلاثة على العالم الإسلامي، ونحن نعلم أن الخلافة الفاطمية حاولت منذ ظهورها القضاء على الخلافة العباسية وخاصة بعدما استطاع الفاطميون اقتطاع ولايات عديدة منها كالمغرب، ومصر، والشام، وقد اعتمدت على الدعاية

---

(1) ...وكذا الرافضة بإفريقية ما زالوا يدعون الأئمة من ولد إسماعيل بالإمام حتى انتهى الأمر لعبيد الله المهدي وكانوا أيضا يدعونه بالإمام ولابنه أبي القاسم من بعده فلما استوثق لهما الأمر دعوا من بعدهما أمير المؤمنين وكذا الأدارسة بالمغرب.... وهكذا شأنهم وتوارث الخلفاء اللقب أمير المؤمنين وجعلوه سمة لمن يملك الحجاز والعراق ديار العرب ومراكز الدولة، ابن خلدون، المصدر السابق، ص 250.

(2) ابن الفرضي، كتاب تاريخ علماء الأندلس، ، طبع في مدينة مجريط بمطبع يلاغرنلده، 1890، مج1 ص10، ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص 199، ابن الأثير، المصدر السابق، ص 535-536، أحمد مختار العبادي، في تاريخ العباسي الأندلسي، دار العربية للكتاب، بيروت، د.ت، ص396.

(3) الحبيب الجنحاني، الصراع الأموي الفاطمي في المغرب خلال القرن الرابع الهجري، عدد خاص، أعمال الملتقى الثالث التونسي الإسباني، قرطاج 11،17 أفريل 1977، ص 18،19، حتى 28، حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص 264.

وسخرت أموالا طائلة لبلوغ هدفها المتمثل في تعميم المذهب الإسماعيلي الفاطمي في كل من المغرب والأندلس، واليمن وغيرهما، ويقول ميتز: إن الخليفة الفاطمي وقف من الخليفة العباسي المنافس العنيد، وأن نفوذه انتشر في كثير من البلاد، ودعى به على المنابر في المغرب، ومصر والشام واليمن.

مما زاد من حدة الصراع؛ إذ كان الخلفاء الأمويون يناصرون كل الحركات المعارضة للفاطميين ببلاد المغرب، وبالخصوص الفقهاء الذين اضطهدوا من طرف غلاة الشيعة الذين تفننوا في تعذيبهم والتنكيل بهم[1] وهذا ما زاد من تفانيهم وطلبوا الشهادة في سبيل مذهب مالك فأصبحوا يعدون من شهداء المالكية([2]) وبهذا التصدي أسقط الخلفاء الأمويون فكرة الحق الشرعي للفاطميين في حكم العالم الإسلامي بعدما اغتصب حسب ظنهم في عهد الأمويين بدمشق والعباسيين ببغداد، إذا فسياسة قرطبة الجديدة اتجاه المغرب زعزعت السياسة التوسعية الفاطمية لقيادة الأمة الإسلامية وزعامتها.

واستمر هذا النزاع طيلة الفترة الفاطمية بالمغرب، ودعّم بتجهيزات حربية قوية، حيث أصبح كل من الأسطول البحري الفاطمي والأموي، قوة عسكرية متنازعة في البحر الأبيض المتوسط وسواحله باعتبارهما قادة العالم الإسلامي، ولذلك اتخذ الأئمة الفاطميون الألقاب

---

(1) اصطدمت المالكية بالشيعة مباشرة بعد قيام الدولة الفاطمية أو العبيدية ببلاد المغرب، واتصف هذا الاصطدام بالدموي، إذ خنقت الحريات، وسلبت الممتلكات، وانتهكت المقدسات والمساجد؛ مما دفع بكثير من العلماء والفقهاء إلى الهجرة إلى المشرق والأندلس، نجد من بين هؤلاء الفقهاء والعلماء الذين اختاروا دار الهجرة أبا عبد الله محمد بن حارث بن أسد الذي سجلّ في تراجمه الوضعية السياسية للمغرب في نهاية القرن الهجري /9م والرابع الهجري /10ك وهناك مجموعة أخرى من المالكية فضلت البقاء بالمغرب الإسلامي لمجابهة الفاطميين كأبي عثمان سعيد بن الحداد المتوفى 315هـ/914م، وأبي جعفر أحمد بن نصر (توفى317 جمعة شيخه: أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشني الأفريقي الأندلسي، عدد خاص أعمال الملتقى الثالث التونسي الإسباني، ص 37-39، صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 119.

(2) محمد الأمين بلغيث، الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، السنة الجامعية، 1987، ص140.

العامة التي كانت مستعملة في الدولة " **كأمير المؤمنين**"[1] و "**الإمام**" الذي كان له عندهم قيمة دينية كبيرة، زيادة عن ألقاب الكناية المكانيـــة " **كالحضـــرة الشـــريفة**"، لقـــب "صـــاحب الزمان"،و"السلطان"و"الشريف القاضي"والذي استخدم لقب "الشريف القاضـــي" في صـــلاة الجمعة:" السلام على أمير المؤمنين الشريف القاضي الخطيب ورحمة الله وبركاته".

و اتخذ كذلك ولاة العهد الأسماء الفخرية الخاصة جريا على الـــنمط، كـــالمعز لـــدين الله، " **العزيز**"، و "**الحاكم**" على نمط التقاليد العباسية، وكما نعلم فالخلافة الفاطمية كانت تنـــافس الخلافة العباسية في كل شيء حتى في مواكب الاحتفالات بتولية العرش والحفلات الدينية [2]. واهتم ديوان الإنشاء في عصر الفاطميين بتنظيم الألقاب وترتيبـــها رغبـــة أو تلبيـــة لأوامـــر الخلفاء[3].

كما أبرزت الشعارات الفاطمية التي وضعها عبيد الله المهدي، وقبله عبد الله الشـــيعي على طبيعة الحكم ومفهومه عند الخلافة الفاطمية فمنها النقوش التي وضعها على خاتمه الخـــاص والذي نقش فيه الآية القرآنية" فتوكل على الله أنك على الحق المبين" [4]، وخاتمه الرسمي" وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم" [5]، كما وشم أفخـــاذ الخيـــل

---

(1) لقيت نظرية الحق الملكي المقدس التي كانت سائدة في بلاد الفرس في عهد آل ساسان، قبولا عند الخلفاء العباسيين والفاطميين معا، فأصبح الإمام عند عامة الناس ظل الله في الأرض وشخصا مقدسا، في قول جعفر المنصور ما يؤكد هذا: " **إنما أنا سلطان الله في أرضه** " وهذا يخالف ما كان عليه الخلفاء الراشدون الذين استمدوا سلطانهم من الشعب، علي حسين الخربوطلي، نفس المرجع، ص 146، 147، حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص 266. سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص 583-584.

(2) حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة، 1957، ص 63، 65.

(3) طبع الخلفاء العباسيون من أول خلافتهم بالطابع الديني، واعتبروا أنفسهم أئمة وخلفاء الرسول صلى الله عليه وسلّم، باعتبار الخليفة نائبا عن النبي في حكم المسلمين واتخذوا من نظرية الحق الإلهي كالفاطميين أسا س عقيدتهم، فقربوا إليهم العلماء ورجال الدين لينشروا بين الناس هذه النظرية التي أصبح لها شأن في الحياة السياسية في الدولة العباسية، أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين، من ســـنة 376هـــ إلى ســـنة 500هـــ، تأليف وتصنيف عبد السلام الترمانيني، ج2، مج2، ط1، سدار، 1991 .

(4) سورة النمل آية 79، ابن عذاري، المصدر السابق، ص 151.

(5) سورة الأنعام آية 115.

بعبارة" الملك لله" [1]، وعلى البنود " سيهزم الجمع ويولون الدبر" [2] " وقل جاء الحق وزهق الباطل وإن الباطل كان زهوقا"، وعلى الأسلحة عبارة "عدت في سبيل الله "[3].

-خلاصة الفصل:

نستخلص من هذا أن الخلافة الفاطمية قامت على نظام الوراثة، الذي أحدثه الخلفاء الأمويون والعباسيون بعدما استولوا على السلطة، وقضوا على قاعدة الشورى والانتخاب، فبدلوا نظام الشورى بنظام الإرث والملك الذي أصبح متداولا بعد ذلك بين الدول الإسلامية، وهكذا أصبح مفهوم الخلافة عند الفاطميين نظاما ملكيا وراثيا، ينتقل من الأب إلى ابنه وفق الشروط التي تقوم عليها العقيدة الإسماعيلية الشيعية، لكن في بعض الأحيان ولأحداث معينة خرج الفاطميون على مبدأ التعيين مثل ما حدث مع الخليفة الحاكم بأمر الله الذي حاول أن يحرم ابنه أبي الحسن علي الذي ولى الخلافة من بعده باسم الظاهر من ولاية العهد، ويعهد بها لابن عمه عبد الرحيم بن الياس، غير أن هذه المحاولة لم تنجح وخلفه ابنه الظاهر، كذلك خولف هذا النظام كذلك في مرات عديدة في مصر الفاطمية.

والمعلوم أن هذه الخلافة الفاطمية التي دامت ما يزيد عن سنتين سنة ببلاد المغرب من عام 296هـ إلى 362هـ، وبسطت نفوذها على بلاد واسعة تمتد من طرابلس إلى منتصف المغرب الأوسط ما عدا تلمسان، وكانت قاعدة ملكهم أفريقية، بالإضافة إلى صقلية[4]، لم تعط لسكانها البربر إرثا حضاريا كما فعلت بمصر، فالمغرب كان بالنسبة إليهم مصدر ثروة بشرية

---

(1) سورة القمر، آية 45.

(2) سورة الإسراء، آية 81.

(3) ابن الأثير، المصدر السابق، ج.7، ص 16، صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 268.

(4)أصبحت صقلية بعد سقوط دولة الأغالبة بالمغرب، تابعة للخلافة الفاطمية، ودعمّ هذا الولاء، بالوالي السابق للجزيرة علي بن أحمد بن أبي الفوارس، ثم أستخلفه المهدي عبيد الله الحسن بن أحمد وهكذا توطدّ الحكم الفاطمي في صقلية عمليا ونظريا والسياسة الفاطمية كانت تخضع للظروف المنطقة التي لم تكن تخلو من الفتن والصراعات طيلة الحكم الفاطمي لها، كثورة زيادة الله بن قرهب، وثورة البربر في جرجنت السنية وغيرهما، عزيز أحمد، تاريخ صقلية الإسلامية، نقله إلى العربية د. أمين توفيق الطيبي، طرابلس الغرب، الدار العربية للكتاب، 1980، ص 32-33.

ومادية فقط، فلم تنشأ المدن ما عدا المهدية، ربما يعود هذا إلى وهمها بزعامة العالم الإسلامي وإسقاط الخلافة العباسية وحلولها [1].

كما اتسمت سياستهم بالأنانية البالغة، إذ احتفظوا بإدارة صقلية و لم يتركوها لبني زيري بن مناد الأكثر قربا منها، زيادة على أن الخلافة الفاطمية قد أيقظت نيران العصبيات القبلية في المغرب؛ فتسببت هذه الصراعات والنزاعات في حروب إبادة، مما دفع بكثير من هؤلاء إلى الفرار إلى الأندلس والاستقرار بها.

إنّ هذه الخلافة ببلاد المغرب كانت سلبية أكثر منها إيجابية؛ لأنه بعد انتقال الفاطميين إلى مصر وتأسيس خلافة جديدة، عاد المغرب الإسلامي إلى تشكيل دويلات وإمارات سادتها فترات من الهدوء والاضطراب، وانتهت بذلك الخلافة الفاطمية ومذهبها الشيعي، وعاد المذهب المالكي هو الآخر إلى الساحة السياسية بقوة وقضى على فكرة المعصوم المهدي وما شابه ذلك وأصبح مذهب مالك في نظر المغاربة مذهبا وعقيدة وطنية [2]، كما أن الهدف الذي كانت ترمي إليه الخلافة الفاطمية و المتمثل في السيطرة على العالم الإسلامي لم يتحقق، و لم يغير من الواقع السياسي الذي كان يعرفه العالم الإسلامي آنذاك في شيء بل زاد من تحطيم أحد مبادئ الإسلام السياسية، ألا وهي وحدانية الخليفة، فصار ثلاثة خلفاء يتقاسمون العالم الإسلامي: العباسي والفاطمي والأموي ابتداء من سنة 297 هـ/929م عندما لقّب عبيد الله نفسه بأمير المؤمنين.

وبعدما انتقل الفاطميون إلى مصر، عاد المغرب الإسلامي من جديد إلى تأسيس إمارات متصارعة فيما بينها من أجل الحكم، فالدولة الزيرية [3] التي أوجدها المعز الفاطمي قبل رحيله

---

(1) حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط.1، القاهرة ، 1980، ص13.

(2) محمد الأمين بلغيث، الربط ودورها، ص 141.

(3) بني زيري: ينتمون إلى قبيلة صنهاجة التي كان عدد سكانها ثلث سكان المغرب الأصليين، يبلغ عدد بطونها سبعين، وأبرز هذه القبائل وأخطرها تلكاتة ومنها دولتا بني زيري، والحماديين، ولمتونة ومسوفة، ومنها دولة المرابطين رشيد بوروبية، الوضع السياسي الفاطمي والزيزي، تعريب، محمد بلقراد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 161، 164.

وانتقاله إلى مصر وهي إمارة ناشئة، فقد وضع بلكين بن زيري الصنهاجي على رأس الدولة قصد إبقاء النفوذ الشيعي الإسماعيلي بالمنطقة رغم كره البربر لهم [1].

عمدت هذه الدولة طيلة حكم أمرائها الأربعة، بلكين بن زيري(361هـ-374هـ) (972م-984م)، والمنصور بن بلكين (374هـ-386هـ/984م-996م)، وباديس بن المنصور (386هـ-406هـ/996م-1016م)والمعز بن باديس (407هـ-1017م) على أرساء إمارة وراثية، تصارع أمرائها على السلطة مما أدى إلى انقسامها إلى إمارتين، الدولة الزيرية التي حكمت أفريقية، والدولة الحمادية التي بسطت نفوذها وسلطتها على المغرب الأوسط ابتداء من سنة 408هـ/522هـ حتى /1017م-1157م).

تعاقب على حكم هذه الدولة تسعة أمراء [2] حاول كل واحد منهم طبع فترته بنوع من الاستقرار وإنعاش الحياة الاقتصادية والثقافية، وكان أمراء بني حماد يخضعون تارة للفاطميين

---

(1) عرفت الدولة الزيرية ثورات داخلية كثيرة، بالمغرب الأوسط والمغرب الأقصى، وباغية، وأخذت هذه الثورات طابعا انتقاميا، فثورة باغاية، عام 364هـ/973م، وخلف بن خير سنة 365هـ/978م الذي تمنى القضاء عليهما، والاستيلاء على فاس وسجلماسة، كما نجد ثورة كتامة سنة 376هـ/987م التي نتائجها قتل عدد كبير من الشيعة وعدة أشياخ من كتامة، وتنصيب وال جديد.

واستمر عدم الاستقرار هذا على الساحة السياسية حتى انقسام إمارة بني زيري إلى إمارة شرقية، وإمارة بني حماد في الناحية الغربية أي المغرب الأوسط، كما أن أمراء بني زيري، قطعوا تبعيتهم للخلافة الفاطمية سنة 441هـ/1048م مما تسبب في قدوم قبائل بني هلال وبني سليم إلى أفريقية وخراب تونس كلية، عبد الحميد حاجيات: تاريخ المغرب الأوسط السياسي في عهد المرابطين، الفصل الأول، وزراة الثقافة السياحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 281-292، تاريخ المغرب العربي، الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام دولة المرابطين، ، سعد زغلول عبد الحميد، منشأة المعارف، مصر، 1990،ج.3،ص 196-200-201.

(2) حكم الدولة الحمادية تسعة أمراء وهم، حماد بن بلكين، والقائد بن حماد، بلكين بن محسن 447هـ، 454هـ، الناصر بن علناس (454هـ-481هـ)، المنصور(481هـ-498هـ) باديس بن المنصور (498هـ) والعزيز بن المنصور (498هـ-518هـ) ويحيى بن العزيز (515/518هـ).كل هؤلاء الأمراء عملوا على بناء

إمارة وراثية، سادتها فترات من الاستقرار والاطمئنان، وأخرى حروب طاحنة أدت إلى صراعات حادة حول الحكم بين الأسرة الحاكمة (مقتل بلكين بن محمد)، وثورة أهل بسكرة، وهجوم على بن رقان على

وتارة للعباسيين، كما أنهم جمعوا كل السلطة بأيديهم رغم وجود مؤسسات حكومية كالإدارة المركزية، والقضاة، والولاة، والجيش والأسطول [1].

أما إيجابيات هذه الفترة بالنسبة إلى المغرب، فقد تجسدت في تحرّر هذا الأخير من هيمنة المشرق وها هو ابن خلدون نهاية قد صور هذه السيطرة : " لقد أنهت هذه الثورة بشكل نهائي سيطرة العرب في إفريقيا" وأعطت كتامة حق السلطة العليا، وقد اتبع بربر المغرب فيما بعد خط جيرانهم، وهكذا اختفى تأثير العرب في "أفريقيا" والمغرب إلى الأبد بتأسيسهم مملكة جديدة. وانتقلت السيادة إلى يد "البربر".

ويبدو أن هذه السيادة البربرية تمثلت في "أميرية المرابطين" التي سندرّسها خلال الفصل التالي من خلال لتطور مفهوم الحكم عند المرابطين، كيف كانوا ينظرون للخلافة الإسلامية؟ هل هي خلافة عامة أم العكس؟ وماذا كانت تعني الخلافة بالنسبة إليهم؟ ما موقفهم من الخلافة الفاطمية والعباسية؟

قلعة بني حماد، ومحاربة المرابطين وبني مانو الذين استولوا على مدن بالمملكة الحمادية، كتلمسان، وتنس، والونشريس، والجزائر.

(1) ترأس الدولة الحمادية أمير الذي كان يسيّر أمور مملكته بمفرده، ثم أنشأ إدارة مركزية، وعيّن الوزير، وسمى القضاة والولاة ونظم الجيش والأسطول، ومهمة الوزير كانت تنحصر في إدارة أمور المملكة بأكملها، أي أن الوزير كان يتمتع بسلطة مطلقة، غير أن هذه السلطة غير واضحة بما أن كل السلطة كانت بيد الأمراء. أما عن الإدارة المركزية، فلا نملك إذا كانت تتوفر على ديوان إنشاء الذي كان على رأسه كاتب وعلى ديوان البريد، والقضاة فكانت مهمتهم محددة، لأن الحاكم الحادي كان يحكم بنفسه في أغلب الأحيان.

في الحين تمثل الجانب الحضاري والثقافي الذي قام به حكام بني حماد، في دعمّ العلوم بشتى أنواعها، وتشييد المدن والمراكز التجارية، كمدينة بجاية التي صارت قلعة العلماء والفقهاء وأهل الفن وما شابه ذلك، رشيد بورويبة، الفصل السابق، ص 221-222.

الفصل الثاني

أميرية دولة المرابطين

(448هـ-541هـ)(1056م-1147م)

1. قيام دولة المرابطين
2. علاقة المرابطين بالخلافة العباسية
3. تطور مفهوم الملك عند المرابطين

خلاصة الفصل

1/قيام الدولة المرابطية

دام حكم دولة المرابطين أكثر من ثلاثة وتسعين سنة ابتداء من سنة 448هـ- وانتهى سنة 541هـ/ 1056م-1148م حيث أسس المرابطون خلال هذه الفترة دولة واسعة الأطراف تمتد من المغرب الأقصى وجزء من المغرب الأوسط والأندلس فيما بعد. وأطلق اسم المرابطين على الزعماء وقبائل البربر الذين رحلوا من الصحراء الكبرى نحو الشمال حوالي القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، قادمين إلى المغرب الأقصى. ويقول ابن خلدون [1] " كان هؤلاء الملثمون في صحاريهم [2]كما قلناه، وكانوا على دين المجوسية إلى أن ظهر فيهم الإسلام لعهد المئة الثالثة كما ذكرناه، وجاهدوا جيرانهم السودان عليه فدانوا لهم وأستوثق لهم الملك، ثم افترقوا وكانت رياسة كل بطن منهم في بيت مخصوص فكانت رياسته لمتونة في بني ورتا نطق بن منصور بن مصالة بن المنصور بن مزالت بن أميت بنرتمال بن تلميت وهو لمتونة".

وعرفوا كذلك بالملثمين، وجاء في كتاب الحلل الموشية أن سبب تلثم المرابطين يعود إلى مطاردة أهل الكفر لهم، ففروا بأنفسهم وانتقلوا من منطقة إلى أخرى، ومن قطر إلى آخر حتى استقروا أخيرا بالمغرب الأقصى ببلاد البربر، وصار اللثام زيهم وأصبح اللباس المفضل الذي يميزهم عن سكان هذه البلاد، إلا أنهم اندمجوا في هذا المجتمع الجديد،

---

1) ابن خلدون، كتاب العبر، مج6، ص 373، 374، النويري، تاريخ المغرب في المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، إفريقية والمغرب، الأندلس، صقلية وأقربطش، من كتاب نهاية الأدب في فنون الأدب، تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء (د.ت)ص377 - 378.

(2) استقر المرابطون في الصحراء، وهم من قبائل صنهاجة البربرية الملتمة من فرع لمتونة، أدخل الإسلام إلى هذه القبائل عن طريق السرايا العسكرية التي أرسلها حكام المغرب الأوائل إلى هذه المنطقة، وكذلك عن طريق التجار المسلمين الذين كانوا يعبرون هذه البلاد في طريقهم إلى السودان، النويري، المصدر السابق، ص 378، ابن عذاري مراكشي، المصدر السابق ج 4 ص 128،أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربة، بيروت، 1978، ص270.

لشدة الحر والبرد، كما يفعل العرب في البرية، فلما ملكوا البلاد ضيقوا ذلك اللثام[1].

وظل المرابطون بعد زحفهم إلى المغرب الأقصى على طبيعتهم، حتى ظهور الحركة الإصلاحية التي تزعمها الفقيه عبد الله بن ياسين [2] المرشد الروحي للجماعة حيث نادى بالجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والالتزام بأحكام الدين في جميع الأمور، واتخذ عبد الله بن ياسين من رباطة [3] في مصب نهر السينغال قاعدة لنشر حركته

---

(1) النويري، المصدر السابق ص 383 .

(2) عبد الله بن ياسين: ينتمي إلى قبيلة جزولة، وهي من مجموعة الصنهاجة الجنوبية، كان فقيها، رحل إلى قبيلة جدالة لأداء مهمته بعد أن عينه شيخه وجاج بن زللو. عرف عنه سعة علمه، بعيد الطموح، شديد الذكاء، سافر إلى الأندلس ودرس بها علوما مختلفة. وكان خطيبا موهوبا قوي التأثير والاقناع، لم ينجح في أول مهمته مع قبيلة جدالة التي لم تساعده على تطبيق شعائر الإسلام على صورتها الحقيقية، فأضطر إلى الرحيل والالتحاق بقبيلة لمتونة و تقرب من رئيسها يحي بن عمر بن إبراهيم رئيس لمتونة الذي اكتسب من خلاله أنصار كثيرين مخلصين أسهموا فيما بعد في قيام الدولة المرابطية بعد تكوينهم الروحي والديني برباطه قرب نهر السينغال، واحتوى هذا الرباط على ألف مرابط، وامتاز عبد الله بن ياسين بشدة تقشف في مأكله ومشربه ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج4، ص 8-10 . حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، ط1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، ص 15-16-17، يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين ترجمه ووضع حواشيه محمد عبد الله عنان، ط. 2. مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1985، ص 63-64 عبد العزيز سالم المرجع السابق، ص 693-699، أحمد مختار العيادي، المرجع السابق ص 483. كارل بروكامان، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، ط.1، دار العلم للملايين، 1948، ص 318-323.

(3)الرباط:عرف المغرب الرباط قبل أن يعرف الزاوية في الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري، والرباط لا تقل أهميته عن المسجد من حيث كونه مكانا ينشر منه الدعوة الإسلامية، ويمتاز الرباط بطابعه الحربي بالإضافة إلى وظائفه الدينية من عبادة وتلاوة للقرآن والتفقه في الدين، وتأمين السواحل وردّ أخطار الأساطيل البزنطية و هجماتها وكان غرض رباط عبد الله ابن ياسين الجزولي فتح بلاد السودان، وتحويل أهلها إلى الإسلام، ونشر مذهب الإمام مالك بين شعوب إفريقيا المدارية، حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، محمد الأمين بلغيث، الربط و دورها،ص174،171،109.

وتوسيعها بين قبائل الملثمين، وبعد جهد جهيد تمكن من تحقيق الوحدة السياسية والدينية التي كان يطمح إليها [1]. وقامت بعد هذا دولة المرابطين في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري (النصف الثاني من القرن الحادي عشر)، موحدة بذلك بين شطر كبير من غرب أفريقية وبين المغرب والأندلس[2] بعد هذه الوحدة، عمل الأمراء المرابطون على تشييد البنايات كالمساجد[3] والمدن، وفتح أبواب المغرب أمام التيارات الفنية الأندلسية، ابتداء من

فتح بلاد السودان، وتحويل أهلها إلى الإسلام، ونشر مذهب الإمام مالك بين شعوب إفريقيا المدارية، حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، محمد الأمين بلغيث، الربط و دورها،ص174،171،109.

(1) ابن الخطيب، رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، سنة 1316 هـ، ص 51-52، ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص 12.

(2) صالح بن قربة ، المرجع السابق، ص 519، أحمد بدر، تاريخ المغرب والأندلس، المطبعة الجديدة، دمشق 1981، ص 216-217.

وبعد هذه الحادثة والنصر الذي أحرز عليه يوسف بن تاشفين مدحه الفقيه أبو طالب عبد الجبار الشقري من الرجز:

فإذا أراد الله نصر الدين ... استصرخ الناس ابن تاشفين

فجاءهم كالصبح في أثر غسق ... مستدركا لما تبقى من رمق

وآخى أبو يعقوب كالعقاب ... فجرد السيف من القراب

وواصل السير إلى الزلاقة ... وساقه ليومها مساقه

لله دّر مثلها من وقعة ... قامت بنصر الدين يوم الجمعة

وثل للشرك هناك عرشه ... لم يغن عنه يومه أدفنشه

فوجب الخلع لدى الخلاعة ... وصرحوا ليوسف بالطاعة

ومدحه هو و بنيه الفقيه الكاتب أبو محمد بن حامد:

ملك له شرف العلى من حمير ... وأن اهموا صنهاجه فيهم هم

لّما حووا أحواز كل فضيلة ... غلب الحياء عليهم فتلثم

(3) شيدت في عهد أميرية دولة المرابطين مساجد كثيرة، منها مسجد الجامع بالجزائر الذي أسسه يوسف ابن تاشفين ما بين سنتي 473هـ-474هـ. وأمتاز هذا المسجد الجامع بعمارته الفنية، يحتوي على بيت للصلاة بها إحدى عشرة بلاطة عمودية على جدار القبلة، وثلاثة أروقة تمتد بامتداد البلاطات بين بيت الصلاة...الخ.

أما مسجد أو جامع تلمسان الذي بني على ثلاث مراحل، أولى مراحله في عهد يوسف ابن تاشفين

عصر يوسف بن تاشفين[1] (480 هـ -500هـ/1090م- 1106م الذي قام بتنظيم الدولة والحكومة، ومواصلة فتوحاته في المغرب والأندلس، وبعده علي بن يوسف بن تاشفين(500هـ-537هـ/ 1106م-1142م)، تاشفين بن علي بن تاشفين(537هـ-739هـ/1142م-1144م) .

---

(1) يوسف بن تاشفين: بن ترجوت بن ورتانطن بن منصور بن مصالة بن أمينة بن وانمالي الصنهاجي وكنيته أبو يعقوب، ولد سنة أربعمائة 400هـ ببلاد الصحراء وكانت وفاته سنة خمسمائة 500هـ، تميز بكثير من الذكاء والفطنة والعزم والشجاعة والحزم والكرم والجود منذ أن كان زعيما محليا من زعماء الصحراء، كثير الورع والتقوى . اشتهر بمعرفته العالية بالتنظيمات العسكرية وتنسيق خططها، كما تمتع يوسف بن تاشفين بقدرة إدارية فائقة مكنته من إدارة حكمه بحزم وكفاءة، كما كان يفضل الفقهاء ويعظم العلماء ويستشيرهم في كل أمور دولته ورعيته. وكانت خلافته من أول ولايته بالمغرب مستخلفا بن عمه الأمير أبي بكر ابن عمر الذي انصرف إلى الصحراء لإتمام حركته في الصحراء. ومن أعماله الجليلة التصدي للهجومات النصرانية بالأندلس، وأول عزوة له كانت غزوة الزلاقة ضد الطاغية أدفنش، فألحق به شر هزيمة وبعد عودته لقب "بأمير المسلمين وناصر الدين". الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 60،16 ابن الخطيب أعمال الأعلام، ج3، ص 167-172.

Levi-Provençal : Extraits des historiens Arabes du Maroc Paris, 1929, P,30 et 31.

ويقول ابن الصيرفي مؤرخ الدولة المرابطية: كان رحمه الله خائفا ربّه كتوما لسره كثير الدعاء والاستخارة مقبلا على الصلاة يأكل من عمل يده... أكثر عقابه كان الاعتقال الطويل إلا من انتزى وشق العصا فالسيف أحسم لانتشار الداء. عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحق ونشر محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، طبعة القاهرة 1949، ص 46، الحلل الموشية المصدر السابق، ص 13، 14، 16، 24، 66،35، ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلال لملوك الإسلام، تحقيق وتعليق لفي بروفنسال ط،ج. المكشوف، بيروت، 1956، ص، حسن إبراهيم حسن، علي إبراهيم حسن، النظم...، ص 79-80.

سهيلة عبريق، فن المدح في عهد المرابطين بالمغرب والأندلس، رسالة الماجستير في الأدب العربي بالجزائر 1999-2000، ص 4.

وقبل أن نتطرق إلى موضوعنا حول تطور مفهوم الحكم عند المرابطين الذين أصبحوا يشكلون قوة، اقتصادية وسياسية بالمغرب الإسلامي، نحاول أن نصف طبيعة العلاقة التي كانت تربط الدولة المرابطية بالخلافة العباسية.

2/علاقة المرابطين بالخلافة العباسية:

اتسمت علاقة الأمراء المرابطين بالدولة العباسية في بغداد، بالولاء و نظروا للعباسين نظرة احترام باعتبارهم ممثلو السلطة المركزية للوحدة الإسلامية، و ظلوا محتفظين بالعلاقات الودية و قامت بينهم بينها منذ عهد أبي بكر بن عمر اللمتوني بالمغرب الأقصى، قبل انتقالهم إلى الشمال وتأسيس مدينة مراكش [1] حاضرة الدولة المرابطية.

ولهذه الأسباب رفض المرابطون أن يتلقبوا بلقب"أمير المؤمنين" احتراما للخلافة العباسية التي كانت تمثل بالنسبة إليهم رمز الوحدة الإسلامية والسلطة المركزية للعالم الإسلامي ورفض المرابطون أيضا الاعتراف بالخلافة الفاطمية ربما تضامنا مع أمراء صنهاجة بأفريقية الذين قطعوا صلتهم بالخلافة الفاطمية منذ سنة 439هـ/1046م ومترجمين حبهم الشديد للدولة العباسية السنية التي كانت تمثل وحدة العالم الإسلامي، آنذاك وأذكر في بعض الروايات العربية أن الخليفة المستظهر بالله قد عين أميرا على إفريقية وأحيط هذا

---

[1] **مدينة مراكش**: إن مراكش معناه أمش مسرعا بلغة المصامدة، وكان موضعها مأوى للصوص، ومراكش آخر المدن بالمغرب، أختطها الزعيم اللمتوني أبي بكر بن عمر، سنة 462هـ/1060م قبل يوسف بن تاشفين ثم زاد فيها كل من يوسف بن تاشفين، وعلي بن يوسف بن تاشفين، فبنيت بها قصور كثيرة لم يكن مثلها لملك، ممن تقدمهم من الملوك، وأجرى المصامدة فيها مياها الكثيرة لم تكن قبل ذلك. ويقول فيها الأدريسي صاحب نزهة المشتاق، مراكش في سنة 548هـ أنها من " أكبر مدن المغرب الأقصى، لأنها كانت در إمارة لمتونة، ومدار ملكهم، وكان بها جملة من قصور للأمراء والقواد وحزام الدولة، وأزقتها الواسعة ورحابها فسيحة، ومبانيها سامية، وأسواقها مختلفة، وبنى بها أمير المسلمين علي بن يوسف قنطرة عجيبة البناء متقنة أحمد الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق، رابح بونار، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر (د.ت) ص 100-101، الحلل الموشية المصدر السابق، ص 74، النويري، المصدر السابق، ص 383، صالح بن قربة، المرجع السابق، ص520، عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 702-704.

العباسية التي كانت تمثل بالنسبة إليهم رمز الوحدة الإسلامية والسلطة المركزية للعالم الإسلامي ورفض المرابطون أيضا الاعتراف بالخلافة الفاطمية ربما تضامنا مع أمراء صنهاجة بأفريقية الذين قطعوا صلتهم بالخلافة الفاطمية منذ سنة 439هـ/1046م ومترجمين حبهم الشديد للدولة العباسية السنية التي كانت تمثل وحدة العالم الإسلامي، آنذاك وأذكر في بعض الروايات العربية أن الخليفة المستظهر بالله قد عين أميرا على إفريقية وأحيط هذا التعيين بجميع الرسوم والتقاليد المرعية. وأثير المرابطين في العباسيين كان واضحا حتى في الرايات والأعلام التي كان المجاهدون يحملها وحين سوداء اللون، المعاطف التي كانوا يلبسونها كذلك تشبها بهم[1].واستمرت هذه العلاقة الطيبة والودية بين الخلافة العباسية

---

(1) الألوية جمع لواء، ومعناه العلم الصغير، والرايات جمع راية علم أكبر من اللواء وأصغر من البند. لقد استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم ألوية متعددة في "غزوة بدر" وخصّ بعض القبائل بألوية خاصة، مثل الأوس والخزرج والمهاجرين، وهناك رواية أخرى تقول أنه لم تكن الرايات مستعملة من طرف المسلمين إلا يوم " خيبر" وتؤكده السيرة الحلبية" عن أبي إسحاق وابن سعد.

أما الرايات فقد وزعها الرسول صلى الله عليه وسلم بين أصحابه، كأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب والحباب بن المنذر وسعد بن عبادة وغيرهم.

وكان لواء الرسول صلى الله عليه وسلم يوم دخل مكة أبيضا كما روى أصحاب السنن الأربعة وهم أبو داوود، والترمذي والنسائي وابن ماجة وفي سيرتي الدمياطي والحلبية، وأكدت ما جاء به هؤلاء زوجته عائشة رضي الله عنها قالت: "كان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح أبيضا، ورايته سوداء، تسمى" العقاب" من مرط مرجل. كما كتب بداخل هذه الراية عبارة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" واتفق أن تكون ألوية المسلمين بيضاء والرايات سوداء، واللواء للإمام والرايات للقواد (الفتاوي الظهيرية) .

أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم وقواده لواء والرايات مكانة مرموقة في نظام الجند، باعتبار أن حامله يجب أن يتميز بسداد الرأي في الحرب، وبقوة القلب، والشجاعة، وصدق النية ونصح الدين، وصادق البأس وغير ذلك من الصفات التي يجب أن تتوفر فيه.

كما ذكرت بعض المصادر أنه كانت لجند علي كرم الله وجهه وعثمان بن معاوية راية حمراء، وجيء عن هذه الراية في قول علي رضي الله عنه مايلي:

لنا الراية الحمراء يخفق ظلها إذ قيل قدمها حضين تقدما

يقدمها في الصف حتى نوردها حياض المنايا تقطر السم والدما

والمرابطين بعد وفاة يوسف ابن تاشفين، ففي عهد أمير المسلمين علي بن يوسف تلقى هذا الأخير كتاب سنة 512هـ-1119م من الخليفة العباسي ببغداد عبد الله أبي العباس المستظهر بالله، أحتوى على تدعيم الخلافة العباسية للدولة الجهادية المرابطية في كل المجالات[1] حتى أصبحت قصور الأمراء المرابطين تباهي قصور العباسيين بالمشرق[2].

جزى الله عني والجزاء بكفه ربيعة خيرا ما أعف وأكرما

-محمد بن محمود بن العناني، السعي المحمود في نظام الجنود، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983، ص 115-122.

(1) في سنة 512هـ وصل كتاب أول رسالة من الخليفة العباسي ببغداد ونصه: من عبد الله أبي العباس المستظهر بالله أمير المؤمنين إلى زعيم الدولة المرابطية، وزعيم جيوشها المغربية، علي بن يوسف بن تاشفين أحسن الله توفيقه. أما بعد: الحمد لله مقدم على كل مقام، وتال كل فعال، وهو ذو المن والأفضال الكبير المتعال، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد مؤيد بالتنزيل الذي كشف عن الأمة الغمة، واستنقذ من الضلالة الأمة، وحمى به من المحارم ما كان مباحا، واقتدح من القلوب زنادا أورى بعدما كان شحاحا، وألبس الدين بعدما كان بالفراء من البسيطة جناحا، وعلى أزوجه وذريته ما عقب مساء صباحا وخص العباس بن عبد المطلب عم النبؤة ووارث الخلافة وشقيق الأبوة الميمون الطاهر الظاهر على الأوائل والأواخر بالصلاة المستهلة العهاد المتصلة الأمداد ومواهب الله على أمير المسلمين...الحلل الموشية المصدر السابق، ص 71 و 74.

(2) رغم أن الدولة المرابطية دولة جهاد إلا أنها اهتمت بمجالات عديدة فكرية وثقافية وعلمية، فبنت قصورا ومبان ومساجد ومدارس فاخرة تدعيما للحركة الفنية والحضارية التي ازدهرت بها الأندلس، وكان تأثير الحضارة الأموية الأندلسية ظاهرا في الأعمال التشجيعية التي دعمها الأمراء المرابطون في المغرب والأندلس. إذ أعطت صبغة وصورة جديدة للدولة المرابطية التي اعتبرها بعض المؤرخين أنها كانت سلبية أكثر منها إيجابية، فمن أبرز معالمها الحضارية مدينة مراكش التي فضلها المرابطون لقربها من الصحراء والأعمال التوسيعية التي أضافوها لمدينة فاس منها جامع القرويين وجامع تلمسان ومسجد الجامع بالجزائر والمهدية، كما نستشهد لتدعيم هذا الرأي بما قاله عبد الواحد المراكشي عن يوسف بن تاشفين يقول: " فانقطع إلى أمير المسلمين من الجزيرة من أهل كل علم فحوله، حتى اشتبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم، واجتمع له ولابنه من أعيان الكتاب والفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الأعصار. نجد منهم أبي فارس عبد الرحمن المازوزي وكانت أهم علوم ذلك العصر، الفقه والحديث، وأبرزهم عبد الله بن ياسين والفقيه والعالم مالك بن وهيب، وأحمد بن حمدين، وفي التاريخ والجغرافيا المؤرخ الشاعر أبو بكر الصيرفي صاحب

3-تطور مفهوم الحكم عند المرابطين.

قامت الدولة المرابطية كغيرها من الدويلات الإسلامية على أساس عقائدي ديني طيلة وجودها، فظل الهدف الديني هو المسيطر على الدولة، وتمسك الأمـــراء المـــرابطين بشعائر الإسلام السني على مذهب مالك [1] وفرضوه على رعاياهم وأعطو القـــدوة في

كتاب:" الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية "، وفي مجال تراجم الأدباء نجد أبا الحسن علي بـــن بسام الشنتريني "صاحب كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"، وبن بشكوال صاحب كتـــاب:" الصلة"، وأبا الفتح بن خاقان صاحب كتاب:" قلائد العقيان في محاسن الأعيان" وبرز في الجغرافيـــا أبو عبد الله محمد بن محمد الشريف الإدريسي المولود عام 473هـــ، والمتوفي 560هـــ، بكتابـــه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق".وفي الفلسفة أبو بكر الصائغ، بن الســـيد البطليوســـي، كتابـــه :"المثلث" أما في النحو أحمد بن خلف الأنصاري، المعروف بابن الباذش الغرنـــاطي (ولـــد عـــام 491هـــ وتوفي عام 524 هـــ). وفي الطب والصيدلة أسرة آل زهر، منها أبو العلاء بن زهر ابن أبي مروان عبد الملك بن محمد بن مروان، وبن ماجة وبن الصلت (ولـــد عـــام 460- وتـــوفي 529هـــ) في الأدب نجد أبا عبد الله محمد بن مسعود بن الطبيب بن فرج بن خلصـــة الشـــقوري المعروف بابن الحضال صاحب كتاب "ظل الغمامة في مناقب الصحابة"، كما نجد أبا الفضل جعفر بن محمد بن أبي سعيد بن شرف القيرواني المتوفي عام 584هـــ من آثاره كتاب " الزمـــان" ومـــن أشهر الشعراء " كالأعمى التطيلي"، وابن خفاجة، وابن صارة الشنتريني، وابن الزقاق، وابن بكر بن محمد الأنصاري المعروف بأبي بكر الأبيض... وغيرهم. وقد تطرق هؤلاء الشعراء إلى جميع الأغراض الشعرية كالمدح والوصف والحكمة والشكوى والهجاء والرثاء الخ... العريني، الحيـــاة العلميـــة في الأندلس في عصر الموحدين، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1995، ص 14-19، يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 477، عبد العزيز سالم، المرجع الســـابق، ص 746-766. أحمد حدادي، جهود المغاربة في خدمة السنة، مجلة رسائل النور العدد الخامس تطـــوان (د ت)، ص 21-23.

(1) الإمام مالك رحمه الله، هو مالك بن أنس بن أبي عامر فقيه الحجاز وسيره في زمانه، وأخذ عنه الكثير من أعلام القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) ومهم الإمام الشافعي، ظل بمدينة الرســـول صلى الله عليه وسلّم حتى توفي عام 179 هـــ في عهد الخليفة الرشيد.وكانت منزلته في الحـــديث والفقه عظيمة، وترك من مؤلفته كتاب " الموطأ" ومن أشهر تلاميذه وناشري مذهبه عبد الرحمن بن القاسم المتوفى بمصر سنة 191هـــ، وعبد الله بن وهب المتوفى سنة (197هـــ) وأخذ عن هـــؤلاء أصبغ وسحنون وأسد بن الفرات وغيرهم، الغبريني، المصدر السابق، ص 70.

للخلافة المركزية بالمشرق العربي، حيث كان ينقش اسم الخليفة على السكة التي كانت تضربها دولة المرابطين. كما أكدت هذه المخلّفات المادية لهذه الفترة أن المرابطين كانوا دائما حرصين على توطيد هذه العلاقة ربما حبّا في بيت آل الرسول صلى الله عليه وسلّم وحفاظا كذلك على تمتين مذهب أهل السنة بالمغرب الإسلامي بعد انتقال الخلافة الفاطمية إلى المشرق .

وهذا الولاء للدولة العباسية لم يمنع يوسف بن تاشفين من وضع نظام تسير عليه إمارته بعدما توسعت حدود دولته بالمغرب الإسلامي والأندلس[1]، فأقام نظام ولاية

الآخرة من الخاسرين (آية 85 سورة آل عمران) كما كانت تحتوي على جميع أسماء أمراء المرابطين، وكذلك الألقاب مثل الأمير، عبد الله المقتدي، الإمام عبد الله أمير المؤمنين ...صالح بن قربة،المرجع السابق،ص525 -551.

[1] **الأندلس**: تم فتح شبه جزيرة إيبيريا على يد طارق بن زياد في سنة 91هـ/711م، وأصبحت بذلك ولاية تابعة للمغرب، فاستوطنها البربر والعرب والقوط، حتى مجيء عبد الرحمن الداخل"صقر قريش" الذي أسس بها إمارة جديدة للخلافة الأموية بالغرب الإسلامي، ثم خلافة في عهد عبد الرحمن الناصر الذي تلقب "بأمير المؤمنين". وظلت الأندلس تابعة للولايات الإسلامية وبعد سقوط الخلافة وظهور ملوك الطوائف الذين تحالفوا مع النصارى واحدا ضد الآخر، بسبب الحكم كادت هذه العدوى أن تضيع من يد المسلمين لولا قدوم يوسف بن تاشفين الذي عبر عليها بعدما استنجد به فقهاءها وبعض أمراءها مثل ابن عباد. وهكذا دخلت الأندلس تحت حكم المرابطين بعد موقعة "زلاقة" التي قادها الأمير يوسف بن تاشفين في العقد التاسع من القرن الخامس الهجري وارتبطت سياسيا ببلاد المغرب وأصبحت جزء من الدولة المرابطية.

ولما كان المجتمع الأندلسي يدين بالإسلام ويتخذه منهاجا لحياته فقد ارتكزت حضارته على دعائم هذا الدين فأحبوا العلم وتفانوا في خدمته وبرز منهم علماء وفقهاء ومفكرون وأدباء أجلاء خدموا الحضارة الإسلامية ورفعوا من شأنها حضارة إنسانية. ابن حيان الأندلسي، كتاب المقتبس في تاريخ الأندلس، عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان بن الحكم بن هشام، تحقيق وشرح وتعليق، إسماعيل الغربي، دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1990، ص 7، ر.دوزي، تاريخ مسلمي إسبانيا، ج.1، الحروب الأهلية بن الحسن حبشي، مراجعة جمال محرز، مختار العبادي، دار المعارف، القاهرة، 1963، ص 154 و 192، المرجع السابق، ص 2.

العهد، وكان اختياره لابنه علي [1] بن يوسف بن تاشفين الذي حبب فيه الناس لحسن خلقه وتصرفاته، كما رأى فيه القدرة على تحمّل المهمتين، الجهاد، ورئاسة الدولة بعده، ويقول المراكشي: " ولما استأثر الله بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين وصى الأمراء أن ولده ولي عهده على أمير المسلمين، فاضطلع أبرع الاضطلاع، وقام أحمد مقام وألبسه الله مهامه، وقذف له في القلوب بالمحبة [2] ، وهكذا صار علي بن يوسف بن تاشفين ثاني أمراء الدولة المرابطية (500هـ-537هـ/1106م-1142م)، وأتبع سياسة والده

---

[1] **علي بن يوسف بن تاشفين:** كان علي بن يوسف بن تاشفين أصغر أبناء أمير المسلمين وناصر الدين يوسف بن تاشفين، كنيته "أبو الحسن" تولى أمور دولته بكل جد وشجاعة، ويقول صاحب كتاب الحلل الموشية "... ولما ولي علي بن يوسف بعد أبيه اضطلع بالأمور أحسن إطلاع وقام أحمد قيام وكان يقصد مقاصد العز في طرق المعاني ويحب الأشراف ويقلد العلماء ويؤثر الفضلاء وكان كثير الصدقة عظيم البر..." بايعه أخوه أبو الطاهر تميم وكان أكبر سنا منه. وهو أول من استخدم الروم بالمغرب، وكذلك تميز بذكائه الشديد، فقيها مكرما لأهل العلم، والفقهاء العلماء وغيرهم. وهذا ما يعيب على هذا الأمير الذي أولى كل أمور دولته إلى القضاة، والفقهاء سواء فيما يخص أمور الرعية أو الأسرة الحاكمة كولاية العهد، والبيعة وما شابه ذلك.

وقد أوصى الأمير علي بن يوسف بن تاشفين والده بوصايا ثلاثة: الوصية الأولى: أن لا يهيج أهل جبل درن ومن وراءه المصامدة وأهل القبلة الثانية أن يهادن بني هود وأن يتركهم حائلا بينهم وبين الروم، الثالثة، أن يقبل من أحسن قرطبة ويتجاوز عن مسيئهم. عرفت فترته بالرخاء والاستقرار ماعدا ظهور المهدي بن تومرت الذي كان له لقاء معه بمسجد الجامع بمراكش وخاطبه المهدي بضرورة تغير المنكر ببلاده لأنه هو المسؤول عن الرعية، وهذه الإلتفاتة دفعت بالأمير المرابطي أن يختبر أمره وينظر ما عنده من العلم، وقاموا بما أمر، والنتيجة كانت أنهم استشاروا على الأمير بأن يمسك به لأنه رجل يفتن الناس إلا أن المهدي رحل قبل الإمساك به. زيادة على هذه الأعمال السياسية اهتم علي بن تاشفين بالعمارة والفن، إذ قام بتنوير حضرة مراكش وبناء جامعها ومنارها وجلب لهذا أمهر الصناع وأبدع الفنانين. توفي بمراكش سنة 535هـ ودامت فترة حكمه خمسة وثلاثون سنة المجهول -الحلل الموشية، المصدر السابق ص 67، 68، 69 النويري، المصدر السابق، ص 392 عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين: عصر الطوائف الثاني: 510(هـ-546هـ/1116م-1151م) تاريخ سياسي وحضارة، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988 ص 123، ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 247.

[2] ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج-4 ص 48.

خلقه وتصرفاته، كما رأى فيه القدرة على تحمّل المهمتين، الجهاد، ورئاسة الدولة بعده، ويقول المراكشي: " ولما استأثر الله بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين وصى الأمـــراء أن ولده ولي عهده على أمير المسلمين، فاضطلع أبرع الاضطلاع، وقام أحمد مقام وألبسه الله مهامه، وقذف له في القلوب بالمحبة [1] ، وهكذا صار علي بن يوسف بن تاشفين ثـــاني أمراء الدولة المرابطية (500هـــ-537هـــ/،1106م-1142م)، وأتبع سياسة والده في إدراة أمور دولته. والنظام المرابطي عموما كان تنظيما قبليا منذ عهد أبي بكر عمـــر اللمتوني الذي يرتكز أساسا عل شيوخ القبائل الذين يشكلون مجلس الشـــورى الـــذي تناقش فيه مسائل

وأمور الدولة. وظل يوسف بن تاشفين يعمل بهذا المبدأ الجوهري أي الشورى في أخـــذ القرارات وتنفيذها في السلم والحرب بالمغرب أو بالأندلس[2] .

جبل درن ومِن وراءه المصامدة وأهل القبلة الثانية أن يهادن بني هود وأن يتركهم حائلا بينهم وبين الروم، الثالثة، أن يقبل من أحسن قرطبة ويتجاوز عن مسيئهم. عرفت فترته بالرخـــاء والاســـتقرار ماعدا ظهور المهدي بن تومرت الذي كان له لقاء معه بمسجد الجامع بمراكش وخاطبـــه المهـــدي بضرورة تغير المنكر ببلاده لأنه هو المسؤول عن الرعية، وهذه الإلتفاتة دفعت بالأمير المرابطـــي أن يختبر أمره وينظر ما عنده من العلم، وقاموا بما أمر، والنتيجة كانت أنهم استشاروا على الأمير بـــأن يمسك به لأنه رجل يفتن الناس إلا أن المهدي رحل قبل الإمساك به. زيادة على هـــذه الأعمـــال السياسية اهتم علي بن تاشفين بالعمارة والفن، إذ قام بتنوير حضرة مراكش وبناء جامعها ومنارها وجلب لهذا أمهر الصناع وأبدع الفنانين. توفي بمراكش سنة 535هـــ ودامت فترة حكمه خمســـة وثلاثون سنة المجهول -الحلل الموشية، المصدر السابق ص 67، 68، 69 النويري، المصدر السابق، ص 392 عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحـــدين: عصـــر الطوائف الثاني: 510(هـــ-546هـــ/1116م-1151م) تاريخ سياسي وحضارة، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988 ص 123، ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 247.

(1) ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج-4 ص 48.

(2) عندما انتقلت الخلافة إلى بني أمية بزعامة معاوية بن أبي سفيان، صار نظام الشـــورى نظامـــا وراثيا، وأصبحت البيعة رسما شكليا يقوم به الناس، يتقدمهم الأمراء والكبراء والعلمـــاء. ويؤخـــذ عليهم الأيمان المغلظة مع الحلف بالطلاق والعتاق لكي لا يتحللون منها، وقد عهد معاوية بالخلافـــة من بعده لابنه وانتزع البيعة له بالمال لمن يخضع بالمال، وبالقوة لمن يخضع بالقوة، ونظام ولاية العهد

رغم أن طبيعة الحكم صارت وراثية والسلطة أصبحت بيد آل تاشفين في إدارة الشؤون السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية.إلا أن هذا لم يمنع من تطبيق العدالة والإنصاف والاهتمام بشؤون الرعية بالمغرب والأندلس[1]، وأسندت هذه المهمات إلى القضاة والعمال لأنهم أكثر احتكاكا بالرعية، ووجدت رسائل موجهة من الأمير علي بن يوسف بن تاشفين إلى القضاة والولاة يطالبهم ويأمرهم بتفقد أحوال الرعية، ويستمع لشكاوي الناس، منها التي جاء فيها: "فتفقد ما قبلك حتى تفقده، وتعهده أخص تعهده، فإنك إذا أمعنت التطلع، وأدمنت إلى جانب الرعية التلفت والتسمع، لم يشذ عن عملك ما يجري ببلدك، لاجتماعه وانحصاره، وتقارب ما بين مسافاته وأقطاره، وإن حق على الجار أن يفرج ضغطة جاره، فاستكشف- وفقك الله- الأحوال، وتعرف صورها، واستعلم مع الرعية شأن الرعية وخبرها، فكل ما رفعته إليك

الذي أصبح وراثيا كانت معالمه غير واضحة، وكانت نتيجة سيئة للدولتين الأموية والعباسية، وكانوا يولون العهد أحيانا لأكثر من واحد، عبد السلام الترمانيني، المرجع السابق،ج2،مج 2 ،ص50-51-52، عصمت عبد اللطيف الدندش، المرجع السابق، ص 31، إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع في عصر الأموي، ط.1، دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1983 ص 152-153، مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص 457-452.

(1) قسمت الأندلس في عهد المرابطين إلى ثلاثة مناطق إدارية كبيرة، الشرق، والغرب، والموسطة، وتعد الأندلس من أهم ولايات الدولة في عهد المرابطين، فكان يعهد بها عادة إلى الأمير الذي يعين ولي للعهد ويلقب حينئذ بلقب خاص، هو "النائب" ويقوم بتصريف كل أمور الأندلس، يجلس للنظر في المظالم، ويقرأ الرقاع ويجيب عليها ويكتب التوقيعات، ويتفرغ للمناظرة يوم الجمعة ومركزه في غرناطة أو قرطبة أو إشبيلية. ومن مهامه كذلك اتخاذ دور السكة لسك النقود باسم أمير المسلمين في المدن الكبرى، ووجدت نقود مضروبة في مناطق عدة من الولاية الأندلسية إشبيلية وغرناطة وقرطبة وبلنسية ومالقة وألمرية وسرقسطة، وكان يضاف اسم ولي العهد بجانب اسم أمير المسلمين على السكة، ويلي الأندلس في الأهمية ولاية فاس وهي عاصمة الدولة الثانية، وفيها حاول الأمراء المرابطون من أهل تاشفين أكثر من مرة أن ينشئوا مملكة مستقلة. محمد عبد الله بن عنان، المرجع السابق، ص 411، عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 125، يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 472.

من أحوالها وتظلمت فيه من عمالها، أجريته مع الحق كيف جرى، وعممت بالنظر، و لم تخص قضية دون أخرى فكل بك معصوب، وأنت عنه محاسب وبه مطلوب".

والمهم أن هذا النظام الذي أقره المرابطون لم يأت بجديد، لأن نظام الولاية، أوجده العباسيون بالمشرق، ثم أوجده كذلك الرستميون والأدارسة ثم الأغالبة فيما بعد بالمغرب الإسلامي.

وما يمكن استخلاصه من ولاية العهد التي أقرها يوسف بن تاشفين أنها لم تكن فيها شروط أو تقاليد معينة لاختيار ولي العهد إنما كان للأعضاء والأقوى لخلافته، ومعنى هذا أن نظام الحكم المرابطين كان نظاما وراثيا على كل المستويات، يقع التعيين على من هو كفء على تسيير وتنظيم الدولة وإدارة شؤونها، ولكن الجديد هو أن الدولة المرابطية انتقلت من نظام قبلي إلى نظام سياسي منظم، وقد ألقى الأندلسيون على المرابطين تسمية تدّل على هذا التطور أو الانتقال وجاء في كتاب المعجب للمراكشي، هذه الإشارة "وحين ملك يوسف أمير المسلمين جزيرة الأندلس وأطاعته بأسرها و لم يختلف عليه شيء منها، عدّ من يومئذ في جملة الملوك، واستحق اسم السلطنة وتسمى هو وأصحابه بالمرابطين وصار هو وابنه معدودين من أكابر الملوك؛ لأن جزيرة الأندلس هي حاضرة المغرب الأقصى... » [1]. ومهما يكن من شيء فإن أميرية المرابطين تتصف بأنها إمارة ثيوقراطية.

وانطلاقا من هذا أصبح لقب"أمير المسلمين وناصر الدين" المعمول في بكل دولة المرابطين، وجاء في كتاب الحلل الموشية نصا أصدره يوسف بن تاشفين، وجهه إلى عمال الدولة وأعيانها، وبالتالي إلى عامة الشعب، حتى يخاطبوه بهذا اللقب الجديد [2]وولاء

---

(1) ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج 4 ص 163، عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 222، يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 477، 478.

(2) بسم الله الرحمان الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم تسليما، من أمير المسلمين وناصر الدين يوسف بن تاشفين إلى الأشياخ والأعيان من أهل فلانة أدام الله كرامتهم ووفقهم لما يرضا، سلام الله عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، أما بعد الحمد لله تعالى وبركاته، أما بعد الحمد لله أهل الحمد والشكر، وميسر اليسر وواهب النصر، والصلاة على محمد المبعوث بنور الفرقان والذكر، وإنا كتبناه إليكم من حرقا بمراكش حرسها الله، في منتصف محرم سنة 466هـ ،

يوسف بن تاشفين للخلافة العباسية، جعله في موقف احترام من الفقهاء، كالإمام الغزالي والطرطوشي اللذين أرسلا خطابا يحثانه فيه على خدمة الإسلام، والتصدي لملوك الطوائف التي تتحالف مع النصارى لضرب إخوانهم العرب[1].

بيعة أمير المسلمين

كان المرابطون في أول دولتهم يختارون بكامل الحرية رئيسهم الذي يتم تعينه من طرف الشيوخ وأعيان المجتمع اللمتوني، فالزعماء الأوائل مثل يحي بن عمر وأبي بكر بن عمر تم اختيارهما عن طريق المجلس الذي يتكلف هذا التنصيب والمهمة، كما امتازت فترة عبد الله بن ياسين الزعيم الروحي لهذه الدولة الناشئة بتمسكها هذا النظام التقليدي كما وصفه مشايخ المرابطين، فهذه الشخصية الدينية لم تعمل على إحداث ملك في أسرته، فالاختيار كان يقوم على أساس كفائتهما السياسية والحربة، فالداعية عبد الله بن ياسين أمر شيوخ المرابطين و أعيانهم عندما أصيب بجروح في إحدى معاركه ضد البرغواطين أدت به إلى الموت، نصح أهله قائلا: "إياكم والمخالفة والتحاسد على الرياسة، فإن الله يؤتي ملكه لمن يشاء ويستخلف في أرضه من أحب من عباده، ولقد ذهبت عنكم، فانظروا من تقدمونه منكم يقوم بأمركم ويقود جيوشكم يغزو عدوكم ويقسم بينكم فيئكم، ويأخذ زكاتكم وأشعاركم" . وهذه الوصية تبين أن عبد الله بن ياسين لم يتتبع طريقة الملك الوراثي في الحكم [2]

بعد وفاة عبد الله بن ياسين سنة 451هـ 1059م، خلفه زعيم لمتوني آخر وهو سليمان بن جدو محاولا قيادة اللمتونيين سياسيا وحربيا لكنه عجز عن ذلك وتوفي كذلك في إحدى الحروب ضد البرغوطين، وهكذا صار رئيس الدولة المرابطية يجمع بين

وإنه لما منّ الله علينا وبالفتح الجسيم، وأنعم علينا من نعمه الطاهرة والباطنة برود النعيم وهدانا وهداكم إلى نبينا محمد المصطفى الكريم، صلى الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، رأينا أن تخصص بأنفسنا بهذا الاسم لنمتاز به على سائر أمراء القبائل وهو أمير المسلمين وناصر الدين، فمن خطب الخطبة العالية السامية، فليخطبها هذا الاسم إن شاء الله تعالى، والله ولي العدل بمنه وكرمه، والسلام، الحلل الموشية، ص18، إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص50

(1) إبراهيم حركات،المرجع السابق، ص51.

(2) ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص376.

السلطة الروحية والزمنية ولم يرشح أي شخص آخر بعد هاتين الشخصيتين الـــروحيتين للزعامة الدينية عند المرابطين.

ومن هذه المعطيات بالذات برزت نقطة التحول في التاريخ السياســـي للمـــرابطين ونظامه فابتداء من سنة 1062م- 1074م حيث تم تعيين يوسف بن تاشفين بايعه ابن عمه أبو بكر بن عمر، إلا أنّ هذه البيعة تمت في غاية السرعة، ولعل هذا يرجع هـــذا إلى ما وصلت إليه دولته إذ رجع إلى الصحراء للقضاء على بعض القبائل المتمردة، فقال لـــه: "أنت أخي وابن عمي، ولم أر من يقوم بأمر المغرب غيرك، ولا أحق به منك، وأنـــا لا غنى لي عن الصحراء وما جئت إلا لأسلم الأمر إليك وأهدنك في بـــلادك وأعـــود إلى الصحراء مقر إخواننا ومحل سلطاننا" [1]

هذه الطريقة التي تمت بها بيعة القائد يوسف بن تاشفين، هي أقرب إلى الديكتاتورية منها إلى الديمقراطية، فالقرار كان قرار الزعيم اللمتوني أبي بكر بن عمر دون استشـــارة مجلسه التقليدي[2]، -ربما- وهذا لأنه رأى في ابن عمه أنه الأجـــدر والأكفـــأ لقيـــادة اللمتونيين بعدما تمكن يوسف بن تاشفين من تنظيمهم تنظيما محكما. ثم توالت عليه بيعة أشياخ لمتونة وأعيان الدولة وأمراء المصامدة والكتاب والشهود والخاصـــة والعامـــة [3] وكانت هذه المبايعة تخضع لترتيب، يبدأ بأفراد الأسرة المالكة ثم الأمراء فرؤساء القبائـــل وعمال الدولة، ويتلى في المساجد المنشور الذي ينص على بيعه الملك الجديد ويعلن باسم الملك الجديد في خطب الجمعة، ليبطل اسم الملك المتوفى أو السابق.

وبعد تولي منصبه يرسل أمير المسلمين الجديد منشورا إلى عمال الدولة في الأندلس والمغرب، يطلعهم فيه بموت الملك السابق، وتعينه خلفا له، ويستقدمهم لمبايعته، وتعينـــه خلفا له، وتعزيته في وفاة أبيه الملك السابق [4].

كما احتفظ ملوك دولة المرابطين بالمراسلات الرسمية التي كانت قائمة بين المرابطين والخلفاء العباسيين، وهذه المراسلات الرسمية كانت دعما للمرابطين من حروبهم المختلفة

---

(1) المؤلف المجهول، المصدر السابق، ص45.

(2) إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص53.

(3) مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص16.

(4) إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص54.

ضد النصارى والبراغواطيين بالمغرب الإسلامي. ومنها هذه الرسالة الموجهة في الخليفة العباسي المستظهر قبل موته سنة 512هـ/1120هـ للأمير علي بن يوسف بن تاشفين، وحملت هذه الرسالة كل التقدير والاحترام لهؤلاء المجاهدين في سبيل الله، قائلا فيه:

"من عبد الله أبي العباس المستظهر بالله أمير المؤمنين" إلى زعيم دولة المرابطين، وزعيم جيوشها المغربية، علي بن يوسف بن تاشفين أحسن الله توفيقه.

أما بعد: فالحمد لله مقدم على كل مقام،وتال كل فعال، وهو ذو المن والأفضال، الكبير المتعال، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد المؤيد التنزيل، الذي كشف عن الأمة الغمة، وأستنقذ من ضلالة الأمة، وحمى به من المحارم ما كان مباحا، واقتدح من القلوب زنادا أوراه بعدما كان شحاحا، وألبس الذين بعدما كان بالعراء من البسيطة جناحا وعلى أزواجه وذريته ما عقب مساء صباحا، وخص العباس بن عبد المطلب عم النبوءة ووارث الخلافة وشقيق الأبوة الميمون الطاهر الظاهر الأوائل والأواخر، بالصلاة المستهلة الهماد، المتصلة الأمداد، ومواهب الله على أمير المسلمين حبائس، ومنائحه لديه كوامل نفائس وجناب الإسلام مريع،وباع الحق وسيع، ورياض العدل أريضة، وعنون الحق عريضة، ونظره للرعايا ما يقتضيه قصدها ومرادها ويفل عنهم شبا الأيام إذا رهف حبها.

والنصر لرايته إلف، والظفر لجيوشه حلف، وأعداؤه للسيوف حصائد، وللحتوف طرائد، وشكره لله تعالى على ما أولاه سكر مؤذن بالمزيد، وشاهد بصنع لايبيد.

وعرض بحضرة أمير المؤمنين، كتابك الموضح لإخلاص السريرة المطبوعة بطبائع الدين، المعربة عن تمسكه بطاعته بحبل الله المتين، الهاطلة سحائبها من سماء سريرك، المضيئة مصابيحها من إخلاص طريقتك.

وأما ما أهميته من توفير الأجناد، ومثابرتك على الجهاد، لدفع أدناس الكفرة مما يليك من البلاد، فإنك وظائفتك من حزب الله وحرب الله هم الغالبون، فاتخذ التقوى عمادك ، مبارك وكتاب بالله وسنة رسوله شعارك، وتجرد للدفاع عن الإسلام والمسلمين، وحط صعادك في نحور أعداء الله الكافرين، وأعل بالدماء لأمير المؤمنين على المنابر تكن الظافر بالأعداء الظاهر، والسلاك عليك وعلى من قبلك من أهل الطاعة،

والأشياخ، وفي الغالب تظل كلمة الفقهاء هي العليا دائما، لاستنادهم في فتاويهم إلى الشرع، بينما يستند الشيوخ والوزراء إلى مقتضيات الواقع.

ومن الإجراءات التي تتخذ كذلك بعد البيعة بالنسبة إلى أمير المسلمين الجديد، تسريح السجناء وتوزيع الأموال والخلع، بالإضافة إلى المنشور الذي يوزعه على الولاة بشأن توليته، وكان لا بد من القيام بحركة عزل وتنقيل في سلك الولاة حتى لا يستبدأ أحدهم بإقليم يحكمه.

وتتجمع في شخصية أمير المسلمين القدرة العسكرية والحنكة السياسية، فأمير المسلمين فهو القائد الأعلى للجيش وقائد الحروب، مسؤول على تنظيم الجيش في حالة الحرب والسلم، ويخطط للسياسة الحربية بما فيها بناء الحصون وإنشاء الأساطيل ويقرون العطايا للجنود وغير ذلك.

وهذه الخصوصيات التي تميز بها المرابطون عن غيرهم باعتبار أن دولتهم كانت دولة حربية ودينية (محاربة المرتدين، والنصارى) منذ عهد أبي بكر عمر، ثم يوسف بن تاشفين، ما عدا علي بن تاشفين الذي عدل عن الإشراف بنفسه على الحرب مما تسبب في ضعف دولته وبرزت ثورات وفتن زعزعت استقراره.

وتعد ولاية العهد التي أقرها يوسف بن تاشفين، لابنه علي بن تاشفين، يعتبر حدثا سياسيا هاما بالمغرب، إذ أسس بهذا أول دولة ملكية في المغرب من أبناء البلاد أنفسهم، بعدما تمكنوا من توحيد هذه البلاد التي عجز على توحيدها الفاتحون الأوائل العرب، والرومان والفنيقيون من قبل.

كان يوسف بن تاشفين يقصد مّن نظام ولاية العهد هذا بعث أسس الوحدة التي عمل جاهدا على تحقيقها طيلة فترة حكمه. فنقل هذه السلطة إلى ابنه يريد من خلال ذلك الحفاظ على ما نادى به وتمتين روابط الوحدة بين المرابطين تجنبا لعودة الفوضى من جديد إلى البلاد، وخشية من الله سبحانه وتعالى، ولهذا عليه أن يختار الإنسان الكفء والجدير بهذا المنصب الخطير الذي يتطلب الخبرة العسكرية والسياسية في آن واحد. وكانت وثيقة الولاية دليلا ماديا على تولية هذا أو ذاك، فمثلا، عندما رشح يوسف بن تاشفين أحد أولاده جاء فيما يلي: " بما لزمه من هذه الوظيفة وخصّه بها من النظر في هذه الأمور الدينية الشريفة، قد أعزّ الله رماحه وأحد سلاحه، فوجد ابنه الأمير الأجل

العطايا للجنود وغير ذلك.

وهذه الخصوصيات التي تميز بها المرابطون عن غيرهم باعتبار أن دولتهم كانت دولة حربية ودينية (محاربة المرتدين، والنصارى) منذ عهد أبي بكر عمر، ثم يوسف بن تاشفين، ما عدا علي بن تاشفين الذي عدل عن الإشراف بنفسه على الحرب مما تسبب في ضعف دولته وبرزت ثورات وفتن زعزعت استقراره.

وتعد ولاية العهد التي أقرها يوسف بن تاشفين، لابنه علي بن تاشفين، يعتبر حدثا سياسيا هاما بالمغرب، إذ أسس بهذا أول دولة ملكية في المغرب من أبناء البلاد أنفسهم، بعدما تمكنوا من توحيد هذه البلاد التي عجز على توحيدها الفاتحون الأوائل العرب، والرومان والفنيقيون من قبل.

كان يوسف بن تاشفين يقصد من نظام ولاية العهد هذا بعث أسس الوحدة التي عمل جاهدا على تحقيقها طيلة فترة حكمه. فنقل هذه السلطة إلى ابنه يريد من خلال ذلك الحفاظ على ما نادى به وتمتين روابط الوحدة بين المرابطين تجنبا لعودة الفوضى من جديد إلى البلاد، وخشية من الله سبحانه وتعالى، ولهذا عليه أن يختار الإنسان الكفء والجدير بهذا المنصب الخطير الذي يتطلب الخبرة العسكرية والسياسية في آن واحد. وكانت وثيقة الولاية دليلا ماديا على تولية هذا أو ذاك، فمثلا، عندما رشح يوسف بن تاشفين أحد أولاده جاء فيما يلي: "بما لزمه من هذه الوظيفة وخصّه بها من النظر في هذه الأمور الدينية الشريفة، قد أعزّ الله رماحه وأحد سلاحه، فوجد ابنه الأمير الأجل أبا الحسن أكثرها ارتياحا إلى العالي واهتزازا، وأكرمها سجية وأنفسها اعتزازا [1].

ويشير باختياره هذا لابنه علي زعيما للمرابطين أصغر اخوته، فقد ظهرت نتائجه السلبية في أواخر دولة علي بن يوسف عندما ظهرت عداوة المصامدة بزعامة المهدي محمد بن تومرت الذي قادهم حتى سقوط الدولة المرابطية في عز عنفوانها وشبابها.

أما داخليا فإن موقف الملثمين كان عاديا إذ لم يظهروا أية معارضة لما كانوا يكنونه احترام للمتونة التي تمثل في أسرة يوسف بن تاشفين.

إن مؤهلات ولي العهد، قد نجدها تتوفر في الأمير الذي بايعه المرابطون، فأولياء

---

(1) مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص64.

العهد يخضعون لتربية خاصة تجمع بين الثقافة البدنية والعقلية والأخلاقيـــة، لأن الملكيـــة الوراثية تشترط هذه المقومات التي تبنى عليها، والمرابطون كغيرهم أي (الدولة العباســـية والأموية والفاطمية...)كانوا يولون اهتماما كبيرا لهذه الأمور، فعلي ابن يوســـف كـــان يتمتع بكفاءة علمية وذكاء حاد، وتنشئته ونسبه والتحاقه بالأندلس كنائب أمير المسلمين مكنه من معرفة أوضاع المغرب والأندلس بدقة، حتى أنه شارك بنفسه في النظر في المظالم والشكايات، فقام بمهمته أحسن قيام، وانتفع الناس من جل أعماله التي قام بها [1] وهذه الصفات لم تقتصر على علي فقط، بل أغلب ملوك المرابطين اشتهروا بالكفاءة الحربيـــة والقدرة السياسية، فالأمير تاشفين كان شجاعا، وأغلب حروبه التي قادهـــا بالأنـــدلس كانت موفقة، زيادة على أعماله الكبيرة التي قام بها، كتعزيز التحصينات بالثغور وتنظيم الجيش الإسلامي، وإحداث شبكة من الجواسيس لمراقبة الأعداء قبل أن يصبح ملكـــا[2]، قد تمكن بفضل هذا التنظيم من الانتصار علـــى النصـــارى في غـــزوة بطليـــوس عـــام 528هـــ/1136م، وغزوة جبل العصر، وغيرها من الغزوات [3].

ثم جاء بعده ابنه إبراهيم بن تاشفين الذي مر بنفس مراحل والده قبـــل توليتـــه الحكم، فقد كان ينوب عن أبيه تاشفين في الأندلس، وفي المغرب الأقصى خلفـــا لأبيـــه الذي انتقل إلى المغرب الأوسط ليتصدى لحركة الموحدين الجارفة، وفي هذه الفتـــرة - كذلك- ظهر صراع حول الحكم بين إبراهيم بن تاشفين وعمه إسحاق مما سهل علـــى الموحدين الدخول عليهم [4].

ويدعى ولي العهد المتفق عليه إلى جانب أمير المسلمين في خطـــب الجمعـــة، وفي السكة ينقش اسمه بجانب اسم أمير المسلمين، وتجدد البيعة بعد أن يصبح ولي العهد أمـــير المسلمين، ويتولى البيعة عادة أحد كبار أمراء الأسرة المالكة [5] وبعد أن يتفـــق وجهـــاء الدولة على مبايعة ولي العهد، فكان يمنع منعا باتا الخروج على ما اتفق عليه من طـــرف

---

(1) مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص284.

(2) ابن الخطيب، المصدر السابق، ص284.

(3) مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص102.

(4) نفسه، ص110-111.

(5) إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص80.

الأمير ومجلسه الاستشاري اللذين يمثلان نظام الدولة. والنظام السياسي المرابطي لم يكن خال من المعارضات الداخلية، كموقف أبي بكر بن علي بن يوسف الذي امتنع عن مبايعة سيرين بن علي، فهذا لموقف دفع علي بن يوسف إلى نفي أبي بكر إلى الصحراء، وبعد ذلك بسجنه بالجزيرة الخضراء بعد وفاة سيرين بن علي سنة 533هـ/1141م، وترشيح تاشفين مكانه، الذي تولى دولة المرابطين بعدما استشار والده الرعية، إذ جمع الناس في المساجد واستشارهم فقبلوا ترشيحه بالإجماع [1].

ولقب "نائب أمير المسلمين" كان هو الآخر ذا أهمية في النظام السياسي لدولة المرابطين، وكان يقيم بالأندلس والآخر في المغرب، ووظيفته سياسية قبل كل شيء ولهذا كان يستوجب أن يكون من أقرب الناس إلى أسرة أمير المسلمين (أبناء العمومة، الأصهار، أمراء)، وكان يسهر على تنفيذ سياسة الدولة طبقا للتعاليم الإسلامية، وأن يتوفر على كفاءة حربية عالية؛ تماشيا مع طبيعة الدولة المرابطية الحربية المجاهدة.

وهذا اللقب حمله أبناء الأمراء قبل توليهم منصب الحكم، كعلي بن تاشفين، وسير بن أبي بكر، وأبي طاهر تميم، وأبي محمد عبد الله بن عائشة [2] وإبراهيم بن علي، وأبي بكر بن علي وغيرهم.

وكانت مهام الأخرى لنائب أمير المسلمين مراقبة أعمال الولاة، وتنظيم الخطط الحربية، وتولية العمال والقضاة وعزل من الذين يقومون بأعمال تغضب الرعية، أو من يخون الثقة، والنائب يطبق كل توجهات أمير المسلمين الخاصة بالرعية والعمال حسب المنشور الخاص الذي يذاع على العمال أنفسهم. وهذا نموذجا من المراسيم التي كانت تبعث لهذا الغرض، ومنه المرسوم الذي بعثه يوسف بن تاشفين إلى عبد الله بن فاطمة. "كتابات أطال الله في طاعته عمرك، وأعز بتقواه قدرك، وشد فيما تولاه أزرك، وعضد بالتوفيق والتسديد أمرك- من حضرة مراكش حرسها الله".

وقد رأينا -والله ولي التوفيق، والهادي إلى سواء الطريق- أن نجدد عهدنا إلى عمالنا عصمهم الله بالتزام أحكام الحق، وإيثار أسباب الرفق، لما نرجوه من الصلاح

---

(1) إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص82.

(2) مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص80.

لقب لم يتسمّى به أي أمير من قبل في المغرب الإسلامي وضرب السكة باسمه[1]في جميع أنحاء دولته ووضع نظام مالي محكم اعتمد على واردات الضرائب الشرعية وهي زكاة العين والماشية والعشور، واعتمد بيت المال على الغنائم والجزية والأعمال التي تحصّل أو تجمع من أهل الذمة كاليهود. وقد جلبت هذه السياسة الحكيمة لاتباع المرابطين الرخاء والملك والاستقرار. يقول ابن خلدون:" أن الدولة سواء قامت على سنن العصبية أو الدين تكون قليلة الضرائب كثيرة الجباية ولا يكون ذلك إلا تدريجيا، فإن أقوى الأسباب في الاعتمار تقليل مقدار الوظائف على المعتمرين ما أمكن" .وكان أمير المسلمين يختص من الغنائم بالخمس وفقا لأحكام الإسلام ويوزع الباقي على الجند.

وقد ساد اللقب الثاني"النائب"الإمارة المرابطية وأطلقه يوسف بن تاشفين على أمراء الدولة قبل توليهم السلطة كعلي بن تاشفين وولده وأحفاده فيما بعد، وكان مركز الحكم كان بالمدن الأندلسية كغرناطة واشبيلية وقرطبة وفاس[2]، كذلك بالمغرب وهي عاصمة المملكة الثانية. كان حكرا لأمراء الدولة المرابطية.

---

[1] اهتم المرابطون بدور السكة اهتماما كبيرا، واختير لهذه الدور أشخاص معروفون بالأمانة والمعرفة، بحيث يجب على الشخص أن يكون "عالما أمينا وله بالصناعة علم ومعرفة" كتمييز النقود وأوصاف المعادن وما يصلحها وما يفسدها، وأسباب غشها وما يزينه، ودرايته بالكتابة، والنزاهة والديانة، وإن حدث العكس عادت بالخسران وعدم الرجحان، وتعطل فايدها وقل عائدها"، وهذا لا يعني أن ضرب السكة بالمغرب العربي كان متأخرا، فالمرابطون لم يدخلوا تقنيات جديدة في ضرب السكة، فظلت كما وجدت بدولة الأغالبة مع تطوير خفيف.

وقد كتب على وجه الدينار المرابطي في ووسطه بالتحديد عبارة " لا إله إلا الله محمد رسول الله" وتحتها " أمير المسلمين أمير بن تاشفين وعلى الحاشية "ومن يبتغي غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين"، وعلى الوجه الآخر في الوسط " الإمام عبد الله العباسي أمير المؤمنين" وفي الدائرة الحاشية تاريخ ضربه وموضع سكه.

هذا الدينار أحرز على ثقة المتعاملين، فصار عملة دولية، حيث وصل إلى القسطنطينية، مما زاد من ازدهار الدولة وكثرت معاملتها مع الدول المجاورة لها، وبالخصوص بعد احتكارها على الطرق الصحراوية وذهبها، صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 589، عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق،ص 236.

[2] يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 478.

أنحاء دولته ووضع نظام مالي محكم اعتمد على واردات الضرائب الشرعية وهي زكـــاة العين والماشية والعشور، واعتمد بيت المال على الغنائم والجزية والأعمال التي تحصّـــل أو تجمع من أهل الذمة كاليهود. وقد جلبت هذه السياسة الحكيمة لاتباع المرابطين الرخاء والملك والاستقرار. يقول ابن خلدون:" أن الدولة سواء قامت على ســـنن العصـــبية أو الدين تكون قليلة الضرائب كثيرة الجباية ولا يكون ذلك إلا تدريجيا، فإن أقوى الأسباب في الاعتمار تقليل مقدار الوظائف على المعتمرين ما أمكن" .وكان أمير المسلمين يخـــتص من الغنائم بالخمس وفقا لأحكام الإسلام ويوزع الباقي على الجند.

وقد ساد اللقب الثاني"النائب"الإمارة المرابطية وأطلقه يوسف بن تاشفين علـــى أمراء الدولة قبل توليهم السلطة كعلي بن تاشفين وولده وأحفاده فيما بعد، وكان مركز الحكم كان بالمدن الأندلسية كغرناطة واشبيلية وقرطبة وفاس[1]، كذلك بالمغرب وهـــي عاصمة المملكة الثانية. كان حكرا لأمراء الدولة المرابطية.

وقد خولت للنائب سلطات واسعة بالأندلس لا سيما فيما يتعلق أمـــور الدولـــة باتخاذ قرارات هامة في تسيير هذا الإقليم الذي كان مهما بالنسبة إلى المرابطين، معتمدين في هذا على أهل الرأي، وهم كبار الفقهاء وأصحاب الفتوى، لأنهـــم أعلـــم بشـــعبهم وحاجته، وكان هذا النائب مع أمير المسلمين يلجأن دائما على استشارة القاضي، وجاء في هذا المعنى..." فيجب أن تشاوره في كل ما تأتي وتذر، وتورد وتصدر، وتقدم وتؤخر، فلن تعدم منه مشيرا نصيحا، وظهيرا مشيخا، وطبيبا للعلل مريحا ورأيا خالصا صريحا"[2].

وهو في الآخرة من الخاسرين"، وعلى الوجه الآخر في الوسط " الإمام عبد الله العباسي أمير المؤمنين" وفي الدائرة الحاشية تاريخ ضربه وموضع سكه.

هذا الدينار أحرز على ثقة المتعاملين، فصار عملة دولية، حيث وصل إلى القسطنطينية، مما زاد مـــن ازدهار الدولة وكثرت معاملتها مع الدول المجاورة لها، وبالخصوص بعد احتكارها علـــى الطـــرق الصحراوية وذهبها، صالح بن قربة، المرجع السابق، ص589، عضمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق،ص 236.

(1) يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 478.

(2) عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 125 .

وكان نظام البيعة، يتم عن طريق مبايعة شيوخ القبائل والولاة والأمـــراء لـــه في مختلف أرجاء الدولة، ويكون هذا بحضور أهل البيت الملكي وأمرائها ورؤســـاء القبائـــل الصنهاجية وفقهائها وعمالها[1]، فيقسمون باليمين على الإخلاص والطاعة، أما بالنســـبة إلى العامة فيتلى المرسوم في المساجد ويستبدل اسم الملك المتوفي باسم الملك الجديد وبهذا تكتمل شروط البيعة، هذه الدعامة الداخلية أي بالغرب الإسلامي مهدّت إلى لاســـتقرار سياسي بالأسرة الحاكمة.

وهكذا تولى علي بن يوسف بن تاشفين إمارة المرابطين بعد وفاة أبيه يوسف بـــن تاشفين أمير المسلمين وناصر الدين الذي أعلن رسميا ولاية العهد في الـــنظم[2] المرابطيـــة لأول مرة وأصدر عهد التولية في قرطبة لابنه علي سنة 496هـــ/1101م، الذي استمر في سياسته الجهادية ضد النصارى بالأندلس، وولائه للعباسيين طيلة حكمه. وظل هـــذا النظام سائرا حتى نهاية الدولة المرابطية.

وامتازت فترة علي بن يوسف بن تاشفين بالقوة الاقتصادية بالمغرب الإســـلامي وحوض البحر الأبيض المتوسط، مما ساعد على قدوم الأندلســـيين بكثـــرة إلى المغـــرب والعيش به. وتوالت هذه الأحداث غير المستقرة لأميرية المرابطين حـــتى قيـــام الدولـــة الموحدية.

وبعد وفاة علي بن يوسف بن تاشفين، حل محله ابنه تاشفين بن علـــي، الـــذي وصلت إليه البيعات من كل أجزاء الدولة مؤيدة للبيعة عام 533هـــ/1138م وفقـــا لمرسوم ولاية العهد الذي وضعه أبوه قبل وفاته.

تميزت فترة تاشفين أمير المسلمين بالصعوبة، بالنظر إلى كثرة الحروب الداخليـــة، بين الأسرة الحاكمة، وازدياد قوة المهدي بن تومرت الذي اكتسحت أفكاره كل بـــلاد

---

[1] كانت مناصب الولاية المحلية بالأندلس حكرا على الأمراء والقادة المـــرابطين وخصوصـــا ذوي القربي فقد عيّن كل من الأمير سيرين بن أبي بكر اللمثوني على أشبيلية بعد فتحها، ومحمد بن الحاج واليا على بلنسية ثم سرقسطة، والأمير مزدالي وليا على قرطبة وهو من أبناء عمومة يوسف، ووالده محمد وعبد الله فكل المناصب الحساسة كانت بيد البيت المرابطي دون غيره، يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 478. إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 64-66.

[2] صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 553.

إلى العامة فيتلى المرسوم في المساجد ويستبدل اسم الملك المتوفي باسم الملك الجديد وبهذا تكتمل شروط البيعة، هذه الدعامة الداخلية أي بالغرب الإسلامي مهدّت إلى لاستقرار سياسي بالأسرة الحاكمة.

وهكذا تولى علي بن يوسف بن تاشفين إمارة المرابطين بعد وفاة أبيه يوسف بن تاشفين أمير المسلمين وناصر الدين الذي أعلن رسميا ولاية العهد في النظم[1] المرابطية لأول مرة وأصدر عهد التولية في قرطبة لابنه علي سنة 496هـ/1101م، الذي استمر في سياسته الجهادية ضد النصارى بالأندلس، وولائه للعباسيين طيلة حكمه. وظل هذا النظام سائرا حتى نهاية الدولة المرابطية.

وامتازت فترة علي بن يوسف بن تاشفين بالقوة الاقتصادية بالمغرب الإسلامي وحوض البحر الأبيض المتوسط، مما ساعد على قدوم الأندلسيين بكثرة إلى المغرب والعيش به. وتوالت هذه الأحداث غير المستقرة لأميرية المرابطين حتى قيام الدولة الموحدية.

وبعد وفاة علي بن يوسف بن تاشفين، حل محله ابنه تاشفين بن علي، الذي وصلت إليه البيعات من كل أجزاء الدولة مؤيدة للبيعة عام 533هـ/1138م وفقا لمرسوم ولاية العهد الذي وضعه أبوه قبل وفاته.

تميزت فترة تاشفين أمير المسلمين بالصعوبة، بالنظر إلى كثرة الحروب الداخلية، بين الأسرة الحاكمة، وازدياد قوة المهدي بن تومرت الذي اكتسحت أفكاره كل بلاد المغرب، بعدما نادى" بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" فساءت الأحوال وكثرت الشدائد والمحن مما دفع بكثير من سكان المغرب الإسلامي إلى تقبل أفكار المهدي بن تومرت التي أطاحت بالدولة المرابطية وهي في عز عنفوانها[2] ولم يغير حكم تاشفين بن

---

(1) صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 553.

(2) تاشفين بن علي: أحد أبناء علي بن يوسف بن تاشفين، وكنيته أبو محمد، عين واليا على الأندلس في عهد أبيه ثم عين كذلك واليا على قرطبة بمرسوم أمير المسلمين من مراكش في سنة 526هـ. اعتنى تاشفين بشؤون الأندلس وبدأ بإصلاح الحصون وسد الثغور، وتنظيم الجيوش وجمع السلاح والخيل، وتكوين فرق الرماة، والتزم العدل في معاملة الرعية والجند.
ووصف تاشفين بن علي بالبطولة والشجاعة والهيئة، قام بعدة غزوات في شبه الجزيرة مع النصارى

على هؤلاء لقب الوزراء.

وحددت مهمة الـوزير[1] المرابـطي في الأقـاليم برئاسـة ديوان الإنـشاء[2] وعدم ممارسة مهام أخرى باعتباره رئيس الوزراء وملازم أمير المسلمين، لحـل مشـاكل الدولة في حينها، وجلهّم كانوا في الأندلس وبعضهم في المغرب الإسلامي، منهم علي بن عبد العزيز الأنصاري وزيرا أبي الطاهر تميم.

وقد أوكلت لهؤلاء مهم إدارية، ويسمى بالوزير المشرق، ولكن فصل الأصـول وتعديلها تعود دائما لأمير المسلمين.

---

[1] الوزير: حددّ ابن خلدون اختصاص الوزير بأنه يتناول حماية الكافة و أشياخها والنظر في الجنـد والسلاح والحروب، وذكر أن هذه المهام يتولاها الوزراء في دول المشرق القديمة، ودول المغـرب الإسلامي في القرن الثامن الهجري. وأول من لقب بالوزير في الإسلام أبو سلمة بن خلال، وزيـر الخليفة العباسي السفاح، حيث كان يمثل الوزارتين، وزارة التفويض والتنفيذ.
القلقشندي في كتاب...، المصدر السابق، ص 170-171، إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 36.

[2] ديوان الإنشاء: عرف هذا الأخير، أن "ديوان" لفظ فارسي معرب، ومعناه شياطين، أو مجانين، أما "الإنشاء" فمصدر أنشأ الشيء، أي ابتدأه واخترعه. وديوان الإنشاء سمي قبل هذا بديوان الرسائل، ثم بديوان المكاتبات، وأول كتب وضعت في الإسلام كانت للرسول صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأكاسرة والأباطرة. واتخذ صاحب الديوان ألقابا متعددة منها، الكاتب في عهد الدولة الأموية، والوزير في الدولة العباسية، ثم صاحب ديوان الرسائل أو صاحب ديوان المكاتبات، ثم بكاتب الدست في الدولة الفاطمية، وكاتب السر في عهد المنصور فلاوون.....
واختصاصات كاتب الديوان كثيرة منها التوقيع على الرسائل والشكاوي، والنظر في الكتب الواردة عليه وإعداد الأجوبة عن هذه الكتب، والنظر فيما تتفاوت به الرتب في الرسائل والمكاتبـات مـن الافتتاح والدعاء والألقاب، ومراقبة كل ما يخرج من الديوان من رسائل، والنظر في أمر الديوان وهو من أعظم مهمات السلطان، والنظر في أمر العامة....ونظام ديوان الإنشاء يتألف من صاحب هـذا الديوان، ومن سبعة كتاب، مثل كاتب يكتب المكاتبات الخاصـة بالولايـات، والآخـر يكتـب للسلاطين والملوك، وكاتب يكتب لأهل الدولة وكبرائها ووجوهها، وكاتـب يكتـب المناشـير، وكاتب يراجع ما يخرج من الديوان من رسائل، وآخر خاص بالتذاكر والدفاتر المتعلقة بالـديوان، القلشندي، في كتابه...، المصدر السابق، ص 74-75.

وعدم ممارسة مهام أخرى باعتباره رئيس الوزراء وملازم أمير المسلمين، لحل مشاكل الدولة في حينها، وجلهّم كانوا في الأندلس وبعضهم في المغرب الإسلامي، منهم علي بن عبد العزيز الأنصاري وزيرا أبي الطاهر تميم.

وقد أوكلت لهؤلاء مهم إدارية، ويسمى بالوزير المشرق، ولكن فصل الأصول وتعديلها تعود دائما لأمير المسلمين.

أما عن خطة الكتابة[2]، فقد كان المرابطون يختارون لهذه المهمة أكبر الأدباء،

---

(3) ديوان الإنشاء: عرف هذا الأخير، أن "ديوان" لفظ فارسي معرب، ومعناه شياطين، أو مجانين، أما "الإنشاء" فمصدر أنشأ الشيء، أي ابتدأه واخترعه. وديوان الإنشاء سمي قبل هذا بديوان الرسائل، ثم بديوان المكاتبات، وأول كتب وضعت في الإسلام كانت للرسول صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأكاسرة والأباطرة. واتخذ صاحب الديوان ألقابا متعددة منها، الكاتب في عهد الدولة الأموية، والوزير في الدولة العباسية، ثم صاحب ديوان الرسائل أو صاحب ديوان المكاتبات، ثم بكاتب الدست في الدولة الفاطمية، وكاتب السر في عهد المنصور فلاوون.....

واختصاصات كاتب الديوان كثيرة منها التوقيع على الرسائل والشكاوي، والنظر في الكتب الواردة عليه وإعداد الأجوبة عن هذه الكتب، والنظر فيما تتفاوت به الرتب في الرسائل والمكاتبات من الافتتاح والدعاء والألقاب، ومراقبة كل ما يخرج من الديوان من رسائل، والنظر في أمر الديوان وهو من أعظم مهمات السلطان، والنظر في أمر العامة...ونظام ديوان الإنشاء يتألف من صاحب هذا الديوان، ومن سبعة كتاب، مثل كاتب يكتب المكاتبات الخاصة بالولايات، والآخر يكتب للسلاطين والملوك، وكاتب يكتب لأهل الدولة وكبرائها ووجوهها، وكاتب يكتب المناشير، وكاتب يراجع ما يخرج من الديوان من رسائل، وآخر خاص بالتذاكر والدفاتر المتعلقة بالديوان، القلشندي، في كتابه...، المصدر السابق، ص 74-75.

(1) الكتابة: عرفت الكتابة على أنها صناعة روحية لا تتم إلا بآلة مادية لتدل على معنى من المعاني امتلأ بها ذهن الكاتب، وفي رأي القلقشندي أن الكتابة وإن تعددت أشكالها وأنواعها لا تخرج عن أصلين هما: كتابة الإنشاء، وكتابة الأموال.

وللكاتب صفات منها صفة الإسلام، وصفة الذكورة، وصفة الحرية، وصفة النفس، وصفة العلم، وصفة الكفاءة...كما كانت للكتابة آداب، منها حسن السيرة، وحسن المعاشرة، نفسه ص 6-67.

لأنها تعبر عن قوة الدولة وحكامها، وتعطي الصورة الحقيقية لطبيعة النظام وأسلوبه، وتمثل كذلك العلاقة الخارجية الدبلوماسية والسياسية مع الدول المجاورة.

وكان أغلب كتاب الدولة المرابطية من الأندلس الذين سبقوا أن عملوا ببلاط ملوك الطوائف، إذ مكنتهم تجربتهم السياسية والثقافية من الجمع بين الكتابة والوزارة. ومن هؤلاء الكتاب نجد أبا جعفر بن عطية، وابن أبي الخصال، وعبد المجيد بن عبدون، وأبا بكر الصرفي، ومالك بن وهيب، وأبا القاسم بن السقاط، وأبا جعفر بن النبي وغيرهم.

ولم تكن الحجابة في عهد المرابطين ذات أهمية، بالنظر إلى طبيعة النظام الذي سنّه الأمراء، وما امتاز به من البساطة في التعامل مع الرعية، الاتصال يتم بين الحاكم والمحكوم عن طريق بعض الأعوان أو دونهم، فكان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين يتفقد أمور رعيته بنفسه، ولم يكن بحاجة إلى حاجب يطلعه على ما يحدث بدولته الشاسعة الأطراف[1].

على العموم فقد تميزت الدولة المرابطية عن غيرها ببساطة مؤسساتها التي كان يرعاها أكفأ الناس علما ودينا، فقهاء وعلماء وقواد جيش، بالإضافة إلى طابعها الديني[2] الذي اتصفت به هذه الإمارة منذ بدايتها حتى آخر أيامها.

نهاية الدولة المرابطية

انحصرت عوامل سقوط الدولة المرابطية في تسلط رجال الدين وبالخصوص الفقهاء على أمور الدولة، وكذلك تدخل النساء في تسيير شؤون الدولة مما أدى إلى اشتعال الثورات [3] في مناطق عدة من المغرب الإسلامي، وبالخصوص في الأندلس التي

---

(1) إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 107.

(2) محمد قريبير، الشعر الصوفي في الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دمشق، 1986، ص5.

(3) شهدت منطقة الأندلس ثورات وفتن عديدة إبان الحكم المرابطي، أول هذه الفتن، فتنة قرطبة التي حدثت في عهد علي بن يوسف بن تاشفين عام 513هـ بين جنود المرابطين وأهل قرطبة بسبب امرأة، ثم توالت فيما بعد هذه الأحداث حتى ظهور ثورات متعددة، قادها قضاة تمتعوا في عهد المرابطين

شهدت نشوب ثورات عديدة، تزعمها كثير من القضاة الممثلين للعائلات الكبيرة والمتحالفين مع بعضهم البعض في أول الأمر منذ بداية حركاتهم.والحقيقة هذه الثورات لم تكن الثورات واضحة الملامح والأهداف فربما كان الهدف تغيير حاكم بآخر، أو حبا في استقلال الأندلس عن المغرب أي الأندلس للأندلسيين، كما كان المرابطون مجاهدين بالدرجة الأولى، فحروبهم الكثيرة ضد النصارى وإخماد الثورات الداخلية، أفلست وأتعبت الدولة مما أدى فيما بعد إلى تمرد الجند وإخلال هذا الصرح الذي كانت تقوم عليه هذه الدولة المحاربة.

وعلى كل فالدولة المرابطية كانت دولة جهاد، أسهمت في الحفاظ على الأندلس لقرون أخرى، ودعمت الوجود العربي الإسلامي بمختلف بنيته الاجتماعية على التعايش تحت وحدة الدين، وتأسيس حضارة إسلامية فريدة من نوعها، أعطت للإنسانية صورة عن التمدن في جميع المجالات.

خلاصة الفصل

نستنتج من خلال دراستنا لتطور مفهوم الحكم بأميرية دولة المرابطين أن الخلافة بالنسبة للمرابطين كانت حكرا على الدولة العباسية التي تمثل وحدة العالم الإسلامي، وإمارة المرابطين ما هي إلا جزء لا يتجزأ من الخلافة العباسية الشاسعة الأطراف، ولهذا لم يتلقبوا خلفاءهم باللقب الخلافي " **أمير المؤمنين** ".

-كما أن النظام المرابطي الذي قام على عناصر ثلاثة، العصبية القبلية المسيطرة على لمتونة القوة المالية، والإشعاع الديني، وقد تميز هذا النظام رغم تبعيته الرسمية للخلافة العباسية باستقلال داخلي تام في تنظيم أمور الدولةوترتيبها.

- سار المرابطون على النظام الوراثي أو التنظيم الملكي السلالي(آل تاشفين)

بالسلطة، والنفوذ والسلطان، فهذا المركز دفعهم إلى التفكير بنظام المرابطين وحل ربما محلهم، من هؤلاء الفقهاء والقضاة نجد، القاضي ابن حمدين، وابن الأضحى، عبد الرحمان بن طاهر، ابن حسون، النويري، نفس المصدر السابق، ص391، عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 95-96.ابن الخطيب المصدر السابق، ص 248-249.أبي عبد الله المراكشي، السفر السادس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصّلة، تح. إحسان عباس، ط1، دار الثقافة، بيروت، 1973، ص9، 78.

حين أصبح الحكم استقراطية قبلية بعد انتقال من تنظيم ثيوقراطي أو ديني إلى هذا النوع من النظام.

– قامت هذه الدولة بتوحيد علاقات اجتماعية متجانسة ومحمية في إطار النظـــام التيوقراطي الذي نمّى فكرة الوحدة بالمغرب الإسلامي فيما بعد.

– قضى المرابطون كذلك على فكرتي المهدية والعصمة التي نادى بهمـــا الخلفـــاء الفاطميون بالمغرب، وقضوا بذلك على الفكر الشيعي الإسماعيلي بـــالمغرب الإســـلامي، وأحلوا محله المذهب السني المالكي وانتشر حتى بإفريقيا المدارية.

وعلى كل فهذا المفهوم لم يتطور في عهد أميرية المرابطين، حتى أنهم لم يأخـــذوا لأنفسهم ألقابا كغيرهم من الدول الإسلامية التي ظهرت في المغرب الإسلامي، وسنحاول في الفصل التالي الخاص بخلافة الموحدين، دراسة تطور مفهوم الخلافة حسب رسومهم في بلاد المغرب باعتبار هذه الدولة حمل خلفاؤها لقب " **أمير المؤمنين**" وألقاب أخرى بـــدء بمؤسسها محمد بن تومرت الذي حاول التوفيق بين الحكمة والشريعة في إطـــار تنظيمـــه لدولته معتمدا على تجربة التغيير في حركته.

الفصل الثالث

الخلافة الموحدية

(524هـ-668هـ)(1121م-1269م)

تمهيد

1. مراحل تاريخ دولة الموحدين
2. تطور مفهوم الخلافة عند الموحدين

أ. الألقاب الخلافية

ب. شارات الملك

ج. خصائص الخلافة الموحدية

3. أوجه الشبه و الإختلاف بين أميرية المرابطين و الخلافة الموحدية

سقوط الموحدين

خلاصة الفصل

تمهيد

أعطت الحركة الإصلاحية الدينية التي قام بها مؤسسو الدولة المرابطية نتائج وحدة وتماسك للمغرب، خاصة بعدما تمكن الزعيم يوسف بن تاشفين من إخضاع الإمارات الزناتية وقبليتي كتامة وصنهاجة تحت سلطته، وإبعادهما عن ولائهما الخلافة الأموية والفاطمية معا، فكوّن بذلك مملكته الشاسعة الأطراف والتي ضمت جزءا كبيرا من السودان والأندلس شمالا والمغربين الأقصى والأوسط معتمدا على قوة جيشه المغربي الذي استخدمه في قمع النصارى والمتفرقين[1].

وقد تميزت الناحية الاجتماعية، بعودة المذهب السني المالكي الذي فرضه المرابطون، بعد انتقال الدولة الفاطمية إلى مصر؛ حيث فقدت سيطرتها السياسية في المغرب.

كما عرفت هذه الفترة سيطرة رجال الدين وخصوصا الفقهاء على زمام السلطة وخاصة في عهد الأمير علي بن يوسف بن تاشفين الذي منح السلطة المطلقة لهؤلاء لتسيير شؤون الدولة مما دفع بكثير من العامة إلى ثورة سواء بالمغرب أو الأندلس، وسمح للموحدين بالإطاحة كلية بالدولة المرابطية في عهد عبد المؤمن بن علي كلية بعد موت الأمير تاشفين بن علي.

وأمام هذه الأوضاع ظهر الفقيه المغربي ثان محمد بن عبد الله بن تومرت على مسرح الأحداث وعمل جاهدا لإرساء دولة جديدة بمنطقة سوسة معتمدا على قبائل المصامدة، التي ساعدته في نشر دعوته التي مرت بمراحل حتى قيام دولة الموحدين بالمغرب[2]، تميزت الدعوة الموحدية الجديدة منذ وهلتها الأولى بدقة التنظيم مما جعلها فيما بعد دولة قوية متماسكة[3] فمن هو هذا الداعية الجديد؟

---

(1) عبد الله علي علام، الدعوة الموحدية بالمغرب، ط.1-دار المعرفة- القاهرة، (د.ت) ص 12، 13.

(2) محسني مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، دولة المرابطين والموحدين والحفصيين، ط.2، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، 1992، مج 2، ص63.

(3) صالح بن قربة، المسكوكات المغربية على عهد الموحدين، والحفصيين والمرينين خلال القرون السادس والسابع والثامن للهجرة (12-13-14 للميلادي)، دراسة حضارية وأثرية. ج1، ص7.

ولد الفقيه محمد بن عبد الله بن تومرت سنة 485هـ/1085م [1]، وقيل سنة 469هـ/1078[2] من قبيلة مصمودية صغيرة بمنطقة سوس جنوب المغرب الأقصى، بقبيلة هرغة، إذ يذكر المراكشي أنه ولد في ضيعة تعرف " بإجلي أن وارغن وهم الشرقاء بلسان المصامدة [3].

وقد اختلف المؤرخون في نسبه فقد اختلف المؤرخون، فمنهم من يصدق بنسبه النبوي الذي نقلته بعض الكتب التاريخية، حيث ينحدر من أسرة النبي صلى الله عليه وسلّم محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن هود بن خالد تماح بن عدنان بن صفوان بن حبار بن يحي بن عطاء ابن رباح بن سار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه [4]

ويذكر المراكشي أنه رأى بخط المهدي نسبه المتصل بآل البيت[5] بينما يقول ابن خلكان " وجدت على ظهر كتاب بالنسب للشريف العابد بخط بعض أهل الأدب من عصرنا نسب ابن تومرت المذكور، فنقلته كما وجدته" [6].

وعارض البعض هذا النسب العلوي لابن تومرت بسبب شكهم، بل عبّر بعضهم عن نكرانه، فابن أبي زرع يمهد لذكر سلسلة نسبه بقوله هو علي.

ما ذكره المؤرخون لدولتهم أنه محمد بن عبد الله...ثم يعقب على هذه السلسلة بقوله " وقيل هو دعي في ذلك النسب الشريف"[7] .

---

(1) النويري، المصدر السابق، ص391.

ابن خلكان: المصدر السابق، ج، ص53.

(2) الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدين والحفصية، مطبعة برهام، قسنطينة، 1985، ص 7، 8.

(3) عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 178.

(4) الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 4-685، ابن تومرت ، أعز ما يطلب، تقديم وتحقيق عمار طالبي ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص48.

(5) المراكشي، المصدر السابق، ص177.

(6) نفسه ، ج 5، ص46.

(7) بن أبي زرع، كتاب الأنيس المطرب، روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ فاس، اعتنى بتصحيحه وطبعه كارك تولبرغ، (1873م)، طبعة الرياط، 1973، ص 110 .

كما اختلف المحدثون في هذا النسب فأجاز بعضهم وقوعه[1]، وربطوا هذا الانتحال بدعائه المهدية، التي هي مرتبطة بنسب الرسول صلى الله عليه وسلّم إلى أن ينتهي بعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ويؤكد صحة هذا النسب المؤرخ روجي لي تورنو ROGER LITORNOالذي أشار أن في القرن 2هـ/8م، وفدت إلى جبال الأطلس أفراد من هذه الأسرة الشريفة هربا من اضطهاد العباسيين لهم وأقامت بالمنطقة فيما بعد[2].

أما مصدر كنية " تومرت" فقيل أنها كانت لأبيه[3]، ومعناها باللسان البربري " "الفرحة" ذلك أن جدة ابن تومرت كانت تنادي أباه أتومرت " أنيوايسك أييوي" أي فرحتي، وألصقت تلك الكنية به و لم يدع باسم عبد الله الذيّ سمي به أولا [4] ومن ثمة فقد عرفه التاريخ باسمه محمد بن تومرت، وبلقبه الديني الإمام المعصوم .

وقد لقب ابن تومرت أيضا بلقب "أسافو" ومعناه "السراج"، وأطلق عليه هذا اللقب في شبابه بسبب ايقاده السراج في المساجد للقراءة على نورها في الليل طلبا للعلم [5].

يقول ابن خلدون عن نشأته رغم عدم وجود معلومات واضحة عن نشأة ابن تومرت في وسط أسرته، إلا أنه كان من عائلة عرفت بحبها للعلم والدين، متوسطة الحال بين أواسط القوم، "...وكان أهل بيته أهل نسك ورباط [6] ،وهذا الوسط الديني ساعد على تنشئته بين المسجد والدرس ومحبا للعلم ، أما عن سيرته وتعلمه فلقد جمعت الكتب المؤرخة لسيرته أوصافه في العبارات التالية: البساطة، والشجاعة، والزهد ، والدهاء ، والقسوة، كما يذكر ابن أبي زرع أنه كان حسن القد ، ومستحمر اللون، ورقيق السمرة، وخفيف العارضين[7] .

---

(1) عبد الله علام، المرجع السابق، ص 56.

(2) الحلل الموشية، المصدر السابق ،ص84-85 روجي لي تورنو، حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، ترجمة أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب (ليبيا 1982)، ص12.

(3) ابن خلدون، العبر (لبنان 1992)، ج6،ص266.

(4) عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، 1964، ج1، ص159.

(5) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص63.

(6) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6، ص276.

(7) ابن القطان، المصدر السابق، ص 3.

درس ابن تومرت أول الأمر في بلده كما ذكر ابن خلدون بإيجاز أنه " شب قارئا محبا للعلم [1]، فتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن، ثم انتقل إلى مراكش في حوالي سنة 501هـ، 1107، 1108م، رحل إلى المشرق طلبا للعلم. كما أورد ذلك المراكشي (أن ابن تومرت كان قد رحل إلى المشرق في سنة (501هـ/1107م) في طلب العلم)[2] ، أما ابن خلدون فقد حددها في قوله: وارتحل في طلب العلم إلى المشرق على رأس المائة الخامسة[3] . لكن تفاصيل هذه الرحلة مشكوك فيها؛ لأن ابن تومرت يقول أنه وصل فيها إلى بغداد ودرس على يد أبي حامد الغزالي ، كما روى أحاديث دارت بينه وبين حجة الإسلام، وذلك مستبعد لأن الإمام الغزالي رحل سنة 505هـ/1106م[4] إلى طوس و لم يعد إلى بغداد أو دمشق ثانية ثم توفي عام 505هـ[5].

ودامت رحلة ابن تومرت بالمشرق ما يقارب من عشر سنوات، متنقلا بين الأقطار طلبا للعلم، حيث نهل علما غزيرا في علوم دينية وسياسية وعقلية التي لم يكن مسموحا بها دراستها بالمغرب آنذاك إبان حكم المرابطين الذين كانوا يعدون الدراسات الكلامية كفرا[6] و تتلمذ على يد الشيخ أبي بكر الشاشي، فأخذ عنه أصول الفقه وأصول الدين، وسمع الحديث عن المبارك بن عبد الجبار، وأخذ عن الشيخ الكياالهراسي الفقه والأصول والجدل والحديث، وعن الشيخ أبي بكر الطرطوشي[7]، أصول مذهب مالك.

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص167.

[2] المراكشي، المصدر السابق، ص 178.

[3] ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص59.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص266، النويري، المصدر السابق، ص 396، عبد الله ابن الخطيب، رقم الحلل في نظم الدول، نفس المصدر، ص56.

[5] ابن القطان، المصدر السابق، ص 3، 4، حسيني مؤنس، المرجع السابق، ص64.

[6] عبد الله علي علام، الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف (مصر 1971)، ص51.

[7] هو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القريشي الفهري الطرطوشي، ولد بثغر طرطوشة سنة (451هـ/1059م).وقد كانت طرطوشة يومئذ ثغر مملكة سرقسطة الأندلسية، وكانت سرقسطة مركزا من مراكز العلوم الأندلسية، وكان من أكابر عصره شغفا بدراسة الفلسفة والفلك

عن المبارك بن عبد الجبار، وأخذ عن الشيخ الكياالهراسي الفقه والأصول والجدل والحديث، وعن الشيخ أبي بكر الطرطوشي[1]، أصول مذهب مالك.

بعد هذه الرحلة الطويلة التي قام لها محمد ابن تومرت بالمشرق، عاد إلى المغرب، وقد أختلف المؤرخون في تحديد تاريخ عودته والمنطقة التي نزل بها، فالبيدق الذي يعتبر مرافقا لابن تومرت لم يذكر في كتابه "أخبار المهدي بن تومرت" تاريخ العودة، بل اكتفى بذكر نزول ابن تومرت بمدينة تونس [2]

أما المراكشي فذكر في كتابه المعجب أن بجاية كانت أول مدينة نزل بها ابن تومرت و لم يحدد تاريخ دخوله إليها[3]، عكس ابن أبي زرع الذي أورد في كتابه روض القرطاس أن تاريخ عودته كان في ربيع سنته (510هـ/1116م) وهي السنة التي ذكرها كذلك يوسف أشياخ في كتابه "تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين"[4] .

ومهما يكن فالمهم أنه هذه العودة فكرّ في إقامة إصلاحات جذرّية بعد إلمامه الجيد بالواقع السياسي للمسلمين. وبالكثر من مظاهره السلبية إضافية وقد تيقن من ابتعاد المرابطين عن أصول الدين وضعفهم دينيا، فعمل على توطيد أفكاره الجديدة التي أكتسبها من رحلته.

---

(1) هو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القريشي الفهري الطرطوشي، ولد بثغر طرطوشة سنة (451هـ/1059م).وقد كانت طرطوشة يومئذ ثغر مملكة سرقسطة الأندلسية، وكانت سرقسطة مركزا من مراكز العلوم الأندلسية، وكان من أكابر عصره شغفا بدراسة الفلسفة والفلك والرياضيات إشتهر بورعه وزهده، وهو الذي أورد إلى مصر علم القراءات، وفي الإسكندرية استقر لطرطوشي وأقبل عليه الطلاب ينهلون من علمه في الحديث والفقه ومسائل الخلاف، وكان من بينهم ابن تومرت، ومن مصنفاته"سراج الملوك"ورسائل أخرى في التفسير والفقه والوعظ، توفي في الإسكندرية سنة(520هـ/1172م). ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق مأمون بن محي الدين الجّنان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996، ص 371. تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، الطبعة الثانية، (القاهرة 1970)، ص 290، 297،291.

(2) (البيدق)، كتاب أخبار المهدي بن تومرت، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات (الجزائر، 1974) ص34.

(3) المراكشي، المصدر السابق، ص179.

(4) يوسف أشباخ، المرجع السابق، الطبعة الثانية القاهرة، 1958).

عازما على الإصلاح، ما دامت الشروط متوفرة في شخصه، حيث يصفه ابن خلدون بأنه كان " بحرا متفجرا من العلم وشهابا واريا من الدين"[1] لقد اهتم ابن تومرت في دعوته الإصلاحية من خلال كتابه أعز ما يطلب[2] على الإصلاح الاجتماعي، والعقائدي والسياسي، وهذه الإصلاحات التي نادى بها مست بالخصوص المفاسد الاجتماعية والفكرية والعقائدية التي عمت المغرب في العصر المرابطي نتيجة انتشار الخمر والطرب والغناء والترف الذي تسبب فيه بعض الأندلسيين الذين قدموا إلى المغرب آنذاك، وكذا ابتعاد الحكام عن الشريعة وأصولها [3] واعتمادهم على الفروع في القضايا الفقهية، فوضع لذلك صيغة كفيلة بمعالجة الفساد الأخلاقي والعقائدي معتمدا على قدراته العلمية ودهائه السياسي المتمثل في تصوره لوحدة الله المطلقة إلى

---

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص267..

(2) الكتاب " أعز ما يطلب " منسوب إلى محمد بن عبد الله بن تومرت، وهو كتاب واحد منفرد من تأليفه، وهو عبارة عن مجموعة من كتب ورسائل وتعاليق للمهدي بن تومرت في الأصول والحديث والفقه والتوحيد والجهاد والسياسة، كما ورد في نفس الصفحة عبارة فيه من الكتب "أعز ما يطلب" الكلام في الصلاة، الدليل الكلام في العموم والخصوص... فهاتان العبارتان تدلان على أنه مجموعة كتب وليس كتابا واحدا، وقد سمي الكتاب بأول عبارة وردت في باب "العلم" إذ يقول ابن تومرت في مستهل هذا الباب "أعز ما يطلب، وأفضل ما يكتسب، وأنفس ما يدخر، وأحسن ما يعمل العلم الذي جعله الله سبب الهداية إلى كل خير، فهو أعز المطالب، وأفضل المكاسب وانفس الذخائر، وأحسن الأعمال". كما تضمن هذا الكتاب مسألة العقيدة، إذ يحدثنا عن التوحيد.

وعن دلائل وجود الله سبحانه، وتنزيهه عن التشبيه، وكلامه عن الإمامة، وعن الإمام المعصوم، وعن المهدي وعلاماته.

ويحدثنا عن وصف المرابطين بجمل من المثالب والمناكر، وعن تحريم الخمر والتحذير منه، هذه المواضيع كلها التي تناولها ما هي إلا لب المذهب التومرتي، ودعوته السياسية، ابن تومرت، أعز ما يطلب، المصدر السابق، ص8. موسى لقبال، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي، نشأتها وتطورها، ط.1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971، ص49.

(3) معنى الأصول: قال بعض المتكلمين: الأصول معرفة البارئ تعالى بوحدانيته وصفاته، ومعرفة الرسل بآياتهم، بالجملة، فمن تكلم في المعرفة والتوحيد كان أصوليا، ومن تكلم في الطاعة والشريعة كان فروعيا، فالأصول هو موضوع علم الكلام، والفروع هي موضوع علم الفقه. أبو الفتوح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق سيكيلاني، دار المعرفة (بيروت، 1982)، ج1، ص ص41، 42.

بالمذهب الأشعري الذي يقوم على التأويل وأحكام العقل، كما تأثر أيضا بالفكر المعتزلي الموجب لتأويل الآيات المتشابهات من أجل التنزيه ونميز ذلك[1] .

لقد اهتم ابن تومرت فيما يخص الإصلاحات السياسية اهتماما كبيرا بالإمامة والمهدية وتفصيلهما للناس، فمفهوم الإمامة[2] عنده هو الالتزام بالمعطيات والأخذ بسنة الإمام في كل صغيرة وكبيرة، كما أنه أعتبرها الشعار السياسي باعتبار أن الإمام أعلم الناس بأمور الدين والدنيا، ولهذا أوجبها بالمهدية [3] وخصّ نفسه بالمهدي المنتظر الذي ظهر ليعم الأرض عدلا وقسطا بعدما ملئت ظلما وجورا.

واعتمد ابن تومرت كذلك في دعوته على عوامل كثيرة، منها العامل الشخصي الذي استغله في إبهار الناس لما أمتاز به من شجاعة وأخلاق سامية، ودرايه الواسعة بالدروس، والتصميم على الحق، زيادة على العامل البشري الذي تجسد في قوة مناصريه الذين لعبوا دور الدعاة لنشر دعوته في مختلف القبائل، وقد أسماهم بالموحدين والمؤمنين حيث أسهمت هذه الجماعة المحيطة به والمؤمنة بأفكاره في التربية والتكوين وإخراج مجتمع جديد مهيئ للثورة ضد المرابطين، وهكذا تمكن من تعميم التصور عقائدي صحيح و إنشاء علاقات اجتماعية سليمة

---

(1) **المذهب الأشعري:** انحصر في فئة من خواص العلماء، وذلك بسبب العداء الذي لم يتميز به أهل المغرب لكل العلوم العقلية المخالفة لمنهج أهل السنة، ولهذا السبب لم يتمذهب عامة الناس وخاصتهم بهذا المذهب إلا بعد

رجوع ابن تومرت من رحلته بالمشرق وعمل على فرضه بين الناس حتى ألفوه. إبراهيم التهامي، "الأشعرية في المغرب وموقف العلماء منها"، مجلة الموافقات، العدد الرابع (04) (الجزائر 1995) ص 41، 42.

(2) **استخدم الشيعة:** مصطلح الإمامة بدل " الخلافة" للدلالة على قيادة المسلمين في شؤون دينهم ودنياهم، وتعني كذلك الإتمام والقدوة والقيادة والزعامة.

والإمام هو الشخص الذي يتولى" الإمامة"، وهو معصوم من الخطأ. وقد ارتبط لقب الإمامة بالخليفة الراشدي على بن أبي طالب.على الهادي الإدرسي، الإمامة عند ابن تومرت...تقديم أبو عمران الشيخ، ديوان المطبوعات الجامعية، (الجزائر، 1991)، ص83.

(3) **المهدية:** من حيث اللغة مشتقة من الفعل الثلاثي " هدى" والهدى ضد الضلال كقولنا:هداه الله إلى الطريق، أما الدلالة الاصطلاحة هي انتظار المهدي أو المخلص الذي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا والمهدية بالنسبة إلى السنين ضرورة تاريخية واجتماعية لإصلاح الدين والأمة، مقترنة بقرب الساعة، ومساء الأحوال، الإدريسي، المرجع السابق ص 176، 177.

الجماعة المحيطة به والمؤمنة بأفكاره في التربية والتكوين وإخراج مجتمع جديد مهيئ للثورة ضد المرابطين، وهكذا تمكن من تعميم التصور عقائدي صحيح و إنشاء علاقات اجتماعية سليمة تقوم على أسس إسلامية، وهذا التعليم الذي أقره طلبته في المساجد والمراكز وحتى ولو باللسان البربري أسهم إلى حد كبير في توصل هدف الإمام والمتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لقوله تعالى: <<**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**>>[1] وبهذا حصر ابن تومرت ثورته وأعلى الجهاد على المرابطين أصحاب الفتن، فهم الرؤوس الجهلة والملوك الفجرة والدجلة الطغاة، وقوم يتبعون الهوى منافقين ومفسدين وغير ذلك من الصفات التي وصفهم بها [2] .

وهكذا تمكن ابن تومرت بعدما استخدم منهجيين متوازيين المنهج التربوي، والمنهج الثوري، في بداية عهدها من إسقاط دولة المرابطين في عنفوان شبابها (541هـ/1147) علي يد عبد المؤمن خليفة المهدي المتوفى سنة 558هـ/1163م).

بعد تحقيق أغراضه كإيمان المصامدة بعقيدة التوحيد، ومحاربة المرابطين وتنظيم حركة الموحدين، توفي ابن تومرت وبعد مبايعته بـ 9 سنوات وافته المنية عام (515هـ/1121م) (524هـ/1130م).

1- مراحل دولة الموحدين :

مرت دولة الموحدين كغيرها من الدول التي عرفها المغرب الإسلامي، بمراحل عديدة، ابتداء من مرحلة النشأة والمتمثلة في الدعوة التي قادها الزعيم الروحي والسياسي محمد بن عبد الله بن تومرت مباشرة بعد عودته من المشرق الذي نهل من منابع الفكر والثقافة اللذين ساعد على التفكير في بناء صرح دولته جديدة والثورة على حكم المرابطين انطلاقا من تنملل[3].

---

(1)سورة آل عمران، الآية 110

(2)بن تومرت المصدر السابق، ص266

(3)تنملل أو تينمل مدينة عتيقة بالأطلس الكبير على بعد كيلومتر واحد ابتداء من الكيلو 101 في الطريق الموصل بين مراكش وتارودانت عبر الأطلس الكبير. وقد استقر بها محمد المهدي بن تومرت لمناعتها، وانبعثت منها جيوشه ثم دفن بها، كما دفن بها كذلك عبد المؤمن بن علي، وأبو يعقوب، ويوسف بن عبد المؤمن وأبو يوسف يعقوب، وقد شيّد بها عبد المؤمن بن علي المسجد العظيم الذي ما تزال أطلاله ظاهرة حتى الآن.

واستطاع -بالفعل- القضاء على هذه الدولة الحديثة الظهور، اعتمدا علـى مناصـريه الذين قسمهم إلى طبقات مصنفة، فجعل منهم عشرة، وهم المهاجرون الأولون الذين أسـرعوا إلى إجابته، وجعل منهم الخمسين، وهم الطبقة الثانية، لا تجمعها قبيلة واحدة، بل هم من قبائل شتى وكان يسميهم المؤمنين. ويقول لهم: ما على وجه الأرض من يـؤمن إيمـانكم، وأنـتم العصابة المعنيون بقوله صلى الله عليه وسلّم : " **لا تزال طائفة بالمغرب ظاهرين على الحـق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي يأمر الله**"...، وانتم الذين يفتح الله بكم فارس والـروم، ويقتـل الدّجال، ومنكم الأمير الذي يصلّى بعيسى بن مريم، ولا يزال الأمر فيكم حتى قيام الساعة...."[1] وهذه الطبقة تتكون من زعماء قبيلة مصامدة [2]، وهم أهل القوة، ومنهم جميعـا تتكـون المشيخة[3] التي لعبت دورا هاما فيما وصل إليه ابن تومرت من قوة حقيقية يخضع لهـا النـاس وقوة الموحدين كلها ولدت سنة 515هـ/1121م عندما بايع الموحدون محمد بن تـومرت مهديا معصوما.

بعد هذا التأسيس لهيئة السياسية، بدأ ابن تومرت عمله العسكري، غـير أن محاولتـه الأولى باءت بالفشل بالخصوص بعد مقتل قائد الجيش الموحدي محمد البشير الونشريسي الملقب بأبي بكر في معركة البحيرة، فمرض ابن تومرت مرضا شديدا، وقبل موتـه اسـتدعى طبقـة العشرة، وطبقة الخمسين. وقال ..." فانقرضت هذه الوصاية، نّضر الله وجوههـا وشـكر الله

---

(1)ابن حماد الصنهاجي، في تلخيص أخبار المغرب، جامع سير المصامدة وأخبارهم وقبائلهم وأحوالهم في ضعنهم وإقامتهم، ص336- 337.

(2)**المصامدة**: فحدود بلادهم عرضا النهر الأعظم الذي يصب من جبال صنهاجة وينتـهي إلى البحـر الأعظم، يحرأ قيانس، يدعى هذا النهر أم ربيع، عليه قبيلتان، إحداهما تسمى هساورة وأخرى صنهاجة وهما من المصامدة، وآخر بلادهم الصحراء التي تسكنها قبائل المتونة و مسوفة وسرطة: وهؤلاء مصامدة، وقـد كانت المملكة في هذه القبائل أيام المرابطين وحدودها طولا من الجبل المعروف "بدرن" إلى البحر الأعظـم المسمى" أقيانس" وقبائلها الذين ينطبق عليهم هذا الاسم، هسكورة، وصنهاجة، ودكالة، وحاحة، وجزولة والمطة، وجنفسية ، وهنتاتة، وهرغة، وقبائل منهم تنملّل، وحول مراكش قبائل منهم أيضا هزمير، وهيلانة، وهزاجة، يدعونهم الموحدون بالقبائل، وآخر بلادهم السودان ابن حماد الصنهاجي ، المصدر السـابق، ص 338-339.

سليمان عبد الغني مالكي، بعض ملامح الحياة الاجتماعية في مدينة مراكش، في عصر المرابطين والموحدين، مجلة الدارة، العدد الثالث، الرياض، ديسمبر، 1998، ص 172.

(3) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 181-183.

مداهنا، فلم ينتفع العلماء بعلمهم، بل قصدوا به الملوك ، واجتلبوا به الدنيا وأمالوا وجوه الناس إليهم..."

كما جاء في وصيته..."ثم إن الله سبحانه وله الحمد، منّ عليكم أيتها الطائفة بتأييده، وخصّكم من بين أهل هذا النصر بحقيقة توحيده، وقيض لكم من ألفاكم ضلالا لا تهتدون، وعميا لا تبصرون لا تعرفون معروفا، ولا تنكرون منكرا، قد فشت فيكم البدع، واستهوتكم الأباطيل، وزين لكم الشيطان أضاليل وترّهات أنزه لساني عن النطق بها وأربأ بلفظي على ذكرها، فهداكم الله بعد الضلالة وبصرّكم بعد العمى، وجمعكم بعد الفرقة، وأعزكم بعد الذّلة، ورفع عنكم سلطان هؤلاء المارقين وسيورثكم أرضهم وديارهم... واحذروا الفرقة واختلاف الكل، وشتات الآراء، وكونوا واحدة على عدوّكم، فإنكم إن فعلتم ذلك بكم الناس وأسرعوا إلى طاعتكم وكثر أتباعكم وأظهر الله الحق على أيديكم....." [1].

وبعد وفاة ابن تومرت استلم السلطة عبد المؤمن بن علي الذي أصبحت في عهده المشيخية [2] قوة سياسية حقيقية في العاصمة، ونواحي الدولة.

وبعدما تعرضنا لقيام خلافة الموحدين، وتنظيمهم وترتيبهم في شؤون دولتهم نحاول معرفة تطور مفهوم الخلافة عندهم، فهل كانت خلافة عامة أم عكس ذلك؟ وماهي طبيعة هذه الخلافة؟.

---

[1] المراكشي، المصدر السابق، ص 194، 195، 196.

[2] مشيخه الموحدين، تتكون من أصحاب ابن تومرت العشرة، ويعتبرون المجلس الأعلى للجماعة و هم ليسوا كلهم بمصامدة ، بل أهل ثقة وأقرب وأصحابه إليه، وتوفر في هؤلاء الشروط الأولى المتمثل في الإيمان بابن تومرت وما يقوله من أنه المهدي المعصوم الذي يصلح به أمر الإسلام، فهم مؤسسة دينية سياسية ذات عقيدة وسلطة مطلقة. وكان بعض أهل جماعة العشرة هؤلاء يمثلون رياسات القبائل المصمودية الكبرى، وهم عماد الحركة، وأهم هذه القبائل قبيلة هنتاتة أو اينتي، وقبيلة هيلانة أو آن ايلان، وتليها قبائل الدميوة وكنفسية وهزميرة ثم أهل تنملل، وهم مجموعة من القبائل المصمودية الصغيرة استطاع ابن تومرت أن يجعل منها وحدة مخلصة له مؤيدة لدعوته ومؤمنة بمهديته وعصته. وانتقل هذا الولاء كذلك إلى عبد المؤمن بن علي بعد وفاة المهدي، حسين مؤنس تاريخ... مج2، ج3، ص.

2-تطور مفهوم الخلافة عند الموحدين:

بعدما بايعت قبيلة كدميوة وجنفيسة وغيرها من القبائل المتحالفة معه بالمهدية [1] سنة 515هـ/1121م من طرف بدأت بوادر الدولة الموحدية بالظهور، وكانت تقوم على أساس ديني مصدره الإمامة الدينية ونظرية المهدي المنتظر وهي تشبه في ذلك الخلافة الفاطمية التي ظهرت في المغرب الإسلامي قبل ثلاثة قرون ونصف حينما حاولت السيطرة على العالم الإسلامي وإسقاط الخلافة العباسية السنية التي تقود الأمة الإسلامية بالمشرق .

قبل أن يتلقب ابن تومرت بالمهدي، تسمى هذا الأخير بالإمام، وبعد هذا أصبح لقبه "الإمام المعصوم والمهدي المعلوم" وهكذا أعطى لشخصه نوعا من القداسة، فهو إمام باختيار من الله، وإمامته ليست فوق مقام النبوءة أو في مرتبتها. فمهمته هي تبليغ أمر الله الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولهذا كان شعاره في لوائه هو "الواحد الله، محمد رسول الله، المهدي خليفة الله"، وفي الوجه الثاني " وما من إله إلا الله، وما توفيقي إلا بالله، وأفوض أمري إلى الله".

إذن فالحاكم الموحدي في هذا الدور المهدوي لا يختاره البشر وإنما يفوضه الله وسلطته مطلقة.

وقد تضاربت المصادر العربية حول إدعاء ابن تومرت بالمهدية، فابن الأثير وابن خلدون وصاحب الحلل الموشية، يجعلون ذلك سنة 14هـ/1120م، وابن أبي زرع يجعلها في سنة 515هـ/1121م، بينما ابن عذاري يرجعها إلى ما بين 516هـ/1122م

---

[1] وصف ابن القطان بيعة الموحدين لابن تومرت فقال: "استوثق الإمام المهدي رضي الله عنه ومنحه موضعه... ثم إلى قرية "انجليز" واستقر بركن منها مستظل واقع على الماء، فعند اجتماع أصحابه إليه في ذلك الركن تحت انجليز قام فيهم خطيبا فقال: "الحمد لله الفعال لما يريد القاضي بما يشاء لا راد لأمره لا معقب لحكمه، وصلى الله على سيدنا محمد المبشر بالمهدي الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا، كلما ملئت ظلما وجورا يبعثه الله إذا نسخ الحق بالباطل وأزيل العدل بالجور، مكانه المغرب الأقصى وزمنه آخر زمن، واسمه اسم النبي عليه الصلاة والسلام ونسبه نسب النبي صلى الله عليه وملائكته الكرام المقربون ، وقد ظهر جور الأمراء وامتلأت الأرض بالفساد، وهذا آخر الزمان والاسم اسم والنسب نسب والفعل فعل "عبد الله علي علام، المرجع السابق، ص ص165، 166.

و 518هـ/1124م[1]، إلا أنهم اتفقوا جميعا على أن ابن تومرت اتخذ لقب المهدي بعد مبايعة المقربين له[2]. ومن ذلك الحين أصبحت فكرة الإمامة المهدية-ضرورة سياسية عملية. بمعنى أن غرض محمد بن تومرت من اتخاذه هذا اللقب هو تحويل وجهة صراعه مع المرابطين، من صراع إصلاحي اجتماعي إلى صراع إيديولوجي سياسي، وبالخصوص بعدما فشلت كل المحاولات التي قام بها المرابطون للقضاء عليه وعلى حركته.

ولما توفي المهدي خلفه عبد المؤمن بن علي قيادة الموحدين. إلا أنّ بيعته هذا الأخير اتسمت بكثير من الغموض، أن بيعته كانت في سرية تامة بين أهل العشرة، الذين أخفوا موت محمد ابن تومرت لمدة ثلاث سنوات، وبعدما أعلنوا مبايعتهم للخليفة الجديد، وكانت بيعة عامة. وقد دخلت دوام مرحلة جديدة ابتداء من سنة 24هـ-1130م حيث انتقلت من دور المهدية إلى دور الخلافة فحرص محمد عبد المؤمن بن علي على تطبيق مبادئ المهدي، رغم أنه قام فيما بعد بإعادة هيكلة جهاز الدولة، وقلل من هيمنة طبقات الموحدين[3] وحوّل الخلافة الموحدية تدريجيا من إمامة دينية إلى ملك سياسي باذخ مع الاحتفاظ دائما برسوم المهدية، والدعاء للمهدي في الخطبة وفي المكاتبات الرسمية، ووصفه دائما " بالإمام المعصوم، والمهدي المعلوم"

ومن حينها صارت الدولة الموحدية، دولة دنيوية، لأن خليفتها الجديد زعيم سياسي وعسكري، وليس بزعيم روحي. وشاركه في إدارة أمورها مشيخة الموحدين، فكان لا يقطع أمرا إلا بمشورتهم[4] ولقد أحدث تغييرا في نظام الطبقات، قلّصها إلى ثلاث، أولها، طائفة السابقين الأولين، والثانية طبقة الموحدين، والثالثة إذ طبقة الدخلين في التوحيد منذ فتح وهران، بيد أنه بالنظام القبلي القائم على قبائل مصمودة. وبدأ عبد المؤمن يباشر سلطته المطلقة، ممهدّا

---

[1] مصطفى بنسياع، السلطة بين التسنن والتشيع والتصوف ما بين عصري المرابطين والموحدين، تقديم أحمد بنعبود، ط1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تيطوان، 1999، ص 53.

[2] لقب ابن تومرت بالمهدي أصحابه العشرة الذين بايعوه، وهي أول بيعة له تحت شجرة الحروب، ابن القطان، المصدر السابق، ص35، المرجع السابق، ص 1، كارل بروكمان، المرجع السابق، ص ص 323-325.

[3] عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص117.

[4] نفسه، ص 118، عبد الله عنان، المرجع السابق، قسم الموحدين، ص 16-617.

بها إلى تحويل الخلافة من دورها الشوري إلى ملك وراثي قبل قضائه كليا على المرابطين، وخاصة أن بعض الأشياخ كانوا يطمحون إلى تولي الأمر من بعده ولعلّ هذا ما يفسر حرص عبد المؤمن على أن تتم ولاية العهد لابنه محمد باتفاق الأشياخ، وأن يقوم أبو حفص عمر الهنتاتي بمراسيمها[1].

هذه الوضعية الجديدة للبيئة السياسية المؤمنية، التي أدخلت بها عناصر جديدة من غير المصامدة في "التوحيد" بعد استيلاء عبد المؤمن على جميع أنحاء المغرب الإسلامي، حيث عمل على توحيده سياسيا وحضاريا (نظام الحكم) فسنّ ولاية العهد في الدولة حين عين ولده الأكبر أبي عبد الله محمد في سلا عام 549هـ/1155م، وأقام نظام الحكم ولذلك كان يسعى من إحداث هذا النظام إلى أن يجعل حكمه وراثيا في عقبه مقتصرا على السادة من بني عبد المؤمن حفاظا على وحدة الموحدين، وتمت ولاية العهد لابنه بمساعدة القبائل "الشرقية" بمربية وصنهاجة-وبموافقة الموحدين عامة و أشياخهم[2] خاصة.

والجدير بالذكر أن الموحدين لم يعترفوا بوجود خلافة أو إمامة للمسلمين قبل خلافتهم إلا خلافة الخلفاء الراشدين الذين كانوا يعملون بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ويطبقون ما قاله الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز الحكيم، وبعد هؤلاء ضل الناس، حتى جاء المهدي ابن تومرت لنقذهم من الجهل ويخرجهم من الظلمات إلى النور.

هكذا رأى الموحدون أنه لا مجتمع للمؤمنين إلا مجتمع الموحدين، ولا أمير إلا أميرهم. وأمير"المؤمنين" الموحدي هو خليفة الإمام المهدي[3]، و إمام لأنه وارث لسلطته، فلا فرق بين المهدي والخليفة القائم بأمره من بعده[4].

وقد أنكر خلفاء الدولة الموحدية خلافة العباسيين أو الفاطميين، ورفضوا رفضا قاطعا وجعلوا من خلافتهم خلافة إسلامية بعدما تلقبوا بلقب أمير المؤمنين وتشبهوا بالخلفاء الراشدين حتى اعتقدوا أنهم يعيشون في الجو الديني والسياسي نفسه الذي عاشه الخلفاء الأوائل.

---

(1)عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 617، عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص118.

(2) عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص121، محمد الأمين بلغيث، الربط ودورها، ص279.

(3) ابن القطان، المصدر السابق، ص141-142.

(4) نفسه، ص 71-73.

وكانت الخلافة الموحدية المرتكزة على المبادئ المهدوية، تتخبط في مشاكل عديدة حول النسب، منها أن عبد المؤمن بن علي رغم انتسابه للبيت العلوي، إلا أنه من كومية البربريـــة، لكن هذا لم يمنع عبد المؤمن الخليفة الموحدي الثاني من جعل الخلافة ببيته، أي قصرا على السادة من بني عبد المؤمن.

وقد ترجم الخلفاء بتأكيد نظرهم الدينية المهدوية لخلافته، إلى حقائق ميدانية تؤكـــدها المكان المرموق التي أعطوها للجهاد وجعله سبيلا للقضاء على المنكر، وجعلوا مـــن غـــزواتهم سبيلا القضاء على المنكر، والتصدي لغزوات النصارى بالأندلس[1].

كما اتخذوا جميع الألقاب المعروفة التي ترمز إلى الطابع الديني المهدوي بوصف نظـــرهم في الخلافة ذات طابع ديني غالب على دولتهم.

أ- الألقاب الخلافية

تلقب الموحدون بألقاب كغيرهم من خلفاء وأمراء الأمة الإسلامية، ونجد منها لقب أمير المؤمنين[2] الذي كان محببا عندهم فنقشوه في خاتمهم وسيفهم [3] إضافة إلى لقب "الإمام"وهي ألقاب ارتبطت بشعارات الدولة فكرا ومذهبا وعملا، وتؤكد على مفهوم الملك عند الموحدين، فأغلبها ألقاب دينية ودنيوية؛ وهم يختلفون في هذا عن سبقتهم من الدول الإسلامية .

فقد تلقب المهدي بن تومرت بلقب "أمير المؤمنين"[4] وعبد المؤمن بن علي بالخليفـــة و بأمير المؤمنين وتلقب بنو عبد المؤمن جميعا بالخلفاء قاصدين بلقب الخليفة خلافـــة المهـــدي[5] وبهذين اللقبين الذائعين سكت النقود آنذاك. وهاهو صاحب نظم الجمان يذكر ألقاب محمد بن عبد المؤمن قائلا: "... ولقد كتمت ذلك عن زوجها، وأكابر أصحابه فبايعوا سيدنا ومولانـــا الخليفة الأول الإمام أمير المؤمنين حين بيعته سرا رضي الله تعالى عنه"[6].

---

(1) محمد الأمين بلغيث، الربط ودورها، ص279.

(2) ابن القطان، المصدر السابق، ص51.

(3) عز الدين موسى، المرجع السابق، ص124.

(4) عبد الله كنون، المرجع السابق، ص118.

(5) رسائل موحدية، ص162.

(6) ابن القطانن المصدر السابق، ص130.

إلاّ أن هذا اللقب اختفى من المكاتبات الرسمية إثر إسقاط رسوم الهدية، حيث اقتصر على لقب أمير المؤمنين، وفعل مثله ابنه الرشيد الذي لقب بأمير المؤمنين دون الخليفة.

وبعد هذه الفترة عاد حكام الموحدون إلى التسمي بالخلفاء ويظهر هذا جليا في استخدام الخليفة كثيرا في مدائح الشعراء [1] ، إلا أنه كان مرادفا للقب أمير المؤمنين، ربما يعود هذا إلى أن خلفاء الموحدين قصدوا التمييز بين المعنيين المختلفين اللذين يدل عليهما اللقبان [2] .

كما استعمل الموحدون في رسائلهم الرسمية لقبا ثالثا هو "الإمام"، والإمامة [3] أهم أركان المهدية، فإنّ لقب الإمام إرث المهدي.

وإلى جانب هذه الألقاب الرسمية استعملت ألقاب تدل على الاحترام والتعظيم مثل "سيدنا" و" مولانا" و "الحضرة الشريفة[4]. وهي تكثر بخاصة في المخاطبات الشفهية[5] وأنها تذكر في بعض الأحيان في الرسائل الرسمية، وخصّ بها فقط الخلفاء تعظيما وتشريفا[6] .

---

(1)وهذه قصيدة للكاتب أبي زيد عبد الرحمن الجزولي يمدحه بعد انتصار المأمون علي ابن هود بأشبيلية منها:

أضواء أسرار الخلافة كلها بيد الخليفة جبلهن متين

أهنأ أمير المؤمنين أبا العلا بيد الخليفة جبلهن متين

ويقول كذلك الكاتب ابن جعفر بن الكاتب أبي عبد الله بن عياش في قصيدة مطلعها:

فؤادي بأمداح الخليفة هيمان ففيه اعتزاز والتغزل إذعان

علوت ومقصودي الإمام أبو العلا وفي من أديانه على المدح سلطان

قصدت أمير المؤمنين بمدحه فأمداحه للمرء يمن وإيمان

ابن عذاري المراكشي ، قسم الموحدين، ج3، ص278.

(2) عز الدين عمر موسى ، المرجع السابق، ص125، عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت... ص234.

(3) حسن إبراهيم حسن ، علي إبراهيم حسن ، النظم الإسلامية، المرجع السابق،ص90-91.

(4)ابن القطان ، المصدر السابق ، ص195-214-255.

(5)ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الأندلس ، بيروت ،1964، ص242-246، الحلل الموشية،ص137، ابن القطان السابق،ص160.

(6)ابن صاحب الصلاة ، المصدر ،ص340-341، ابن القطان السابق،ص130.

ثم أضيف ابتداءا من خلافة المنصور لهذه الألقاب التي اتخذها الموحدون أسماء تشتمل على كلمة الله، مثل المنصور بالله، والمنتصر بالله، والناصر بالله. إذا فهي ألقاب مركبة تركيبا إضافيا والملاحظ أن الخلفاء في أواخر الدولة المرابطية صاروا يتلقبون بلقبين مثل علي بن المأمون وأبي العلاء وأبي العلا إدريس المعروف بأبي الديوس، فتكاثرت الألقاب بعد ذلك في طور الانحلال والتدهور.

كما حرصّ الخلفاء الموحدون أشد الحرص على نقش ألقاب من سبقوهم إلى الحكم على السكة، رغبة منهم في الحفاظ على نسل أسرة ونسبها مثل محمد بن تومرت ونسبها وفي سنة (524هـ/1130م) أخذت الدولة الموحدية تضع كرسي أسسها المتينة لتشكيل خلافة إسلامية ببلاد المغرب الإسلامي، عبد المؤمن بن علي أول حاكم مغربي تلقب "بأمير المؤمنين" الذي كان قصرا على الخلفاء الفاطميين والعباسيين بالمشرق لمدة طويلة. وغرض استخدام الموحدون لهذا اللقب باعتبارهم أنهم مؤمنون وكملا كذلك بما قام به الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فضلا عن ذلك فقد خلفاء الدولة الموحدية شعارين جديدين وهما "وما بكم من نعمة فمن الله"، وتوفيقي "إلا الله"، وكذلك ظهرت عندهم عبارة "ابن أمير المؤمنين" مكرّرة،فهي عبارات ثلاث تعبر عن فكرة التوحيد وتؤكدها[1]،لا إله إلا الله، والأمر كله لله، ولا قوة إلا بالله، وكلها ما جاءت إلا تطبيقا لشرعية الدولة الجديدة ، ، إلا تطبيقا لشريعة الدولة الجديدة.

كما حرّص الخلفاء الموحدون أشد الحرصّ على نقش أسماء وألقاب من سبقوهم إلى الحكم على السكة، رغبة منهم في الحفاظ عل نسل ونسب الأسرة الحاكمة للحفاظ على النظام الوراثي مثل:

أمير المؤمنين قائم بأمر الله

ابن أمير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن بن المؤمنين

ابن أمير المؤمنين أمير المؤمنين أبو يعقوب

---

(1) ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص170.

ابن أمير المؤمنين يوسف ابن أمير المؤمنين[1]

واشترك كل من الخليفة عبد المؤمن ويوسف الأول يعقوب ونقش على نقود "الخلفاء الراشدين"، ونقش لقب "الإمام" على السكة الذهبية، كلقب ديني لعبد المؤمن بن علي، وتخصيصه به عبد المؤمن بن علي بهذا اللقب، إنما كان تشريفا دينيا له على أساس أنه الخليفة والإمام المهدي .

واتضح من خلال دراسة المسكوكات الموحدية أنه بالإضافة إلى هذه الألقاب استخدمت الكنى[2] استخداما كبيرا في دولة الموحدين، حتى أصبحت من التقاليد التي حافظوا عليها، ولازمت أسماءهم في النقود الذهبية، خلافا ما كان شائعا من إهمال المرابطين لهذا الجانب، نسبوا تسجيلها على نقودهم، وكان عددها يصل إلى خمس أو ست كنيات متتالية مثل:

---

(1) صالح بن قربة، المرجع السابق، ص25-26-27.

(2) اتفق أهل العربية على أن الكنية هو ما صدر بأب أو أم أو ابن أو بنت، أما الأصوليون فقد عرفوها بأنها ما يدل على المراد بغيره لا بنفسه، وعند أهل البيان أن يعبر عن شيء بلفظ غير صحيح في الدلالة عليه لغرض من الأغراض وتنقسم الكنى إلى قسمين أساسيين، ويتفرعان إلى فروع كثيرة.

فالقسمان هما : 1) الكنى المجردة، وهذه تنقسم إلى أقسام:

- من ليس له سوى كنية.

-من لا يعرف بغير كنيته و لم يوقف على اسمه.

2) الكنى المقيدة، وتنقسم إلى أقسام:

- من له كنيتان، أحدهما لقب، كعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه، كنيته أبو الحسن، ويقال له أبو تراب لقبا.
- من له كنيتان كابن جريج يكنى بأبي خالد ، وبأبي الوليد، وعثمان بن عفان.
- من له اسم معروف ولكنه اختلف في كنيته.
- من عرف بكنيته واختلف في اسمه كأبي هريرة رضي الله عنه .
- من اختلف في اسمه وكنيته وهو قليل.
- من اشتهر باسمه وكنيته كالأئمة الأربعة.
- من اشتهر بكنية دون اسمه وكان اسمه معروفا، الكنى والأسماء للإمام مسلم بن الحجاج، دراسة وتحقيق عبد الرحيم محمد أحمد القيشقري ،ط1، المجلس العلمي، إحياء التراث الإسلامي، المدينة المنورة، 1984، ج1،ص9-10، القلقشندي، مآثر الأناقة، المصدر السابق، ص 17، 18، 19.

- عبد المؤمن بن علي كنيته "أبو أمحمد" وعلى جميع نقود يعقوب.
- يوسف الأول، كنيته أبو يعقوب.
- يعقوب بن يوسف الأول، كنيته، أبو يوسف على نقوده.

وهذه قائمة الألقاب والكنى التي تسمى بها الخلفاء الموحدون طيلة فترة حكمهم:

- محمد بن تومرت (515هـ-518هـ/1128م-1163م) وهو الجد الثاني لمحمد، وألقابه وكنيته "القائم بأمر الله"، الخليفة أبو محمد "أمير المؤمنين".

-أبو يعقوب يوسف (558هـ-580هـ/1163م-1184م) جد محمد، لقبه وكنيته أمير المؤمنين أبو يعقوب [1].

- أبو يعقوب يوسف (580هـ-595هـ/1184م-1199م) والد محمد، لقبه وكنيته أمير المؤمنين أبو يعقوب.

ظل هذا الاهتمام المتزايد الألقاب الدينية والدنيوية مستمرا حتى آخر خلفاء الدولة الموحدية، فمنها: إدريس الأول المأمون بن يعقوب (626هـ/1228م): إدريس عبد الواحد الرشيد، لقبه وكنيته المجاهد في سبيل الله أمير المؤمنين، والمأمون أبو العلى على نقود ولده وعلي بن إدريس المأمون بن يعقوب المنصور، كنيته أبو الحسن، لقبه الأسعد، وتسمى "بالمعتضد بالله"[2].

بالإضافة إلى هذا أتخذ الموحدون شعارين جديدين نودوا بها وهما "وما بكم من نعمة فمن الله "، وما توفيقي إلا بالله".

وكذلك ظهور عبارة "ابن أمير المؤمنين" مكرّرة، فهي عبارات ثلاث تعبر عن فكرة والتوحيد، وتؤكد عليها، لا إله إلا الله، والأمر كله لله، ولا قوة إلا بالله، كلها ما جاءت إلا تطبيقا لشريعة الدولة الجديدة [3].

---

[1]- صالح بن قربة، المرجع السابق، ص422.

[2] نفسه ،ص 422

[3] ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص170.

بإزالة اسم المهدي من الخطبة ومن السكة، ومن المخاطبات الرسمية، وقطع النداء عند الصلوات بشعائره البربرية، وقام بقتل والقضاء على عصبة الموحدين، والأشياخ الذين خـــدموا الخلافـــة الموحدية منذ بدايتها. أستبدل شعار" المهدي إمامنا"، بشعارات جديدة، "كـــالقرآن إمامنـــا"، و"القرآن حجة الله". وضرب هذا الشعار الجديد على السكة الفضية الموحديـــة حـــتى ســـنة 631هـ/1237م [1].

كما تلقب الخلفاء الموحدون بألقاب لم تكن تختلف عن ألقاب خلفاء الدولة العباســـية بالمشرق، كلقب المستنصر، والمعتصم، والمؤيد بالله، والرشيد. وهذه الألقاب تبرز مدى رغبـــة الخلافة الموحدية في قيادة العالم الإسلامي، بعدما أصبحت السلطة المركزية بالمشرق عاجزة على رعاية الإسلام ماديا وروحيا [2].

وقد انفرد البيت المؤمني بلقب "السادة" بتميزهم عن أفراد البيت الحفصي الذين لقبّوا "الأشياخ"، وأسهموا إسهاما كبيرا في نجاح الدعوة الموحدية وقيام دولتهم [3].

وأطلق لقب "الموحدين" على أتباع محمد ابن تومرت باعتبارهم وحدهم هم المسلمون الموحدون. والتوحيد[4] الركن الأول من أركان الإسلام الخمسة الواردة في الحديث الشريف، لقوله صلى الله عليه وسلم: " بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إلـــه إلا الله، وأنّ محمـــدا رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمـــن أســـتطاع إليـــه سبيلا"[5].

كما استخدم هذا اللقب محمد بن تومرت وخلفاؤه فيما بعد، لتميز دولتهم عن الدول الإسلامية الأخرى، فإذ حكمت بين الدين والدنيا، وكانت في آن واحد، محاطة بنظام طبقـــي

---

(1) ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص286، السلاوي، المصدر السابق، ص124.

(2) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص143، 153، أحمد بدر، المرجع السابق، ص 250.

(3)محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية، تاريخها السياسي ودورها في المغـــرب الإســـلامي، دار الغـــرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص101.

(4) التوحيد: وهو دعوة الحق، وتوحيد الله جل شأنه، ودعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام، التوحيدية كانت أول أسس الإسلام الحنيف فيما بعد، وقبله لليهودية ثم المسيحية. والتوحيد وبالخصوص الكلامي منـــه، يشـــترط في صاحبه أن يكون ملمّا بكل أساليب الجدل، وطرائق المنطق، وأهل المذاهب المختلفة، والقدرة علـــى ردّ بعضـــها وترجيح البعض الآخر، زيادة على الإلمام التام بعلوم القرآن الكريم والحديث الشريف والعلوم الأدبية.

(5) عبد الله علام، المرجع السابق، ص121.

دقيق. وقد أشار بعض المؤرخين مثل شارل أندري جوليان أن المهدي بن تومرت اقتبس نظام الحكومة الموحدية من نظام النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان رئيسا، وقاضيا، وقائدا عسكريا في آن واحد [1].

فأصحابه العشرة يمثلون المهاجرين السابقين، وطبقة الخمسين بمثابة الأنصار، وقد سمي الجميع كما أشرنا سابقا بالموحدين [2].

هذا الترتيب الطبقي يدّل على ازدواجية الظاهرة. فالدولة الموحدية شكلت من ثلاث سلطات، في بدايتها، بيت المهدي يمثل منبت سلطة الدولة، ومجلس الخمسين يمثل استمرار السلطة القبلية في الدولة، وجمهور الفقهاء يمثل السلطة الدينية. كل هذا قد شهد تطور في عهد عبد المؤمن بن علي هو، إذ حاول إبعاد الموحدين عن السلطة الدينية والقبلية وحل محلها سلطة الدولة، فاستطاع بالفعل إدخال هذا التغيير في دولته عندما قام بتعيين ابنه الأكبر وريثا له، وإلغاء نظام الطبقات العشر واحتفاظه فقط بمجلسي الخمسين والسبعين اللذين يقومان بتصريف شؤون الدولة إلى جانب الخليفة. لتخفيف الأعباء عنه. وأغلب المسائل التي كانت تناقش فيها ليست في غاية الأهمية.

وقد نصب أبناءه على الأقاليم الرئيسية التي فتحها الموحدون. وقد أوجد المرابطون التنظيم نفسه، لكن الفرق بينهما أن الدولة الموحدية صبغت هذه السلطة باهتمام زائد بالعلم والعلماء والمعارف وحرية العلوم [3].

---

(1) وضع محمد بن تومرت ترتيبا طبقيا يتكون من أربعة عشر طبقة وهي : 1- العشرة وأهل الجماعة، 2- أهل الخمسين، 3-أهل السبعين، 4-الطلبة وهم العلماء، 5- الحفاظ (وهم صغار الطلبة) 6- أهل الدار، 7- قبيلة هرغة، 8- أهل تنملل، 9- قبيلة جدميوه، 10-قبيلة كنفيسه، 11-قبيلة هدتاتة، 12-أهل القبائل الموحدية المختلفة، 13-الجند، 14-الفرات (العبيد)، ابن القطان، المصدر السابق، ص28، عبد الحميد حاجيات، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في عهد المرابطين والموحدين، وزارة الثقافة والسيادة، الجزائر، 1994، ص331-332.

(2)حسيني مؤنس، المرجع السابق، ص143، 153.

(3) عبد الله كنون، المرجع السابق، ص119-126.

اهتمت الدولة الموحدية بالحياة العلمية والفكرية اهتماما كبيرا، برزت طاقات علمية فائقة في كل المجالات بالمغرب الإسلامي، واشتهرت مدن مغربية كفاس ومراكش، وتلمسان وبجاية، وغيرها من المدن الحضارية التي تبلور فيها هذا النشاط العلمي والحضاري، ابتداءا من عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي وأحفاده وبالخصوص في فترة يعقوب

ب-شارات الملك:

تميزت الخلافة الموحدية عن غيرها من الدول الخلافية بخاصتين؛ فأما الخاصية الأولى المتعلقة باتخاذ الموحدين منذ أيام المهدي محمد بن تومرت البياض شعارا لدولتهم، عكس الخلافتان الفاطمية والعباسية اللتان كان شعارهما اللون الأسود. هذا كان العلم الأبيض يتقدم جيوش الموحدين عاليا ، واستمر هذا التقليد حتى نهاية دولتهم [1].

في حين كانت الخاصية الثانية متعلقة بالجانب السياسي إذ جعل الموحدون رمز الاعتراف بالمهدية التومرتية ذكر اسم المهدي في الخطبة، ونقش اسمه على السكة، والترضي عنه في المكاتبات الرسمية، والمناداة للصلاة بالبربرية عقب الآذان، وقراءة الحزب والتوحيد بالمساجد والأسواق[2].

ولما قام الخليفة المأمون بإسقاط هذه الرسوم الموحدية التي ثار ت مشيخة الموحدين، إذ شنت حربا عليه ورفضت التعاون معه ومع ولي عهده الخليفة الرشيد حتى أعاد تلك الرسوم[3].

بن يوسف الذي دعمّ الحياة الفكرية تدعيما كليا..فأنشئت المدارس، والقصور، والمعاهد، والحدائق والضياع والمدن والسجاد وغيرها، منها مسجد اشبيلية، ومساجد أخرى بلغ عددها في عهد الخليفة المنصور والناصر، 785 مسجدا، ودور الوضوء 42، والحمامات 92...كما اقتنى الخلفاء والموحدون الكتب النادرة، وشجعوا التأليف، وعقدوا المجالس العلمية، وتشجيع العلماء البارزين. كما طوّرت أساليب التجارة والزراعة والصناعة. مما أدى إلى هجرة الكثير من العلماء إلى المغرب الإسلامي لحضور المجالس العلمية التي يجتمع فيها العلماء الأجلاء والبارزين منهم، محمد بن إبراهيم الأنصاري المالقي، ابن الفخار بن خيرة المعروف بابن الرعيني، وإبراهيم بن خلف بن فرقد، وعمر يوسف بن عبد أكير، المصدر السابق، ص41، 42، عبد الهادي أحمد الحسيسن، مظاهر النهضة الحديثة في عهد يعقوب المنصور، 1982، ج1،ص 242-243-247، يوسف أشباح، المرجع السابق، ص41-43، 44، 103، 492، 493، ملين رشيد، عصر المنصور الموحدي من سنة 580هـ إلى سنة 595هـ، مطبعة الشمال الإفريقي، (د.ت)، ص 199-215ـ صفية ديب، التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، رسالة الماجستير، جامعة الجزائر 2001، ص ص55-56.أحمد حدادي، جهود المغاربة في خدمة السنة، مجلة رسائل النور، العدد الخامس، تطوان دون تاريخ ص ص 23-25.

(1) ابن القطان، المصدر السابق، ص156، 166.

(2) ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص267.

(3) عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص124.

باستثناء هذين الأمرين لم تختلف شارات الخلافة الموحدية عن سائر شارات الدول الخلافية الأخرى. فالخليفة يتمتع بسلطة مطلقة يقرّر الأمر، ويذكر اسمه بالخطبة وينقش السكة على مع ولي عهده[1]، كما أخذ المنصور لباسا خاصا به من الغفائر الزبيبية والبرانيس المسكية، وقد طلب من بعض القرابة ألا يلبسوا اللباس نفسه، وجاء في كتاب ابن عذاري وصف دقيق لهذا الأمر فيقول:"... فرأى أكثر القرابة من الأخوة والعمومة قد اصطفوا واختصوا بلباس الغفائر الزبيبية. والبرانيس المسكية، فانكر عليهم ملازمة ذلك الزي بكونه من زي الخليفة في حالتي ركوبه وجلوسه في كل موطن... فلم يعد أحد منهم بعد ذلك للباس تلك الألوان، المختصة بالسلطان"[2].

ومنذ أيام عبد المؤمن وقبل فتح مراكش اتخاذ الخلفاء من القبة الحمراء مأوى لأسفارهم مع الفساطيط الذي استولى عليها أمراء وملوك وخلفاء الدول الثلاثة الناشئة بعد سقوط الدولة الموحدية وهي المرينية والحفصية والزيانية.

نظام البيعة:

قام نظام البيعة بدولة الموحدين على بيعتين أحدهما والأخرى بدء ببيعة محمد عبد المؤمن بن علي واستمرت حتى آخر خلفائهم. وقد سيطر مشايخ الدولة على البيعة بنوعيها، فمثلا بعد وفاة المهدي محمد بن تومرت. أخفى هؤلاء وفاة هذا الزعيم الروحي مدة ثلاث سنوات، ثم قاموا بمبايعة عبد المؤمن بيعة عامة"[3]، بعدما بايعوه بيعة سرية مباشرة بعد موت ابن تومرت.

---

(1) عز الدين، عمر موسى، المرجع السابق، ص126.

(2) ابن عذاري، المرجع السابق، ج3، ص187.

(3) بعد مبايعة عبد المؤمن على قيادة الموحدين ربما تطبيقا لوصية ابن تومرت، ظهرت معارضة بعض الموحدين، فكانوا على ثلاث فئات أو أجنحة. الجناح الأول كان يمثله عبد المؤمن وبعض أعضاء هيئة العشرة، ومنهم أبو حفص عمر بن يحي الهنتاتي، وأبو إبراهيم عمر أزناك، وإسماعيل بن يسلال ايكيك الهزرجي، والجناح الثاني ضم أهل الدار وقرابة المهدي، وأخواه عبد العزيز وعيسى ويصلابين بن المعز.
أما الجناح الثالث فكان يضم زعامات موحدية ذات مناصب عالية في النظام الموحدي مثل عبد الله بن يعلى الزناتي المعروف بابن ملوية من أهل العشرة، وأبي بكر بن تونديت من أبناء أهل الخمسين، ونشب هذا الصراع بسبب الزعامة والثروة. مصطفى بسباع، المرجع السابق، ص 67-68.

وكانت مبايعة عبد المؤمن كما جاء ذكرها في كتاب ابن القطان كالآتي:" بويع رضي الله تعالى عنه إثر موت الإمام المهدي رضي الله تعالى عنه عام أربعة وعشرين وخمسمائة بيعة خاصة. وأعلنت ببيعته ثم أعلن بموت الإمام المهدي رضي الله تعالى عنهما عام تسعة وعشرين وخمسمائة [1].

وهذه الطريقة التي تميز بها الموحدون ربما هدفها كان بث الاستقرار ولعدم نشوب صراعات حول العرش وبالخصوص سادتهم وأشياخهم في مبايعة خلفاء دولتهم، ولهذا لم يكن للبيعة الخاصة مكانا معينا أو وقتا محددا، فحيثما كانت الوفاة كانت البيعة الخاصة، فقد بويع يوسف في سلا، وبويع المنصور في الطريق من شنترين إلى إشبيلية في أوبة الجيش من غزوته، وبويع الرشيد في وادي أم الربيع [2].

وقد تسمى الخليفة أبو يعقوب بأمير المؤمنين وجددت له البيعة، وأجمع الموحدون على تجديدها فجددت بخلوص الضمائر وطيب السرائر... معلما بتجديد البيعة والاسمية الإمامية فأخذت البيعة له بإشبيلية وسائر بلاد الأندلس التي كانت تحت طاعته كمدينة فرطبة وغرناطة ومالقة وغرب الأندلس وكتبت البيعات من كل بلد وبعثت إلى حضرة مراكش[3].

أما البيعة العامة، فكانت تشمل كل المجتمع السياسي للدولة من وزراء وكبير القرابة وكبير أشياخ الموحدين بمختلف طبقاتهم العشرة، والخمسين وربما السبعين، ثم عامة قبائل الموحدين ثم عامة الناس من قبائل المصامدة والعرب، وصنهاجة حسب ترتيبهم. وتكون موافقتهم لهذه البيعة بصفقة أيديهم للخليفة فردا فردا. ولهذا كانت البيعة تدوم أسابيع.

لا يكون إعلان الخليفة الجديد إلا بعد قراءة كبير الكتاب نص البيعة على كل الحاضرين حسب جماعتهم، بما حمل عبارات سنّها مؤسس الدولة الموحدية الأول، فالمبايع يبايع الخليفة على ما بويع عليه الإمام المعصوم والمهدي المعلوم وخلفاؤه الأئمة أمراء المؤمنين من الإيمان والأمانة والعدل والعبادة والسمع والطاعة في المنشط والمكره [4].

---

(1) ابن القطان، المصدر السابق، ص168.

(2) عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص132.

(3) ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص98.

(4) ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 341، 343، المعجب، المصدر السابق، ص 326، عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص133، عبد الله عنان، المرجع السابق، ص616.

واتصفت البيعة العامة بعدم وجود مكان محدد لها، كالبيعة الخاصة، قد تكون في مراكش أوفي إشبيلية، أو في جامع المنصبور أو غيرها من الأماكن. وكانت البيعة تضم أكبر الأبناء والقرابة والأصهار الذين كانوا يحتلون المناصب العليا في هذه الولايات والمدن، كقرطبة واشبيلية، وحيان وغرناطة، ومالقة، ومرسية وبلنسية [1]. ولهذا اكتسبت أهمية بالغة وكانت تؤخذ البيعة هؤلاء من أهل حاضرهم وباديهم بعد أن يقرأ خطابها على منابر مساجدها، ثم يؤخذ خطوط المبايعين هذه الولايات إشهادا على أنفسهم ثم تبعث مع وفد من أعيان الولاية إلى الحضرة [2].

وكانت تجدد هذه البيعات في احتفالات ومناسبات عديدة، كالخروج إلى الغزو حفل ضخم تشارك فيه كل القوى التي يتكون منها النظام السياسي والعسكري والموحدي، من خليفة إلى وزير إلى قائد عسكري، ورؤساء القبائل، والأعيان وغيرهم، أو في حفل ديني، الفطر، والأضحى أو المولد النبوي الشريف الذي كان يقام هو الآخر في أبهة وعظمة لأيام يشارك فيه رجال الدين والشعراء، وتنظم فيه المدائح والمسابقات.

نظام ولاية العهد ومؤهلات ولي العهد:

كان على زأس الدولة الموحدية خليفة لقب بالإمام والمهدي، وهي أول الألقاب التي أتخذها محمد بن تومرت في أول حركته. وظلت هذه الألقاب حكرا على الساحة طيلة الخلافة الموحدية، وكانت طبيعة الدولة في هذه الفترة شبه شورية.

وبعد وفاة محمد ابن تومرت في الحكم رمضان عام 524هـ-أوت 1130م صارت الخلافة بيد عبد المؤمن بن علي الذي استولى على مدينة مراكش عام 541هـ/مارس 1147م، وأسقط بذلك دولة المرابطين،فاكتملت سيطرته على أنحاء المغرب كله، وتوسعت بذلك حدود دولته مما دفعه إلى التفكير في وضع الأسس الأولى لملكه. فنادى بولاية العهد ابنه الأكبر أبي عبد الله محمد عام 549هـ/1155م، بمشورة مجالسه المعروفة وموافقتها. كما قام بتنظيم الحكم لتأكيد سيادته، فعيّن بقية أولاده لحكم ولايات المغرب والأندلس. وكان أولاد

---

(1) عبد الله عنان، المرجع السابق، قسم الموحدين، ص 618.

(2) الحلل الموشية، ص111، تاريخ الدولتين، ص 9، المن بالإمامة، ص 342، 344، البيان المغرب، ص171.

(3) ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص16-34، ابن الخطيب، المصدر السابق، ص265-270.

الخليفة يلقبون "بالسادة" لتميزهم عن الأشياخ وبقية طبقات المجتمع الموحدي الذي سطره ابن تومرت[1].

وهدف الخليفة عبد المؤمن بن علي من هذا، هو جعل الخلافة أمرا وراثيا عقبه، وهكذا تحولت الخلافة الموحدية إلى ملك دنيوي[2]، بعدما كانت إمامة دينية رغم حفاظها على صفتها الدينية. وشعارا للدولة، مثلا في رسوم الإمامة المهدية، وتعاليم المهدي الدينية والدعاء له في الخطبة والمكاتبات الرسمية ووصفه دائما بالإمام المعصوم، والمهدي المعلوم.

وكان نظام ولاية العهد الذي أسسه عبد المؤمن بن علي يقوم على خمسة نقاط وهي: 1- وجوب التزام الدقة في تطبيق الأحكام الشرعية، 2-وجوب الكف عن اقتضاء أية مغارم أو مكوس لا تبيحها الشريعة ولا تتفق مع قواعد العدل، 3-لا يجوز وضع الحد في مواد الحدود بالإعدام أو تنفيذه قبل الرجوع إلى الخليفة ليصدر هو قراره في هذا الشأن، 4- وجوب تحريم الخمر ومطاردتها في سائر أنحاء الدولة، 5- وجوب حماية أموال المخزن (أموال الدولة) وصونها وعدم التصرف في شيء منها دون استئذان الخليفة.

ولم يكن للموحدين قانونا ثابتا للوراثة، كان الخليفة يختار لنفسه ولي عهده، كما فعل عبد المؤمن بن علي عندما ولّى ابنه الأكبر على الحكم، وفقا لمشيئته [3]، وهذا يعني أن الخليفة كان يتمتع بسلطة مطلقة فيحصل أمير المؤمنين ولي عهده على موافقة ومبايعة بطاعة الدولة والزعماء والأمراء [4].

ويتم هذا التعين وفق رسوم فخمة بحضور بني عبد المؤمن والوزراء وكبار رجال الدولة، ثم الشعب أخيرا. تكون المبايعة أولا في البلاط الخليفي ثم يذاع نبأ توليه وجلوسه على العرش

---

(1) ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص16-34، ابن الخطيب، المصدر السابق، ص265-270.

(2) عبد الله عنان، المرجع السابق، ص617.

(3) السلاوي، المصدر السابق، ص24، يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص448-449.

(4) عبد الحميد حاجيات، "عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين"، مجلة الأصالة، العدد 64، ديسمبر 1978، ص 41-42.

في جميع أنحاء الدولة، وبعد ذلك يأخذ الخليفة الجديد شعارا خاصا به لتوقيعه وأعلانه ملكه. وتحرّر وثيقة التنصيب من طرف أحد كبار البلغاء، وتحفظ هذه الوثيقة في الخزائن الملكية[1].

وتنص وثيقة البيعة على المؤهلات التي رشّح بموجبها ولي العهد الجديد [2]، كانتمائه للبيت المؤمني، والتمتع بكفاءة حربية عالية، وحنكة سياسية واسعة، وإيمان بمبادئ الدولة الموحدية وشعاراتها. وتجدد البيعة بعد وفاة الخليفة السابق، ويكون هذا بمحضر كبار الدولة والأمراء لأمراء لإعلان تنصيب الخليفة الجديد وعقد ولايته ومخاطبته بأمير المؤمنين الجديد.

عرفت والدولة الموحدية كغيرها من الدول الإسلامية نزاعات حادة بسبب العرش، ولعل هذا يعود إلى عدم تسلسل الوراثة من الأب إلى الابن. وعدم وجود قانونا ثابتا لوراثة العرش مثلها مثل الدولة الأموية والعباسية، والخلافة الفاطمية، والأموية بالأندلس، والدولة المرابطية بالمغرب، وهذا سهّل للوزراء فيما بعد السيطرة على زمام الأمور بالدولة وتسييرها كيف ما شاؤوا، وعزل الخلفاء وتعيينهم كما أرادوا ذلك [3].

وكان ولي العهد المختار شريكا في الملك إذ يشارك الخليفة في تسيير شؤون الدولة كشريك في الملك، وكان يضرب اسمه على السكة [4] بجانب اسم أبيه، ويذكر في الخطبة مع اسم أمير المؤمنين.

---

[1] النويري، المصدر السابق، ص434.

[2] قد رعى عبد المؤمن بن علي مبدأين أساسين في تنظيمات دولته، الوراثة، والمؤهلات.الوراثة في حالة أبنائه وأبناء أهل الجماعة وأهل الخمسين وأهل الدار.والمؤهلات في حالة نجباء الأولاد المختارين في مختلف الولايات، عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص101.

[3] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص56.

[4] تميزت السكة الموحدية عن السكة المرابطية في شكلها ومضمونها. فالشكل كان مربعا، وهو تصوير جديد للسكة الإسلامية، وعرفت تحوّل كبير في تاريخ نظام السكة الإسلامية في المغرب الإسلامي بالخصوص. وكان المهدي محمد بن تومرت أول من سك الدرهم المربع في تاريخ الدولة الموحدية، وأطلقت عليه (صاحب الدرهم المربع)بسبب حيازته لقصد أسبق التي تؤكد في فكرة إنشائه هذا النوع من النقود، كصاحب الدرهم المرّبع. واشترك الداعيان محمد بن تومرت وعبد الله بن ياسين،في أنهما لم تضرب نقود باسمهما. ويؤكد ابن خلدون هذا بقول: "ولقد كان المهدي فيما ينقل ينبعث ينعت قبل ظهوره بصاحب الدرهم المربع، نعته بذلك المتكلمون بالحدثان، ومن قبله المخبرون في ملاحمهم عن دولته".

إن هذه الطريقة المتبعة من طرف الخلفاء في تعيين أبنائهم في السلطة، قد وضعت كلها من قبل الخليفة الذي كان يتمتع بسلطة مطلقة، رغم وجود المؤسسات الأخرى (المشيخة، الوزراء، الجيش). حيث عهد إلى وضع ترتيب طبقي و لم يكتف بذلك بل خص أهل الدار، وأهل الجماعة، وأهل الساقة، وأهل الخمسين وأهل السبعين، والطلبة والحفاظ وأهل القبائل، وخصّ كل طبقة بمهمة، فأهل الدار للامتهان والخدمة، وأهل الجماعة للتفاوض والمشاورة وأهل الساقة للمباهاة، وأهل الخمسين وأهل السبعين والحفاظ والطلاب لحمل العلم والتلقي، وأهل القبائل لرّد العدّو.

كل هؤلاء كان دروهم منحصرا في وجود الدولة وليس في تسييرها، فالرأي رأي الإمام في كل كبيرة وصغيرة، ووجود هذه الطبقات ما هو إلا تدعيما لوجوده وبقائه.

كما أنّ الدولة الموحدية تميزت عن الدول الإسلامية التي ظهرت بالمغرب الإسلامي، بإدارة متقنة، هدفها التسيير المباشر لشؤون الدولة، معتمدة على هيئة من "الموظفين المديرين" الذين وزعت عليهم المهام السياسية والإدارية الهامة داخل العائلة الموحدية.

وربما وجود هذه الهيئة السياسية التي صارت تنافس لعصمة الشيوخ كان غرضها التقليل من سلطة الفقهاء وإبعادهم عن القرارات الحاسمة بالدولة ما عدا الحروب ضد النصارى وإعلان إجهاد في المغرب والأندلس.

وما عرف عن السكة الموحدية أنها خالية من التاريخ، ونادرا ما تنص على مكان الضرب واسم الغرب واسم الخليفة، ما عدا دراهم عبد المؤمن بن علي الذي نقش اسمه وكان واضحا عليها، وهو أول من سك النقود الفضة المربعة، المتميزة بمقاسات وأصناف متنوعة، وكان النظام النقدي الدولة الموحدية الذي ويعبر عن طموحات وأهداف حركتهم واتجاهتهم الإصلاحية التي نادى بها زعيمهم الروحي ابن تومرت في ميدان العقيدة وفلسفة الدعوة. وأخذت السكة كذلك كوسيلة إعلامية لإثبات شرعية الحكم عند الموحدين وصبغته الدينية، كعبارات،" الأمر كله لله"، " لا قوة إلا بالله"، "القرآن إمامنا"، "لا إله إلا الله"، "الله ربنا" "محمد رسولنا"، "المهدي إمامنا".

وهناك ملاحظة عن الخلافة الموحدية منعت ضرب السكة خارج حاضرة الدولة بمراكش، ومنعت منعا باتا ضرب النقود مهما كانت منزلة ومكانة هؤلاء العمال، بولايات المغرب وحتى الأندلس التي استخدمت مناطقها لضرب النقود الفضية والذهبية، كمالقة، ومرسية، وقرطبة، وأشبيلية، وغرناطة، وبلنسية، صالح بن قربة، المرجع السابق، ج1، ص11، 13، 14، 27، 174، 211.

الوزارة في الدولة الموحدية:

وخطة الوزارة بدأت في عهد عبد المؤمن بن علي أول خلفاء الموحدين الذي انتظمت على يده أداة الحكم. وأمير المؤمنين في الدولة الموحدية يساعده في إدارة شؤونها عشرة وزراء، كان كبيرهم يتخذ لقب الحجابة مثل أيام الدولة الأموية، ومهمته تبليغ المراسيم والأوامر التي يصدرها الخليفة شفويا، وفي بعض الأحيان يوقع على ما يصدره الخليفة بخاتمه وتوقيعه[1].

وكانت تعهد الوزارة في بعض الأحيان إلى ابن أمير المؤمنين، أو أخيه مثل ما حدث بعد وفاة عبد المؤمن بن علي الذي خلفة أبو يعقوب يوسف حيث تولى شؤون الحجابة أخوه السيد أبو حفص، وذلك على معنى الوزارة والإمارة. وفي هذا الإطار حملت الحجابة معنى رياسة الوزارة.

وعلى العموم فالوزارة في الدولة الموحدية كانت تعهد لأهل الدار والقرابة وبعض القبائل الموحدية الموالية. وكانت الوزارة تبقى في الأسرة الواحدة أجيالا متعاقبة، مثل أسرة بني جامع، وأسرة بني توجين..

أما عن القضاء فكان يشرف عليه ثلاثة من الوزراء يسمون القضاة، وثلاثة فقهاء ينظرون في كل ما يتعلق بالدين والتعليم والمعارف خلاف الدولة المرابطية، فالخليفة الموحدي طبع حركته بطابع ديني إلا أنه أبعد سلطة الفقهاء عن إدارة الدولة وشؤونها، عكس المرابطين الذين جعلوا من الفقهاء أهل العقد والحل في دولتهم مما تسبب فيما بعد بثورة عامة عليهم.

ومن قضاة يعقوب المنصور أبو العباس بن مضا، ثم أبو عبد الله بن مروان ثم أبو القاسم بن بقي[2].

وكانت الكتابة من أهم خطط الحكومة الموحدية. حيث ضّم بلاط الموحدين أقطاب الكتاب، اتخذهم كل من السادة والولاة سواء بالمغرب أو الأندلس، والملاحظ أن أغلبهم كانوا أندلسيين وبعضهم مغاربة.

---

(1) ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص 170، إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص62، عبد الله عنان، المرجع السابق، ص621.

(2)ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق،قسم الموحدين، ص170

من بين هؤلاء أبي الحسن بن عياش القرطبي، وأخيل ابن أدريس الرندي، وعقيل بن عطية، وأبي القاسم القالمي، وتلميذه أبي الفضل طاهر بن محشرة، وظل الموحدون يعتنون بهذه الخطة حتى أواخر خلفائهم، فكان المأمون من الكتاب البلغاء، ومعه بالمطرف بن عميرة المخزومي وأبو زكريا الفازازي الذي كانت للخليفة الرشيد[1].

وكان يتولى الشؤون المالية، متولي الخزانة، وكان الخليفة عبد المؤمن بن علي شديد الحرص على أموال دولته، وقد نصّ على هذا ضمن نقاطه الخمس التي أصدرها في ولاية العهد، قائلا "يجب حماية أموال المخزن (أموال الدولة) وصونها وعدم التصرف في شيء منها دون استئذان الخليفة[2]"، وأطلق على صاحب هذه المهام"صاحب الأعمال المخزنية"، و"متولي المجابي"، و"متولي أموال النفقات والمحاسبة"، و"متولي أعمال المستخلص".

وكانت مهمته مراقبة العمال والشرفين ومحاسبتهم والقبض عليهم. وكان لصاحب هذه الخطة وكلاء في سائر المدن الكبرى، يسمون بالمشرفين [3].

ج-خصائص الخلافة الموحدية:

تميزت الخلافة الموحدية بأنها حركة إصلاحية دينية، حاول خلفاؤها أن ينشروا بالمغرب الأقصى المذهب السني المحافظ، عكس ما نشأ عليه مهدوية الفاطميين عن مبادئ إسماعيلية مغالبة التي فاعتبرها المسلمون كفراً، وقد ارتكزت أهداف ابن تومرت على التوحيد والمهدية. وهذه الصيغة الانتقائية واضحة في منهجه الإصلاحي، وتألّف مذهبه في التوحيد من عدة عناصر، فهو معتزلي في تحليل فكرة تنزيه الله تنزيها مطلقا، معتزلي أشعري في تأويل الآيات المتشابهات في القرآن الكريم، وشيعي في جعل الإمامة ركنا من أركان الإسلام الخمسة التي نص عليها الحديث الشريف وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وإقامة الصلاة...كما سائر مع أهل السنة الذين يعترفون بإمامة سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام وإمامة الأنبياء عليهم السلام طبقا للآيات الكريمة[4]

---

(1) عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 623.

(2) يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص486 .

(3) عبد الله عنان، المرجع السابق، ص623.

(4)عبد الله علي علام، نفس السابق، ص 224-225..

يصّور المهدي ابن تومرت هذه الإمامة المهدية كما يلي: " الإمامة وعلامات المهـــدي" هذا باب في العلم، وهو وجوب اعتقاد الإمامة على الكافة وهي ركن مـــن أركـــان الـــدين، وعمدة من عمد الشريعة، ولا يصح قيام الحق في الدنيا إلا بوجوب اعتقاد الإمامة في كل زمان من الأزمان إلى أن تقوم الساعة. ما من زمان إلا وفيه إمام الله قائم بالحق في أرضه من آدم إلى نوح، ومن بعده إلى إبراهيم[1]، قال الله تبارك وتعالى له ((**إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي، قال لا ينال عهدي الظالمين**)) [2].

ولعل من أهم نتائج للخلافة الموحدية في المغرب تأسيس خلافة إسلامية، وحمل لقـــب أمير المؤمنين الذي كان حكرا على المشارقة، وها هو معروف أن المغرب كانت تعاني عـــدم وجود لقب الخليفي منذ وقت طويل.ومن بين النتائج أيضا دخول المنهج التـــأويلي التأصـــيلي الذي عمل المهدي محمد بن تومرت على غرسه في نفسية أهل المغرب، والمرتكز أساسا علـــى مذهب التوحيد، بدل التشبيه والتجسيم، وكذا الاعتناء بالقرآن أو الســـنة حفظـــا ودراســـة، بعيدين كل البعد على التقليد والفروع[3]. كما أن الحركة الفقهية الأولى قام بها ابن تـــومرت وأبرزها في كتابه " أعز ما يطلب " معتمدا على النصوص بدل التقليد، متخذا المذهب المالكي مصدره، لم تحدث تغيرا جوهريا في أمور الفقه التي ورثها على مالك[4].

أما الحركة الفقهية الثانية فقد تزعمها عبد المؤمن بن علي، فتقام بتجديد أحكام الفقـــه دون أن يلحق تشويها أو أذى بمذهب مالك.

أما الثالثة فكانت ضد أفكار العصمة والمهدية والإمامة التي قامت عليها الدولة الموحدية وكان هدف يعقوب المنصور من هذا إدخال أو إحلال المذهب الحزمي الظاهري محل مـــذهب مالك، وإجبار الناس على الرجوع إلى الكتاب والسنة على الطريقة التي أحدثها ابن حزم الذي عرف عنه أنه صاحب الفقه العملي[5] وهذا الموقف الخاص الذي برز به المنصـــور يمكـــن أن

---

(1) نفس المرجع، ص 225.

(2) آية: 2، 124، سورة البقرة.

(3) عبد الله علام، المرجع السابق، ص، 304.

(4)نفس المرجع، ص30.

(5)ابن حزم هو أبو محمد بن حزم الظاهري، ومؤسس المذهب الظاهري هو خلف بن داود الأصفهاني المتوفى عام 270هـ/ وقد أسسه منتصف القرن الثالث الهجري، وخلاصته أنه يجب في صوغ أحكام الشريعة أن يرجع فقط

يوصف بأنه انقلاب في ميدان المذهب والعقيدة في الدولة الموحدية، كما قام كذلك بطرد علم الفروع، واعتنى بدراسة تفاصيل العبادات والمعاملات وأمر الناس بترك الاشتغال بعلم الرأي والخوض فيه، وجمع المصنفات العشرة في الصلاة وما يتعلق بها بفضل علماء المحدثين مثل المجموعة التي جمعها ابن تومرت في الطهارة. فعظم بذلك أهل الظاهرية، وانتشروا بالمغرب، وكانوا يسمون بالحزمية نسبة إلى الفيلسوف ابن حزم القرطبي، فأصبح هذا المذهب،مذهبا رسميا للدولة في عهده. ونتيجة هذا الاتجاه أن ازدهر علم الحديث وحظي طلابه بمنتهى التشجيع والرعاية [1].

والملاحظ أن عقيدة التوحيد التي تميزت بها الدولة الموحدية في بدايتها غطت الاتجاه الذي كان يخفيه كل من الخليفة عبد المؤمن بن علي، والخليفة أبي يعقوب يوسف والخاص بالمذهب الشافعي كذلك.

إلى ظاهر القرآن الكريم والسنة وألا يؤخذ بالرأي والقياس وأن ينحصر الإجماع في إجماع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلّم.ويقول ابن حيان وغيره في ابن حزم أنه كان صاحب حديث وفقه وجدل، وله كتب كثيرة في المنطق والفلسفة، كان شافعي المذهب يناضل الفقهاء في مذهبه، ثم صار ظاهريا من أتباع داوود الظاهري، فوضع الكتب في هذا المذهب.عرف ابن حزم بإلمامه لعلوم الإسلام. وتوسعه في علم اللسان والبلاغة والشعر والسير والأخبار، وبلغت تأليفه نحو 400 مؤلفا، وقد وصفه الذهبي بالذكاء وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب والملل والنحل والعربية والآداب والمنطق والشعر، ونسبه إلى الفرس. أبو القياس احمد بن أحمد الغبريني؛ عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية، تحقيق الأستاذ/ رابح بونار.ط.ج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 216.

[1]أمر الخليفة المنصور بإحراق كتب المذهب المالكي في سائر البلاد، مثل "مدونة سحنون" وكتاب ابن يونس، ونوادر أبي زيد، وكتاب " التهذيب" للبرادعي و "واضحة" ابن حبيب. عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 239-240.

اشترك ابن تومرت في موضوع الإمامة مع الشيعة، حيث جعل كلاهما من الإمامة ركنا أساسيا من أركان الاسلام، معرفين إياها بالإتباع، والاقتداء، والسمع، والطاعة، والتسليم.والامتثال للأمر، واجتناب النهي، والأخذ بسنن الإمام في القليل والكثير. واجتمعا في مبادئ عامة كالعصمة والمهدية والولاية، وبهذا فالإمامة عندهما من الأصول وليست من الفروع، ويبقى أن اعتقاد الإمامة والعمل بهاذين، أما التكذيب بها فقر وجحود وتعلق، ابن تومرت ، المصدر السابق، ص 254، عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص 51.

ومن أبرز ما تميزت الخلافة المرابطية بالنزعة العلمية، حيث سايرت حرية الفكر والبحث، خلافا لما كانت عليه الدولة المرابطية من تزمت وتقيد كحركة الفكر.

3-أوجه الشبه والاختلاف بين أميرية المرابطين وخلافة الموحدين:

1-قامت أميرية المرابطين والخلافة الموحدية على نظم حكومية متشابهة، أساسها السلطة القبلية، والسلطة الدينية، وسلطة الدولة هذه العوامل الثلاثة المشتركة أسهمت في بناء قاعدة اجتماعية جديدة بالمغرب الإسلامي تتشكل من جهاز حكومي قبلي الذي يحول إلى سلالات حاكمة تنشئ دويلات بالمغرب.

2- غيّر كل من الأمير يوسف بن تاشفين والخليفة عبد المؤمن بن علي وأبناءهم وأحفادهم النظرية الأولى التي قامت عليها دولتهما تحت رعاية داعيتيها، عبد الله بن ياسين، ومحمد بن تومرت، وأحلوا محلها توجها خاصا، هدفين من وراء ذلك التقليل من تأثير السلطة الدينية والقبيلة في تسيير سلطة الدولة، إذ جعلا من نظام تعيين الخلفاء نظاما وراثيا.

3- اتبع الموحدون لانطلاق دعوتهم وتشكيل دولتهم نفس الخط الذي اتبعه المرابطون، كالاعتماد على القبيلة، والمصلح الديني، والرباط.

4- إن النظام الثيوقراطي الذي قامت عليه الدولتان، أصبح بعد تأسيس الملك السلالي مثل أسرة بن تاشفين، وأسرة المؤمنية، عامل للتجزئة نتيجة تضارب المصالح بين القبائل المكونة لهذا النظام بعدما كان عنصرا للنشأة أو التأسيس.

5- عمل كل من المرابطين والموحدين على انقاد بلاد الأندلس من النصارى وتوحيد المغرب الإسلامي كله وإعطائه الصورة الجغرافية الحالية له أي المغرب الأقصى، والمغرب الأوسط، والمغرب الأدنى.

6-شكّل الجيش مؤسسة رئيسية في الدولتين باعتباره مصدر القوة والاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي والأندلس.

7-بفضل المرابطين والموحدين انتشر الإسلام انتشارا واسعا بالمناطق الداخلية للمغرب الإسلامي، على المذهب المالكي السني، وتدعم هذا التوسع بالعمارة الدينية كبناء المساجد، والمدارس الفقهية، وانتشار اللغة العربية.

8- أما أوجه الاختلاف بينهما، فتمثل في العقيدة الدينية والجهاد في سبيلها حيث يشكلان الأساس الذي قامت عليه الدولة المرابطية، عكس الدولة الموحدية التي تستند إلى أسس الإمامة الدينية ونظرية المهدي المنتظر[1] فهما لا يشتركان في وحدة المصدر (الشيعية).

9- أهمل كلاهما مبدأ الشورى فيما بعد الذي سنّه الأوائل أي الخلفاء الراشدين في تأسيس دولتهم، مما أدى إلى زعزعة النظام وتدهوره وسقوطه، ونشوب خلافات سالت بسببها دماء كثيرة بالمغرب الإسلامي، وعملت على زوال عدد كبير من القبائل البربرية كالمصامدة.

سقوط الموحدين:

تسقط الدولة الموحدية مثلها مثل سابقتها من الدول -أي الفاطمية والمرابطية- سنة 668هـ/1274موسقوطها لأسباب متعددة أولها: صراع البيت الموحدي حول الحكم، مما ساعد على تمرّد الولاة على السلطة، والتفكير في اقتطاع بعض أجزاء الدولة الموحدية مثل بني مرين، وبني وطاس، وبني عبد الواحد، وبني حفص، زيادة على أطماع الأوربيين في الأندلس، مع الولاة كمحمد بن نصر بن الأحمر، وابن هود....

ثانيها: دخول العناصر غير العربية والمغربية إلى الجيش الموحدي والقصر الموحدي (السود، والقشتالين، والنصارى والمرّتزقة).

ثلثها:إبعاد الخلّفاء الموحدين بن محمد الناصر عن نظام المشيخة الذي وضعه بن تومرت وحكمه ونظمه عبد المؤمن بن علي وابنه وحفيده، (أهل العشرة، والخمسين، والسبعين، الكافة والطلبة) مما أدى إلى زعزعة التنظيم الداخلي للدولة الشاسعة الأطراف.

رابعها: إهمال الخلفاء أمور الدولة والاهتمام بالترف والصراعات الداخلية؛ فزالت بذلك الوحدة المغربية التي مات من أجلها آلاف من المغاربة تحت راية الدولة الموحدية مما أدى إلى ظهور متمردين بالأندلس، اتخذوا شعارات معادية للخلافة الموحدية، فضربها بسكتهم مثل: بني هود

---

(1)أشترك ابن تومرت في موضوع الإمامة مع الشيعة، حيث جعل كلاهما من الإمامة ركن أساسي من أركان الإسلام، معرفين إياها بالإتباع، والاقتداء، والسمع، والطاعة، والتسليم.والامتثال للأمر، واجتناب النهي، والأخذ بسنى الإمام في القليل والكثير. واجتمعا في مبادئ عامة كالعصمة والمهدية والولاية، وبهذا فالإمامة عندهما من الأصول وليست من الفروع، ويبقى أن اعتقاد الإمامة والعمل بهاذين، أما التكذيب بها فقر وجحود وتعلق، ابن تومرت المصدر السابق، ص 254، عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص51.

وبني الأحمر، وذكر لقب الخليفة العباسي الذي يدل على استقلاله عن الخلافة المغربية. كالألقاب المقدسة: الغالب بالله، المستعين بالله أمير المسلمين. كما أن هذه الشعارات التي اتخذها الثائرون على الخلافة الموحدية هي نبذ الاعتراف بالمذهب الموحدي التوحيد ، وبعقيدة ابن تومرت وإمامته للعودة إلى اتجاههم السني واتباعهم المذهب المالكي في معاملتهم.

خامسها:عدم كفاءة قادة الجيوش، وهذه حصرت القيادات في أواخر الدولة على السادة والأشياخ في الغالب، ومعظم هؤلاء لم تكن لديهم الكفاءة اللازمة لذلك أو الدراية بالحروب وكيفية تنظيمها.

ومهما يكن فالدولة الموحدية أعطت للغرب الإسلامي من طرابلس إلى المحيط إلى سجلماسة ومشارق الصحراء، بفضل رجالها، استقرارا أمنيا جاوز القرنيين على الأقل (من 524هـ إلى 668هـ/1130م إلى 1274م).

خلاصة الفصل

برهنت الخلافة الموحدية التي أقامها المصامدة على قدرات الموحدين على إنشاء دولة عظيمة نجحت في توحيد المغرب الإسلامي (تونس، والجزائر، وليبيا، والمغرب) وتسيير أمور رعاياها وحماية دينها واستقرار الأمور بالبلاد. ذلك أن الخلافة الموحدية كانت رمز الجهاد في سبيل الله لإنقاذ الجناح الغربي لدولة الإسلام في الأندلس، بالإضافة إلى أن هذا العصر كان عصر ازدهار في كل المجالات العلمية، والدينية، والأدبية والفنية بالمغرب الإسلامي، فنشطت الحركة الفكرية وألفت كتب كثيرة في مجالات مختلفة مثل الأصول والفروع، وفي مواضيع أخرى كالطب والهندسة والفلك والنبات والفنون، فضلا عن توسيع المدن المغربية كفاس ومراكش ومكناس وبجاية وتونس وتلمسان وطنجة والأندلس وسبتة.

و صارت هذه المراكز قبلة للعلم والعلماء بعدما صار المغرب الإسلامي مركزا كبيرا لحركة التأليف والخلق والابتكار.

كما أنشأ أول مؤسسة دائمة للحكم الشوري في الإسلام ترأسها أشياخ الموحدين أمثال أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص عمر اينتيتي الذي استقر بتونس عاملا لخليفة الموحدين باعتباره نائب السلطة الموحدية بإفريقيا (تونس). غير أنه لم يجعل من الشورى ركنا أساسيا في السياسة، مما أدى إلى سقوط الدولة بعد انتهاج الحكم وراثيا وكان أن نتج عن ذلك صراعات حادة بين الموحدين، أدت إلى نهاية حكمهم وانقسام بلاد المغرب إلى ثلاثة دول الحفصيون حكموا تونس (المغرب الأدنى) والزيانيون بالمغرب الأوسط والمرينيون بالمغرب الأقصى، وضاعت أهداف الخلافة الموحدية المتمثلة في زعامة العالم الإسلامي، رغم أن أغلب خلفائها الذين تميزوا بعلمهم ودينهم كعبد المؤمن بن علي، وابنه أبي يعقوب يوسف وابنه أبي يوسف يعقوب المنصور إذ فشلوا في جميعا تجسيد المنشود على أرض الواقع إلا أن هذا لم يتحقق بسبب انتقال السلطة من نظام شوري إلى حكم وراثي طبقي سيطرت فيه النزاعات وزال الرخاء والعدل اللذين تميزت بها الدولة الموحدية.

الفصل الرابع

الـــدولـــة الحـــفـــصـــيـة

(625هـ-941هـ)(1228م-1534م)

نبذة تاريخية

1. النظام السياسي للحفصيين

2. تطور مفهوم الحكم عند الحفصيين

أ. الألقاب الخلافية

ب. البيعة و شارات الملك

3. مميزات الدولة الحفصية

نهاية الدولة الحكم عند الحفصيين

نبذة تاريخية:

عرفت الدولة الموحدية تقهقرا واسعا، نتيجة للصراع الذي نشب داخل البيت الموحدي حول السلطة، وضعف رجالها، خاصة في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، إذ توسع هذا الصراع في كل أنحاء الدولة الشاسعة الأطراف، فقام كل من بني مرين، وبني وطاس، وبني زيان باقتطاع مساحات كبيرة من أراضي الدولة الموحدية لإنشاء دولهم والضغط عليها، وكسر شوكة المركزية أي الخلافة ومشيختها، حيث قام الخلفاء الأواخر من الدولة على بتحطيم الرباط الروحي الذي كان يجمع الدولة المهدية بأتباعها؛ مما أدى إلى سقوطها، ونشوء ثلاث دول مغربية، المرينيين بالمغرب وبني زيان بتلمسان، والحفصيين بتونس[1] وقد أ سهمت هي الأخرى في رعاية المذهب السني، والجهاد في سبيل الله من أجل تطهير المغرب من آثار الحركة الصليبية التي تكالبت عليه خلال هذه الحقبة.

كما أسهمت إسهاما كبيرا في استقرار الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمغرب الإسلامي، وفي هذا الجو السياسي نشأت الدولة الحفصية من الدولة الموحدية، التي ظلت تحكم البلاد في تلك الفترة من سنة 603 /1206هـ إلى غاية سنة 625/ 1228هـ و كان مؤسسها أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص عمر هينتاتي نائبا على أفريقية نيابة [2]، ويقول ابن أبي دينار في ابتداء دولة الحفصيين:"وفي سنة اثنتين وستمائة أراد الناصر الرجوع إلى المغرب فخلف على إفريقية الشيخ أبا محمد عبد الواحد بن أبي بكر بن أبي حفص ومن يومئذ استقرت

---

1) ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص 248، رقم الحلل في نظم الدول، المصدر السابق، تونس ص62.

(2) SOURDEL (D.J) : la civilisation de l 'Islam classique, les éditions Arthaud, Paris, 1983, P115.

قدم بني حفص بإفريقية وجعل الشيخ أبو محمد عبد الواحد تونس دار الإمارة إلى يومنا هـــذا جعلها الله مدينة إسلام إلى يوم الدين آمين"[1].

قامت الدولة الحفصية مثلها مثل الدولة المرينية والزيانية على أنقاض الخلافة الموحديـــة التي أنهكتها الاضطرابات الداخلية والتقلبات السياسية، مما مهد إلى نشوء هذه الدولة التي حاول أمراؤها بسط شرعيتهم على بلاد المغرب الإسلامي باعتبارهم ورثة الخلافة الموحدية.

ويبدأ ظهور الدولة بأميرها أبي محمد عبد الواحد الذي يعد المؤسس الحقيقي لها. لأنـــه أول من تملك من بني حفص، امتاز بالفطنة والذكاء والقدرة وقيادة الرجال[2] منذ تأسيس دولة الموحدين إذ اعتمد عليه ابن تومرت في إقناع قبائل المصامدة والإيمان بما أتى به. وأبو محمـــد عبد الواحد أوّل[3] من تولّى ولاية أفريقية من بني حفص سنة 603هـــ/1206م، بعد إلحاح الخليفة الناصر الموحدي على بقائه في منصبه والاحتفاظ بالولاية.

---

(1) ابن أبي دينار ، المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس، تحقيق وتعليق محمد شمام، ط.2، مطبعة 20 مارس، تونس 1967، ص 122-123.

(2) ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 62.حسين مؤنس، المرجع السابق ص ص 205، 206.

(3) هو المولى أبو محمد عبد الواحد بن أبي بكر ابن الشيخ أبي حفص عمر بن يحيى بن محمد ونوادين بن علية بن أحمد بن إدريس بن خالد بن اليسع بن الياس بن عمر بن وافتن بن محمد بن نجية بن كعب بن محمد بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه...

ولأجل هذا النسب الشريف خطب لهم بأمير المؤمنين والناس مصدقون في أنسابهم والشيخ أبو حفص من هنتاتة من قبائل المصامدة، وهنتاتة أكثرها جمعا وهم القائمون بدعوة المهدي محمد بن تومرت والســـابقون إليها، وأبو حفص أحد العشرة (**مجلس العشرة**) الذين بايعوا المهدي، عين في عصر الناصر بن منصور، نائبا للدولة الموحدية يوم السبت عاشر شوال بسنة 603هـــ. كان عالما فاضلا ذكيا فطنا شجاعا محسنا، يعد أول من وضع زمام التضييف بتونس للوفود، وكان يجلس يوم السبت للنظر في مسائل الناس.

توفي يوم الخميس أول محرم عام 618هـــ، وأيام دولته 14 سنة و 3أشهر، ودفن بالقصبة وقـــبره يـــزار ويتبرك به، ابن أبي الدينار، المصدر السابق، ص 130-131. وابن الخطيب، المصدر السابق، ص6.

وفي هذا المعنى يقول ابن القنفد: "... فطلبه الناصر في ذلك فامتنع، وشق عليه مفارقة من لـــه بالمغرب، فما زال يحاوله ورأرسل إليه ولده، وقال له : " إما أو تتوجه إلى المغرب وأجلس أنـــا بأفريقية، وإما أن تجلس أنت، وأنصرف أنا فأجابه الشيخ أبو محمد ما طلب"[1] وأمتـــاز هـــذا الشيخ بالمقام العالي والأسمى في دولة عبد المؤمن وأبنائه من بعده [2]، فبفضل تـــدبره الســـليم استطاع أن يصلح الأمور بولايته-وينظم جيشه نظام استقبال للوفود القادمة إلى تونس، وبهـــذا أخذ شكل نائب السلطة الموحدية بأفريقية.

ظلت أفريقية تحت سلطة بني حفص، حيث تداول عليها أميران وهما محمد عبد الواحد ابن أبي حفص، وعبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد (623هـــ-625هـــ/1226م-1228م) وكانا تابعان للخلافة الموحدية. وقد بويع عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد سنة 634هـ/1237م وذكر اسمه في الخطبة، ولم يتسمّ "بأمير المؤمنين" واقتصر على لقب "الأمير" وبعد سنة واحدة وصلته بيعات أخرى من الأندلس عام 635هـ، و640هـ و643هـــ، إلا أن عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد تسبب في خلافات جادة داخل مدينة القيروان ممـــا أدى بالخليفة أبي العلا إدريس المأمون إلى عزلّه، تعيش مكانة أخيه أبي زكريا بن الشيخ محمـــد ابن عبد الواحد بن أبي حفص عمر سنة 625هـ/1228م الذي بويع من طرف الموحـــدين،

---

(1) ابن القنفد، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968، ص105.

(2) اشتهر الشيخ أبا محمد بالشجاعة وبالعلم وشدة الذكاء، مما ساعده على إدارة تونس وإحلال الاستقرار بها حتى وفاته يوم الخميس في شهر محرم سنة 618هـــ، ابن القنفد، المصدر الســـابق، ص 105، ابـــن الخطيب، المصدر السابق، ص 62، حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 205-206، حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، مختصر-يشمل ذكر حوادث القطر التونسي من أقدم العصور إلى الزمـــان الحاضر، ط.4، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968، ص 127-128.

مما سمح له بتنظيم إمارته وافتتاح كل من قسنطينة (626هـ-1229م) وبجاية وإخراج ابن أبي عبد الله بن يعقوب المنصور، وأبا عمران ابن السيد أبي عبد الله بن يعقوب المنصور منها، وقضى بذلك على سلطة الموحدين بأفريقية[1]وجلس في الإمارة. ويعد هذا التاريخ بداية لتاريخ الأسرة الحفصية في إفريقية وبذلك حملوا لواء إحياء الدولة الموحدية وأنفصل الحفصيون عن الخلافة الموحدية سنة 625هـ-1228م، وعمل أبو زكريا يحيى[2] وعلى تطبيق مبادئ المهدي بن تومرت، وتعاليمه لبعث الدولة الموحدية من جديد، كما استطاع القضاء على ابن غانية نهائيا سنة 631هـ-1234م ويكون بذلك قد قضى بذلك على الخلفاء المستضعفين من أبناء عبد المؤمن بن علي بمراكش، بعدما هاجم تلمسان وفر صاحبها يغمراسن إلى الجبال سنة 639هـ-1243م، وأصبحت تلمسان خاضعة لبني حفص، ويقول ابن الخطيب:"... وتحرك إليه منهم السعيد فجاز على تلمسان فأوقع بها ملك يغمراسن بن زيان فقتله واستولى عل جميع دخائره"[3] وأستمر أبو زكريا يحي بن عبد الواحد في سياسة القضاء على المتمردين[4] حيث قسّم المغرب إلى دويلات، مثل دولة بني توجين، و جعل عليها عبد القوي بن عباس بن عطية، ودولة مغراوة وجعل عليها علي بن منصور وكسب ود أمراء الأندلس، فهذه السياسة ساعدته في إنهاء أطماع الخلافة الموحدية [5] وتمهيد استقلاله بأفريقية وهكذا وجمع شعوب المغرب الإسلامي تحت الراية الحفصية، وتمكن من تحويل هذه الشعوب لخدمة مخططه الذي يهدف إلى

---

(1) ابن القنفد، المصدر السابق، ص 108، ابن بطوطة، كتاب رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ط.1، المطبعة الخيرية، (د.م) 1322هـ، ص 7-8.

(2) Burlot (J) la civilisation Islamique, OPCIT, PP, 140-142.

(3) ابن الخطيب، المصدر السابق، ص62.

(4) محمد الهادي العامري، تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الازدهار والذبول، نشر الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1974، ص 13-14.

(5) نفسه، ص 13-15.

القضاء على سلطة خلفاء الدولة الموحدية بمراكش واستنجدوا بالقوى الأجنبية، حيث سلموها المعاقل والحصون وقد أشار إلى هذا التحول الذي أصاب كيان الدولة الموحدية ما جاء به صاحب كتاب الحلل في نظم الدول حيث يقول:"... فخلا للأمير أبي زكريا الجو ودانت له أفريقية فاستكثر من الأموال واستلحق الجيوش ودوخ العربان..." [1] وخلال هذه المرحلة من تكوين الدولة عمل على بث الاستقرار وبعث الحياة الاقتصادية من جديد. وقد ترك هذا المؤسس وصية لابنه المستنصر 675هـ (1249م-1276م) [2] حثه فيها على اعتماد الحكمة والفطنة والذكاء، لكسب رخاء دولته وأمنها. وقد وصفه ابن الخطيب بما يلي:"...ولما

---

(1) ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 62.

(2) تضمنت هذه الوصية السياسة الحكيمة التي يجب على المستنصر أن يتبعها وجاء فيها ما يلي:"سددك الله، وأرشدك، وهداك لما يرضيه، وأسعدك، وجعلك محمود السيرة مأمون السريرة، إن أول ما يجب على من استرعاه الله في خلقه وجعله مسؤولا عن رعيته، أن يقدم رضاء الله تعالى في كل أمر يحاوله، وأن يكون أمره وحوله وقوته لله، ويكون عمله وسعيه وذبه عن المسلمين، وحربه وجهاده للمؤمنين بعد التوكل(ثم يشرع في بيان السياسة الحكيمة فيقول أحسن لكبير جيشك وصغيره، الكبير على قدره، والصغير على قدره،ولا تلحق الحقير بالكبير، فتجري الحقير على نفسك، ولا تغلطه في نفسه، وتفسد نية الكبير، فيكون إحسانك إليه مفسدة في كلا الوجهين، ويضيع إحسانك، وتشتت نفوس من معك، فاتخذ كبيرهم أبا، وصغيرهم ابنا، أخفض لهم جناح الذل من الرحمة، وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين، واتخذ نفسك صغيرة، وذاتك حقيرة ولا تسمع كلام الغالطين، وعليك تفقد أحوال رعيتك، والبحث عن عملهم، والسؤال عن سيرة قضاتهم فيهم ولا تنم عن مصالحهم، ولا تسامح أحدا فيهم، فاكشف عنك كل ملمة، ولا تراع فيهم كبيرا ولا صغيرا إذا عدل عن الحق إلى آخر ذلك الدستور الجامع الذي يبرهن عن دين متين، وخلق قويم، وسياسة رشيدة، وتفكير حصيف، ورأي سديد، فكانت وصيته كدستور ضمن للشعب سائر الحقوق له عمل به ملوك الإطلاق ولكن أنّى لهم ذلك". محمد الهادي العامري، المرجع السابق، ص 18-19.

توفى قام بالأمر بعده ولده أبو عبد الله المستنصر بالله وهو ما هو من بعك الصيت وشدة اليأس وتخارق العطاء ونزل الأفرنج على عهدة تونس فظهر من جده وشدة جلاده..."[1].

1-النظام السياسي للحفصيين

مما تقدم يتبين أن الدولة الحفصية كانت موحدية في الأصل، ذلك أنّ أغلب رجالها من البيوت الموحدية من قبائل هنتاتية، وبني جامع وغيرهما، فطيلة عهدهم أي عهد أبي زكريا ويحيى والمستنصر كانت أمور دولتهم تسير من طرف الموحدين، كما قام المستنصر بالحفاظ على كل تقاليد الدولة الموحدية والاعتماد على رجالها في المناصب والوظائف الكبيرة بالدولة [2].

و تميزت الدولة الحفصية بأنها ذات نظام ملكي وراثي، فالجالس على العرش فيها هو الذي ينصب خليفته أي ولي عهده، ويعين ولاة الجهات من الأمراء الحفصيين. ونظام العرش هذا لم يكن يختلف عن نظام الموحدين، فالحفصيون الأولون حافظوا على نظام المشيخة[3] وجلعوا لها رئيسا أشبه بمستشار للخليفة الحفصي، وكان هؤلاء من البيت الموحدي، وتدخلهم كان في أمور دقيقة متعلقة بدولة الحفصيين.

كما حدث ذلك في ولاية الأمير محمد أبي عصيدة بن الواثق سنة 692هـ-1293م فإن الأمير أبا حفص عمر بن أبي زكريا يحيى لما عزم على تولية أبناء أبي محمد عبد الله ولاية العهد، عارضه الموحدون لصغر سن المتولى، ورفضوا ترشيحه لأنه في دور الطفولة[4].

---

(1) ابن الخطيب، المصدر السابق، ص62.

(2) حسين مؤنس، المرجع السابق ، 227.

(3) نفسه، ص227.

(4) محمد الهادي العامري، المرجع السابق، ص21.

تميزت مرحلة أبي زكريا (634هـ-1237م) بالاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي، حيث تمكن الحفصيون من السيطرة على الطرق الصحراوية لتجارة الذهب وإبرام معاهدات تجارية مع جنوه وصقلية وإيطاليا، فازدهرت بذلك الحياة الاجتماعية مما شجع الأندلسيين على الهجرة إلى تونس والإسهام في إحياء جوانب عديدة من الترفيه والعلم، وقد وصف ابن القنفد هذه الوضعية أحسن وصف إذ يقول:" وكانت أيامه خير أيام وأكثرها سعادة، وأدرّها أرزاقا، وأكثرها أفراحا، ونام الناس معه عل مهاد العافية، واكتسبوا الأموال وأكثروا الغراسات، وجمعت دولته من رؤساء العلماء وأهل الرئاسات من الموحدين وفحول الشعراء وحياة الأموال، وكان عنده من الصّناع وأصحاب المعارف وأرباب البصر ما لم يكن عند غيره، وكان يجالس طلبة العلم وشاركهم أحسن مشاركة من غير مماراة، ولا إظهار إيالة على أحد منهم"[1].

كما أن السياسة التنظيمية التي سطرها أبو زكريا لدولته كانت قائمة على أشياخه وأهل رأيه من الموحدين، والمعرفون بأشياخ "البساط" وكذلك على وزرائه مثل أبي يحي بن أبي العلاء بن جامع، وقضاته أولهم أبو عبد الله بن زيادة الله القابسي، وابن الصائغ وغيرهما، وبالإضافة إلى كتّابه مثل أبو عمرو بن سيرمين، وعبد الله بن الجلاء البجائي وأبي العباس أحمد بن إبراهيم الغساني[2].

وبهذا تمكن من السيطرة على أفريقية كلها، ومثلما سبق الإشارة إليه فقد جاء في كتاب الحلل مايلي:"... فخلا للأمير أبي زكرياء الجو ودانت له أفريقية فاستكثرت من الأموال واستلحق الجيوش ودوّخ العربان[3]، كما أنه قام بإسقاط اسم الأمير أبي زكريا بن الناصر من

---

(1) ابن القنفذ، المصدر السابق، ص 112-113، ابن أبي الدينار، المصدر السابق، ص 153-154ـ الوزير السّراج، المصدر السابق، ص 140.

(2) ابن القنفد، المصدر السابق، ص 116.

(3) ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 62.

الخطبة في بلاد أفريقية، واقتصر على الدعاء للمهدي وللخلفاء الراشدين، وتعيين ابنه أبي يحيى زكريا على بجاية وأعمالها، والاستيلاء على تلمسان عاصمة دولة بني زيان بالقوة عام (640هـ/1243م)، وذكر اسمه بالخطبة، ومبايعته بيعة تامة من طرف الناس [1]، وكل هذا ماهو إلا دليل على رغبته في إقامة دولة توازي قوتها قوة الخلافة الموحدية لزعامة العالم الإسلامي من بعدها[2].

ولئن كانت علاقة بني حفص بالدولة المرينية في عهد أبي زكريا قد اتصفت بالمجاملة، وتبادل الهدايا، والبرّ في الكتاب والخطاب والمعاملة، وتكريم الوفد[3]، بينما كانت علاقتهما الدولة الزيانية فإن علاقتهما مع الدولة الزيانية لا تكاد تتجاوز حدود السيطرة والتدخل في شؤونها وهو ما يفسر كثرت حملاتهم على تلمسان، إذ قام أبو فارس عبد العزيز الحفصي في عهده بالاستيلاء على المدن الرئيسية بتلمسان، وتكرر مثل هذا التدخل مرارا أثناء القرن التاسع الهجري مثلما حدث في آخر إمارة محمد بن الحمراء (877-831هـ) ثم في أيام أبي العباس محمد أحمد العاقل (834هـ-866هـ)، ثم في عهد السلطان أبي ثابت المتوكل (866هـ-873هـ) [4].

---

(1) ابن القنفد، المصدر السابق، ص 62.

(2) قام الأمير أبو زكريا في عام 629هـ/1232م، ببناء جامع قصبة تونس، وجدّد رسومها، واشتهر هذا الجامع بصومعته الجميلة الشكل التي نقش عليها اسمه وأذن بنفسه ليلة تمامها من بداية شهر رمضان سنة 630هـ-1233م، وبنى أيضا سوق العطارين بتونس، وأنشأ في قصره بالقصبة دار الكتب التي جمعت فيها أكثر من ستة وثلاثين ألف مجلد من أنفس المؤلفات. ابن القنفد، المصدر السابق، ص 109، حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 128، 129، 130، الإعلام، قاموس تراجم لأشهر رجال والنساء من العرب والمتعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، ط.2، ج.10، ص193.

(3) ابن خلدون، المصدر السابق، مج:7، ص213.

(4) عبد الحميد حاجيات، تاريخ دولة الأدارسة من خلال كتاب نظم الدر والعقبان لأبي عبد الله التنسي، القسم الأول، مجلة التاريخ، النصف الثاني من 1980، ص 6-7.

وأما المرحلة الثانية تبدأ بولاية الأمير أبي عبد الله محمد المستنصر بالله ابـــن الأمـــير أبي زكريا من سنة (647هـــ-1249م) الذي تمت مبايعته أولا على بونة ثم تونس[1].بعد تعينـــه قام ابن عمه محمد اللحياني بشن حرب ضده، إلا أن هذا الصراع انتهى بانتصار المستنصر بالله بعدما تمكن من القضاء كليا على هذا التمرد، وشرع في البناء، وداع صيته بالمغرب الإســـلامي وبلاد المشرق مما أهلّه فيما بعد إلى التلقب بلقب" أمير المؤمنين" حيث جاءته البيعة من أمـــير مكة وأهل الحجاز سنة (657هـــ-1259م) بعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد على يـــد المغول الذين قتلوا الخليفة العباسي بعد المستعصم بالله، وقضوا على كل مظاهر التمـــدن بهـــا، فاتجهت الأنظار إلى الأمير الحفصي باعتباره أقوى شخصية إسلامية آنذاك[2].

ومن جرّاء هذا زادت شهرته والتحق بحضرته كثير من أعلام العالم الإسلامي[3] الذين اكتض بهم قصر الأمير المستنصر طيلة حكمه الذي أصبح يشبه في أبهته قصور الخلفاء.

كما تميزت فترته بحملة لويس التاسع، ملك فرنسا على تونس في آخر ذي القعدة سنة (668هـــ-1269م) وقد وصفها ابن القنفد أحسن وصف إذ يقـــول: "وكانـــت في أيـــام المستنصر حوادث عظام منها من سنة ثمان وستين وستمائة نزول النصارى بتونس بسبعة مـــن

---

(1) ابن القنفد، المصدر السابق، ص 117.

(2) حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 130-131.

(3) كان من ضمن جلساء الأمير المستنصر بالله المحدث الحافظ أبي بكر بن سيد الناس، وابـــن عصـــفور، والكاتب البليغ أبي عبد الله بن الأبار، والفقيه أبي المطرف ابن عميرة المخزومي الذي كان أصله من جزيرة شقر، رئيس الأدباء، وكبير العلماء وعلامة عصره.

ولي بالمغرب الأقصى خطة القضاء في عهد الأمير السعيد، ثم انتقل بعد ذلك إلى بجاية، ثم قدم إلى تونس في عهد أبي زكرياء، فتقلد كذلك القضاء، بمناطق مختلفة بدولة الحفصيين كقابس، والأريس، ابن قنفد، المصدر السابق، ص 122-123.

الملوك وبكثرة من العدة والخيل والأخبية وذلك في صلاة الظهر من يـــوم الخمـــيس الســـادس والعشرين من ذي الحجة"[1].

وكان هدف الحملة الصليبية التي قادها الملك الفرنسي لويس التاسع ضد تونس احتلال الموانئ التجارية الهامة في الاقتصاد الحفصي، ودامت هذه الحملة أكثر من ثلاثة أشهر، وفـــرض حصار مشدّد عليها انتهى بدفع مبلغ مال (ألف قنطار من الفضة)[2] للغزاة مقابل انسحابهم من البلاد التونسية.

ظلت هذه الأوضاع تميز هذه المرحلة من حكم المستنصر بالله الذي تمكن من تحســـين الحياة الاجتماعية للحفصيين، حيث عظمت حضارة تونس وكثر ترف سكانها، وتأنق الناس في الملابس والمراكب والمباني والماعون والآنية وأستحادوها بعده أدرجهـــا والله مالـــك الأمـــور ومصرفها"[3].

أما عن علاقته بالدولة المرينية فكانت تشبه طبيعة العلاقة التي سنها أبوه، أي سياســـة الملاطفة والمجاملة وتبادل الوفود التي كان يترأسها جماعة مشيخة الموحدين، وفي هذا الســـياق يذهب ابن خلدون إلى القول: " ثم أوفد المستنصر على السلطان يعقوب بن عبد الحق آخر سنة تسع وستين بعدها شيخ الجماعة من الموحدين لعهده، أبا زكرياء يحيى بن صالح الهنتـــاتي، مـــع جماعة من مشيخة الموحدين في مرافقة محمد الكناني- وبعث معهم إلى السلطان هديـــة ثمينـــة يلاطفه بها ويتاحفه، انتخب فيها من الجياد والسلاح وأصناف الثياب الغريبة العمل ما انتقـــاه،

---

(1) ابن القنفد، المصدر السابق، ص 131، ابن الخطيب، المصدر السابق، ص62، حسن حســـني عبـــد الوهاب، المرجع السابق، ص 132-138.

(2) ابن القنفد، المصدر السابق، ص 132.

(3) نفسه، ص 130-131.

ووقف رضاه وخمته على الاستكثار منه، فحسن موقعها وتحدث بها، وأنقلب وفده أحسن منقلب بعد أن تلّطف محمد الكناني في ذكر الخليفة المستنصر على منبر مراكش فتّم له"[1].

كذلك علاقته بالدولة الزيانية لم تكن تختلف عن سياسة أبيه العدوانية إذ توجه إلى عاصمة الزيانيين في سنة (652هـ-1253م) بعد خروجه من الأندلس ومكث بها حتى وصلته بيعة أهل بجاية في السنة المذكورة، ويقول ابن قنفد عن تحرك المتستنصر نحو تلمسان:"... وهو إذ ذاك بتلمسان بعد خروجه من الأندلس، و لم يزل بتلمسان إلى أن وجّه له أهل بجاية بالبيعة...." [2]

وفي حديثه عن طبيعة العلاقة بين بني زيان وبني حفص في عهد المستنصريسوق لنا ابن خلدون جانبا مما كان سائدا آنذاك فيقول: " وفي سنة أربع وستين انتقضوا على المستنصر ومكثوا في ذلك الانتقاض سبعا، ثم أوعز إلى أبي هلال صاحب بجاية بالنهوض إليها في سنة إحدى وسبعين، فحاصرها أشهرا وأفرج عنها، ثم عاودها بالحصار سنة أربع وسبعين أبو الحسن بن ياسين بعساكر الموحدين، فاقتحمها عنه واستباحها، وتقبض على مشيختها فلم يزالوا معتلقين بها إلى أن هلك المستنصر..."[3].

وبالإضافة إلى أعماله السياسية، كانت للمستنصر بالله آثار فكرية وعلمية وفنية ومعمارية، حيث أسهم في نشر العلوم وتشجيع العلماء للقدوم إلى تونس[4] التي صارت تفتخر

---

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، مج، 7، ص 214

(2) ابن قنفد، المصدر السابق، ص 119.

(3) ابن خلدون، المصدر السابق، مج، 7، ص119.

(4) تونس : أسست تونس من طرف حسان بن النعمان بن عدى بن بكر بن مغيث، الملقب بالشيخ الأمين، اشتهرت المدينة الجديدة بكثرة رخامها في أبوابها وديارها، وكل مبانيها من حجر منحوت محكم العمل، ولها أبواب عديدة، عرفت بقلة مائها، لكن عوّض هذا بالساقية المجلوبة من ناحية زغوان التي سخر ماءها إلى بساتين السلطان وقصره، وقليل منه إلى جامع الزيتونة للوضوء، اشتهرت مدينة تونس بجامعها

بمكتباتها التي تحتوي أكثر الكتب، وبمجالسها العلمية التي كان يحضرها الحاكم بنفسه ويناظر أصحاب العلوم المختلفة.

أما عن إنجازاته التي تخص بناء وترميم الحنايا الرومانية، فإنها لم تكن أقل قيمة من منجزاته السياسية والعلمية إذ قام بجلب المياه إلى بساتين تونس وقصورها ودكاكينها مما أدى إلى انتعاش الزّرع وغير ذلك، كما قام بجلب مياه من قرب أريانة وبعضه إلى تونس[1]، هذه المنجزات الحضارية أضفت على دولة بني حفص طابع حضاري مميز بالمغرب الإسلامي.

والمرحلة الثالثة تبدأ مع الخليفة أبي زكريا يحي الواثق (675هـ-1277م) الذي صارت في عهده الدولة يسيطر عليها الفقيه الحسن يحي بن أبي مروان الأندلسي الحميري المشهور بالخبير غير أن حكمه لم يدم طويلا، فسلم الأمر إلى عمه المجاهد أبي اسحاق عام (678هـ-1300م)، وتوالت هذه الأحداث غير المستقرة على بيت بني حفص مسببة عدم الاستقرار ومن ثمة انقسام الدولة الحفصية إلى شرقية وغربية، ثم إلى إمارات حتى نهاية الدولة.

كما شهدت هذه المرحلة، انتشار الاضطرابات في مختلف أقاليم الإمارة الحفصية، بسبب تسلط حكامها، مثلما حدث ببجاية في عهد ابن زكريا يحي الواثق، عندما قام إدريس بن عبد الملك بإذلال الناس وأخذ أموالهم بالقوة مما أدى إلى قتله في عام (677هـ-1279م من طرف مجموعة متكونة من جند بجاية، ورجال من عامة البلد وخدّامه، بالإضافة إلى هجمات العرب التي توالت على تونس وقراها، فنهبت المنازل وسرقت الأموال والنساء، وتمادى هؤلاء في بطشهم بأهالي القرى مما زاد من غضب العامة أمام عجز أمراء بني حفص للرّد على هذا

المميز الذي أتقن بناؤه في وتشيده وزخرفته (دائرة مسقف)، ووسطه فضاء قد نصبت فيه أعمدة من خشب على قدر ارتفاع الجدر رحلة العبدري، حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 135-136، الأدريسي، المصدر السابق، ص ، موسى لقبال، المغرب الإسلامي...، المرجع السابق، ص 58-73.

(1) ابن قنفد، المصدر السابق، ص 118، حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 133-138.

التسلط الذي فرضته هذه القبائل العربية على السكان[1]، بل قامت الدولة الحفصية بتوزيع الأراضي الشاسعة على هذه القبائل لإخماد ثوراتها عليهم، إلا أن تلك السياسة لم تكن ناجحة بل زادت من طمع البدو في الاستيلاء على السلطة فيما بعد، وأشعلت نار الفتن والمنافسة بين البيت الحفصي [2] حول الحكم.

وحافظت هذه الدولة الناشئة في أيامها الأولى كذلك على نظام الطلبة لكل نظامه ومستوياته، والمدعم لهذا النظام كان أبو عبد الله محمد بن عبد الجبار الرعيني السوسي، الذي عمل على خدمة الطلبة الذين كانوا يلعبون دور الدعاة في دور الحديث، وفي كل الأمكنة التي كانوا يستقرون بها، زيادة على هذا ظلت وظيفة شيخ الموحدين قائمة وهو كبير الموحدين أو رئيس جماعتهم، وكان لهم دور الحزب السياسي الحاكم الذي تقوم عليه الدولة. ومن أبرزهم الشيخ أبو سعيد بن أبي زيد[3] الذي قدم للدولة الحفصية بعدما انتقل إليها من المغرب الأقصى.

ظلت الدولة الحفصية طيلة حكم الأميرين الأولين تابعة للدولة الموحدية من (603 إلى 625هـ) (1202م-1228م)، وشبه مستقلة عن الدولة الموحدية من عهد أبي زكريا

---

(1) ابن القنفد، المصدر السابق، ص 139.

(2) الشنوفي علي، كتاب تحفة الناظر، مدخل لتاريخ الحضارة في بلاد المغرب الإسلامي في القرن التاسع الهجري، عدد خاص، أعمال الملتقى الثالث التونسي الإسباني، قرطاج، 11، 17، 1977، ص105.

(3)الشيخ المعظم أبو سعيد بن أبي زيد شيخ الموحدين وكبيرهم، سليل بيت من بيوت الموحدين في المغرب الأقصى، وكان أفراده يتولون الوظائف الجليلة، ويقول فيه ابن قنفد: وكان هذا الشيخ أبو سعيد أحد الأخيار حسن الواسطة كثير التغافل عن الهفوات عظيم العناية بمن لاذبه معتقدا في بيت الشرف معظما للشرفاء متواضعا لهم محسنا إليهم، وكان مؤالفا لأهل الورع محسنا للفقراء، لا يدل إلا على خير ولا يسعى إلا في مصلحة، وكان المستنصر يعجبه ذلك منه وشيكره له ، وله معه في ذلك أخبار كثيرة. انتقل إلى سجلماسة عندما دبّ الضعف والنزاع في البيت الموحدي، ثم إلى تونس حيث لقي كل كرامة من أبي زكريا، وأعطاه الأموال وقربّه إليه وأسند إليه فيما بعد وظيفة هامة بدولتهم، توفي في شعبان من سنة 673هـ، ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص131-135.

المستنصر يحيى بن أبي محمد بن عبد الواحد، لكن بعدما استطاع المستنصر بالله سنة (647هـ- 675م) اتخاذ "لقب الخلافة وإمرة المؤمنين"[1] من آخر خلفاء الموحدين -وهو أبي العلا إدريس الثاني الموحدي الملقب بأبي الديوس-، تمكن من تمثيل الخلافة الإسلامية التي عجز أن يحققها خلفاء المهدي محمد بن تومرت[2].وبدأت وصول البيعات تصل من كل أنحاء الأمة الإسلامية، ففي سنة 652هـ وصلت بيعة بني مرين من مدينة فاس ودعى له على منابرها، كما وصلته بيعة مكة بإنشاء عبد الحق بن سبعين سنة 657هـ/1259م، وقرئت على الناس، فتطور النظام السياسي من نظام أميري إلى خلافة اسلامية مؤسسها من المغرب [3] بعدما سقطت الخلافة الإسلامية ببغداد على يد التتار [4] وتوالت بيعة الشعوب الإسلامية، وتوسعت ممالك الدولة الحفصية في عهد المستنصر[5].

---

(1) Dhina (A), les Etats de l'occident musulman aux XIV et XV siècles : Institutions gouvernementales et administratives, office des publications Enal ,Alger,1984, P 82-83.

(2)حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 227.

(3) ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 135.

(4) محمد الهادي العامري، المرجع السابق ، ص 31.

(5) المستنصر بالله أبو عبد الله محمد بن أبي زكريا، هو ابن المولى أبي زكريا بن المولى أبي محمد عبد الواحد ابن أبي بكر ابن المولى أبي حفص عمر، تقلد أمور دولته عام 647هـ، وعمره لا يتجاوز 22 سنة، ولد أم اسمها عطف، نصرانية وهي التي أمرت ببناء جامع مع التوفيق والمدرسة التوفيقية. أهتم المستنصر بالعمارة، كعمارة الحنايا، والقصبة، وتزيين تونس بالحدائق، كما كان مولعا بالمنشآت الدينية، فبنى المساجد، والأسوار، وجعل من تونس حضيرة للعلم، إذ قدم إليه علماء وشيوخ أجلاء، كأبي عبد الله محمد بن الحسيني البهنسي، وعلي بن سعيد المغزي الكاتب المؤرخ الأديب المشهور، وأبي عبد الله محمد بن إبراهيم المهدوي المعروف بابن الخباز من أهل العلم والورع. وتوفي المستنصر بالله في 11 من ذي الحجة 675هـ وعمره خمسون سنة، فكانت خلافته 28 عاما وخمسة أشهر، ابن أبي دينار، نفس المصدر، ص 134- 137، ابن قنفد، المصدر السابق، ص 117-124. حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 153-154.

وبعد وفاة أمير المؤمنين المستنصر، خلفه ابنه أبي زكريا يحيى الواثق بن عبد الواحد الذي بويع مباشرة بعد وفاة أبيه سنة 675هـ-1277م وكانت زمام السلطة بيد ابن الغافق الذي سيطر على أمور الدولة؛ مما دفع بعمه أبي إسحاق إبراهيم على الاستيلاء على السلطة وبعده إلى أبي حفص عمر وعبد الله محمد أبي عصيدة..وهذه الخلفات تميزت بالاضطرابات وعدم الاستقرار سواء بالداخل أو مع النصارى، ذلك أنه كانت تظهر صراعات داخلية ناتجة عن تعسف وتسلط بعض الحكام، وأغلبها كان يقودها زعماء دين كأحمد بن مرزوق بن أبي عمارة المسيلي، وقد ساعد الصراع الأسري في البيت الحفصي ساعد على زعزعة النظام السياسي فصارت الخلافة تنتقل من ولي العهد إلى العم أو العكس.

2-تطور مفهوم الخلافة عند الحفصيين:

لما استخلف الحفصيون الموحدين واعتبروا أنفسهم الورثة الحقيقيون لأملاكم، وتربّع شكلا ومضمونا أبي زكرياء الحفصي على المغرب الإسلامي، تلقبّ أبو زكرياء بلقب "الأمير" الذي لازمه أكثر من عشرين سنة، ابتداء من سنة 626هـ-647هـ/1229م-1249م، ولم يذكر اسمه إلا بعد ثمانية سنوات من حكمه، أي بعد البيعة الثانية في أفريقية 634هـ/1237م، في خطب الجمعة والأعياد، وظلّ هذا اللقب.يلازمه طيلة فتره حكمه، رغم أن رجال دولته طلبوا منه أخذ لقب "أمير المؤمنين"[1] ، بعدما انفصل انفصالا تاما عن الدولة الموحدية، ويقول ابن خلدون" ففي بيعته الثانية (634هـ-1237م) ذكر اسمه بعد ذكر الإمام مقتصرا على "لفظ الأمير" ولم يتجاوزه إلى أمير المؤمنين"[1] ربما يعود رفضه لهذا اللقب "أمير المؤمنين" لعدم قدرته على الإطاحة بأمير المؤمنين الموحدي الذي ما زال على رأس دولته بمراكش، أو لعدم تأكده بعد من أنصاره وأعوانه، ونحن نعلم أن الدولة الحفصية قامت

---

(1)Dhina (A), Op,cit, P 79-82-83.

على أساس اسم العائلة، وليس على قوة قبلية تشكلت منها قوة سياسية، مثل القبائل التي قامت عليها الدولة المرابطية والموحدية (الصنهاجية، المصامدة)، ولهذا اكتفى فقط بذكر اسمه في الخطب أمام لقب الإمام[1] لأن دولته كانت في مرحلة التكوين، فكان بحاجة ماسة إلى الاستقرار والاطمئنان لبلوغ هدفه المتمثل في إقامة دولة موحدية حفصية بأفريقية على أسس المبادئ الأولى التي نادى بها محمد بن تومرت.

إن نظام الحكم الذي أقره بنو حفص، لم يختلف في مضمونه عما كان معروفا في دول المشرق والمغرب الإسلاميين[2]، فهذه الدولة -التي انبثقت من دولة الموحدين باعتبارها خليفة لها، كانت مؤسستها- التي ترتكز على سلطة الحاكم الذي يقرر ولاية العهد، والوزارة والحجابة والكتابة، وصاحب الأشغال وغيرها، مصدر ترتيبها وتنظيمها وفق مراحل متواصلة.

هذا التدرج في نظم دولة بني حفص، مرّ بأدوار أو مراحل ثلاثة، المرحلة الأولى تبدأ من تأسيس إمارة نبي حفص سنة (634هـ-1237)، إلى سنة (409-1309م) وهي السنة التي ذكر اسمه الأمير أبو زكريا بن الملك محمد الواحد في الخطبة وهي مرحلة، رتب الأحوال فيها وكسب محبة الناس، وأشار ابن القنفد إلى تنشأة هذه الدولة حيث يقول: " ومنّ الله بالدولة الحفصية العمرية، وأنا بها الآفاق الأفريقية وحرّك لانتشار كلمتها الملك أبا محمد عبد الواحد بن الشيخ المقدس المجاهد أبي حفص فنشر ذكرها، وأظهر أمرها وخلفه ابنه الأمير أبو زكريا فزاد في محاسنها"[3].

---

(1) محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص160.

(2) تشابهت الدولة الإسلامية في نظمها، فالدولة الأموية والعباسية اقتبست نظمها من الإمبراطورية الفارسية، لم تكن بالشيء للدول الإسلامية التي ظهرت بالمغرب الإسلامي كمنازعة للخلافة بالمشرق

(3) ابن القنفد، المصدر السابق، ص108.

فمنذ الوهلة الأولى من تأسيسها، تسمّى الحفصيون بلقب" الأمير" و"الملك" أولهم أبو محمد بن الشيخ المجاهد أبي حفص الذي تلقب "بالملك"، والثاني أبو زكريا بن الملك محمد ابن الشيخ المجاهد، الذي تلقب "بالأمير"، كما أن هذه المرحلة تميزت بسيطرة مشيخة الموحدين التي كانت عبارة عن هيئة سياسية حاكمة تتكون من مجلسين، مجلس العشرة ومجلس الخمسين، ودورها الشوري، يحيط شيوخها بالأمير لمعالجة الأمور الهامة للدولة، وظل نظام المشيخة هذا يسيطر على الدولة الحفصية حتى القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، وعملوا دائما على جمع الكلمة بين البيت الحفصي[1]، وتسمى المشيخة بالمزوار[2]، كما سميت مشيخة الموحدين، بالبساط[3].

وفي هذه الفترة كذلك تلقب المستنصر بالله بلقب" أمير المؤمنين" وأشار ابن القنفد إلى هذا بمايلي:" وفي هذه السنة (657هـ-1259م) وصلت بيعة أهل مكة المستنصر على يدي الشيخ محمد عبد الحق بن سبعين، وكان الواصل بها المحدّث الرواية أبو محمد الأزدي الأشبيلي وكان في ذلك هناء كبير"[4].

واستمرت الدولة الحفصية على تقاليد المستنصر بالله التي أثبتها في نظم الحكم ومراسيمه، من تعين وزراء، وكتاب، وحجاب، وأصحاب أشغال وقضاة أسهموا إسهاما كبيرا

---

(1) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 288-289.

(2) يتقاضى رجال المشيخة الموحدية رواتبهم المالية أربع مرات في السنة من مال الدولة، بالإضافة إلى العطايا التي تقدم لها من طرف الأمراء الحفصيين في المناسبات المتعددة التي يقيمها هؤلاء طيلة السنة، زيادة على معاشهم الحقيقي الذي يقطع من إقطاعات الأرض التي يعطونها ويأخذون ربعها، وكانوا يقاسمون كذلك الفلاحين محصول الأرض على طريقة المقاسمة، والمزارعة، وبفضل هذه المشيخة طال عمر الدولة الحفصية واستقرارها النسبي.

(3) ابن القنفد، المصدر السابق، ص 115.

(4) نفسه، ص 120، ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 153-154، الزركشي، المصدر السابق، ص51.

محمد بن الأمير زكريا وأبو يحيى أبو بكر ابن الأمير أبي زيد عبد الرحمان، وأبي البقاء خالد ابن الأمير أبي زكريا) حتى سنة (709هـ-1309م)، فكل هذه السنوات طغت عليها صراعات حول السلطة، بين أبناء أبي اسحاق بن الأمير زكريا، وكذلك تخللتها فترات من الاستقرار والبناء مثل ما حدث في فترة الأمير يحيى أبي بكر[1] الذي اشتهر بحبه للعلم، وحسن السيرة مع اخوته، إذ حاول السيطرة على الدولة من أجل بث استقرارها والخروج من الفوضى التي عمتها لسنوات.

وتخللت هذه المرحلة كذلك حملات بني مرين على أفريقية ابتداء من عهد أبي حفص عمر الثاني (748هـ-1346م)، الذي وقعت بينه وبين أخيه أبي العباس أحمد صراعات حول السلطة، انتهت بمقتله على يد أبي الحسن المريني الذي استولى على تونس واستتب له ملك أفريقية لمدة سنتين أي من سنة (750هـ-1347هـ-1349)، ولكن هذا لم يدم طويلا إذ قامت القبائل العربية بشن حرب عليه بقيادة الحاجب ابن تافراجين سنة (709هـ-1349م)، انتهت بانهزامه، والقضاء على الوجود المريني بتونس[2].

ظلت هذه الأوضاع تسيطر على الدولة الحفصية، حتى عهد أبي فارس عبد العزيز بن أبي العباس (709هـ-1393م) [3] الذي بويع بعد وفاة أبيه مباشرة بتونس، فقام بتنظيم دولته من جديد للقضاء على الفوضى التي سادت البيت الحفصي من أجل الحكم، وجاء في

---

[1] اهتم الأمير يحيى أبو بكر (709هـ-1309م) ببناء المدارس، واقتناء الكتب وجمعها بالمكتبات، وامتهن تدريس العلم وإقامة الذكر، وكان أحسن أخوته سيرة، اشتهر بالمدرسة التي بنى الأمير أبو زكريا والتي احتوت على مسجد، ورتب لها المساكن للطلبة، وأوقف علميها حبسا، واهتم اهتماما خاصا بالمدّرسين والطلبة.

[2] ابن القنفد، المصدر السابق، ص 170، 171.

حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص141.

[3] صالح أبو دياك، المواكب السلطانية ورسوم الإعلام في الدولة الحفصية، مجلة الدارة، العدد الأول، السنة الثانية عشر، يونيو 1986، الرياض، ص، 175.

ظلت هذه الأوضاع تسيطر على الدولة الحفصية، حتى عهد أبي فارس عبد العزيز بن أبي العباس (709هـ-1393م) [1] الذي بويع بعد وفاة أبيه مباشرة بتونس، فقام بتنظيم دولته من جديد للقضاء على الفوضى التي سادت البيت الحفصي من أجل الحكم، وجاء في كتاب ابن القنفد بخصوص هذه المسألة ما يلي: "بويع بالحضرة العلية يوم وفاة المرحوم والده على رضا من النّاس، ورتّب الأحوال، وأعطى الأموال، وألّف بين اخوته، واتعض بهم في السعيدة دولته، وأخذ بالحزم في إمارته، واحتاط من عمه الأمير أبي يحي في اقتراب فرصته، وتفرّغ -بحول الله- الأمير إليه وتوكل على الله واعتمد عليه، وأكرم من كان مكرما عند والده أمير المؤمنين، وأعزّ بخدمته القديمة أبا عبد الله محمد بن عبد العزيز شيخ الموحدّين، ورعى بحسن عهده من سبق لخدمته في زمرة الأولين"[2]

وهكذا بدأ وضع تنظيماته للدولة، حيث قام بتعيين علماء على خطط هامة، كخطة علامته، وخطة الإنشاء، وخطة الجباية وغيرها من الخطط الهامة، ثم اهتم بمحاربة العرب الذين هاجموا قسنطينة وخربوا ما فيها (سنة 797هـ/1394م)، وقضى عليهم كلية، ففر الأمير أبي عبد الله بنفسه، ثم دخل بونة وأمّن أهلها، وهكذا صارت قسنطينة تحت حكمه، وتمت له البيعة عليها وصار يذكر اسمه في الخصبة[3].

---

(1) صالح أبو دياك، المواكب السلطانية ورسوم الإعلام في الدولة الحفصية، مجلة الدارة، العدد الأول، السنة الثانية عشر، يونيو 1986، الرياض، ص، 175.

(2) ابن القنفذ، المصدر السابق، ص 189.

(3) نفسه، ص 191.

وتوالت خدمات هذا الأمير على رعيته[1]، فبنى لقسنطينة قصورا، ومبان، واهتم بالزراعة والصناعة، فعمّ الرخاء والاستقرار.

يصف ابن القنفد الحالة التي سادت أفريقية في فترة حكمه إذ يقول:" وبرّأ الله أمير المؤمنين من ذلك، تبرئة من هذه المسالك، لأن أمير المؤمنين-أيّده الله- بنى دولته السعيدة على مركز الحق، ورفع المظالم عن الخلق، وبذل المال الكثير للضعفاء، والواردين عليه من الشرفاء، وإزالة المنكرات، والأخذ مع ذوي الحاجات، والتفقد للأمور، والقرب من الخاصة والجمهور[2].

وبموته عادت أفريقية من جديد لحلبة الصراع حول السلطة التي كان من عواقبها سقوط الدولة وانهيارها، وزاد الوباء الذي أصابها من تخريب الأوضاع وهلاك أهلها. وتأتي المرحلة الرابعة: وتبدأ من أبي عبد الله محمد الرابع (المنتصر) (837هـ/1433م)، إلى محمد بن الحسين الحفصي (981هـ/1573م) ، وكلها فترات من الصراع والحروب الداخلية، وتزايد تكالب القبائل العربية على الحكم [3] وخاصة بني سليم.

وهكذا وبعدما تعرضنا لمفهوم الحكم عند الحفصيين ومراحل تطوره، خلال الفترات التي تأسست ونمت ونضجت فيها الإمارة الحفصية والتي أشارنا إليها، سنحاول فيما يأتي دراسة تقديم الألقاب الأساسية التي تلقب بها أمراء الدولة منذ تأسيسها سنة (634هـ/1237م)،

---

(1) من البنايات التي أقامها هذا الأمير، إنشاء جملة من القلاع والمعاقل لحراسة الثغور كمحرس رأس أدار والحمامات ورفراف. كما قام بجمع الكتب الثمينة وإقامة خزائن بشمال جامع الزيتونة خدمة للعلم والطلاب، كما شيّد مرستان بالحاضرة للمرضى والضعفاء والعجزّة، وجلب المياه لها، وأحدث سقايا لأغراض مختلفة، وازدهر عصره بوجود علماء أفاضل مثل الشيخ محمد بن عمر الأبي، شارح المدونة، والقاضي عيسى الغبريني والمفتي أبي القاسم البرزلي، والمدرس محمد القلشاني، والعلامة عبد الرحمان بن خلدون، حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 144-145.

(2) ابن قنفد، المصدر السابق، ص195.

(3) ابن قنفد، المصدر السابق، ص199.

فالإضافة "أمير"[1] الذي عوّض اللقب الموحدي القديم خلال ثلاثة أجيال والمتمثل في لقب "الشيخ "، فلقبوا بالألقاب الأخرى التي صاحبات هذا اللقب الأساسي، مثل،السلطان، والخليفة، وأمير المؤمنين، ومنذ المستنصر بالله، وباستثناء أخيه أبي إسحاق الذي انفصل بإمارة قسنطينة، لم يكفّوا عن اعتبار أنفسهم خلفاء وادّعاء تلك الصفحة[2].

الإمـــــام:

اقترنت هذه الكلمة " الإمام" بالخصوص بلقب " الخليفة" واستعملت لتعيين الرئيس الديني الأعلى للأمة الإسلامية، وهذا اللقب نجده مطبقا أيضا عند الدولة الحفصية، ولكن في حالات نادرة؛ لأن لقب " الإمام" خصّ به المهدي الداعي الأول للخلافة الموحدية، ولهذا نجد أن السلاطين يقتصرون فقط في نعت أنفسهم باسم "أمراء المؤمنين" ونقشها على نقودهم ولكن لا يطلقون على أنفسهم بصريح العبارة، لقب "الإمام" أو "الخليفة".

ولقب "الإمام" كما هو معروف مرتبط بمبدأ الشرعية التي يمثلها شخص الخليفة[3] وهكذا نلاحظ أن الحفصيين قد تسموا بالألقاب المختلفة إلى جانب اللقب التقليدي المعروف عندهم وهو "الأمير"؛ من ذلك نجد مثلا كيف سمّ به أبو محمد عبد الواحد

---

(1) الإمارة: إن مصطلح "الإمارة" أو "الأمير" قد وجد في الواقع السياسي للدولة الإسلامية الأولى أي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد كان للدولة على عهده جيوش لها أمراء، وولايات لها أمراء، ووظائف خراجية يتولاها أمراء كذلك، وقد ذكر ابن خلدون أن المشركين (الجاهلية) يلقبون الرسول صلى الله عليه وسلم "بأمير مكة وأمير الحجاز".

أما بالنسبة إلى الفترة ما بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ظل هذا المصطلح يطلق على الدولة في نطاق الولايات الفرعية، كالولاة، وقادة الجيش والبعوث حتى آخر عهد أبي بكر الصديق وأوائل عهد عمر بن الخطاب (40هـ، 23هـ، 584م-644م) موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، محمد عمارة، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1986،مج 2، ص298-299.

(2) روبار برنشفك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي من القرن الثالث عشر الميلادي، إلى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، نقله إلى العربية حمّادي السّاحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ج2 ، ص7- 8..

(3) نفسه، ص8.

(625هـ/1298م)، مثلا:" الأمير أبي زكريا ابن الملك أبي محمد عبد الواحد..."[1].ويشير ابن خلدون إلى أن هذا اللقب أطلق على جل أمراء بني حفص دون تمييز، وبصورة تلقائية، عكس ما لاحظناه في دولة بني زيان حيث لم يحدّد بالضبط اللقب الذي تسمّى به ايغمراسن بن زيان، وفي بعض الأحيان يتجنب تلقيبه بأي لقب كان[2].

كما أكدّ ابن القنفد مؤرخ هذه الدولة، أن لقب "الأمير" قد أطلق على أغلب أمراء الدولة منذ ظهورها سنة 634هـ/1237م)، بدءا بأبي زكريا حتى فترة الأمير أبي إسحاق (751هـ-1350م)، ثم عاد هذا اللقب من جديد بعد وفاة أمير المؤمنين المتوكل على الله، عام (837هـ/1493م) حتى آخر أميرهم محمد بن الحسن الحفصي (981هـ/1573م)[3].

وقد أكد هذه الظاهرة أيضا الوزير السراج، الذي أرّخ لدول المغرب الإسلامي، وابن مرزوق وغيرهم، واستخدم هذا اللقب في المراسلات الرسمية والنقود.

وهنا يختلف بني حفص عن بني عبد الواد في مفهوم هذا اللقب ذلك أن بني عبد الواد قد شاع عندهم استعمال لقب الملك عوض لقب "الأمير" وتسموا مباشرة "بأمير المسلمين".

الخليفة:

لقد تداول لقب "الخليفة"[4] عند سلاطين الدولة الحفصية، باعتبارهم الورثة الطبيعيين والمحتومين للخلفاء الموحدين، بالرغم من أن الحفصيين قد تخلوا شيئا فشيئا عن المذهب الديني الموحدي وعن تعاليم المهدي.

---

(1) ابن القنفذ، المصدر السابق، ص 107.

(2) ابن خلدون، المصدر السابق، مج، 6، ص 892، 912.

(3) ابن القنفذ، المصدر السابق، ص 107، 188، ابن الخطيب، المصدر السابق، ص144.

(4) ابن القنفذ، المصدر السابق، ص 188.

ولقب "الخليفة" كان أكثر استخداما عندهم حسب ما ذكره ابن القنفد قائلا: " ابن القنفد:" واستخلص الخليفة بعد استقراره بالحضرة جميع البلاد كلّها إلى طرابلس وبسكرة فكانتا تحت طاعته بنظر شيخهما"[1]. ويقول أيضا "وتحرك الخليفة إلى التراب سنة ست وثمانين وسبعمائة، ثم توجه منه إلى قسنطينة..."[2].

كما تسمّوا كذلك "بالموحدين" وتمسكوا بهذه التسمية تمسكا شديدا، حيث أطلق عليهم بصورة تكاد تكون دائمة "اسم الموحدين"، ومنهم ابن خلدون، والجدير بالذكر فإن هذه التسمية وجددت ببعض الاتفاقيات الدبلوماسية المبرمة بينهم وبين النصارى[3].

كما كانت كلمة " التوحيد" تستعمل وتطبق على سلطتهم السياسية، بالإضافة إلى لقب " زعيم الموحدين" أو "قدوة الموحدين" الذي وصف به السلطان الحفصي كتسمية رسمية وتبنتها الخلافة الإسلامية في مصر ودوائرها المملوكة المرتبة والتي أقرها بطريقتها الخاصة[4].

واعتمدت سلطة الخليفة[5] الحفصية على بعض الأنصار الذين عملوا على ربط نسب أبي حفص الذي أعطى اسمه للأسرة إلى الخليفة "الراشد" عمر بن الخطاب الحامل لنفس الاسم أبي حفص، لكي تصبح سلطة الأمير المغربي ثابتة وشرعية، وانطلاقا من هذا فقد سميت عائلتهم

---

(1)نفسه، ص188.

(2) نفسه، ص188.

(3) روبابرنشفك، المرجع السابق، ص8.

(4) نفسه، ص8.

(5) الخليفة، لقب تسمى به حكام الدولة الإسلامية، بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا يسمى أحد خليفة الله إلا آدم عليه السلام وداود عليه السلام، فقوله تعالى(يا داود أنا جعلناك خليفة في الأرض)، ومن ثمة خوطب أبو بكر بخليفة رسول الله عليه الصلاة والسلام. وعرف الخليفة بأنه يعدل بين الرعية ويقسم بينهم بالسوية، ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله، والوالد على ولده ويقضي بينهم بكتاب الله تعالى، القلشندي صبح الأعشى، ص169.

التي دفعتهم إلى التأكيد على مزاعمهم، وتتمثل في اعتراف شريف مكة وأمراء الحجاز بسلطتهم العليا بسبب انهيار الخلافة العباسية على يد التتار[1].

ولقد أوضح الكاتب السوري المصري ابن فضل الله في كتاب"التعريف" الذ ي ألفه في النصف من القرن الرابع عشر، أن ملك تونس عصرئذ وهو أبو يحيى أبو بكر، قد أطلق على نفسه اسم خليفة مع بعض الألقاب الخليفية، وذلك في بلده" ثم أشار إلى أنه من المناسب أن تطلق عليه في المراسلات ألقاب أقل منها قيمة مثل "أمير المسلمين" أو "السلطان"[2].

بل إن الدوائر الدبلوماسية المصرية، بالاتفاق مع جميع الكتاب الشرقيين، كانت تطلق عادة في سجلاتها على الملك الجالس على عرش تونس اسم صاحب تونس أو إفريقية، إلا أن سلاطين بني حفص في أواخر القرن الرابع عشر وخلال القرن الخامس عشر، ظنوا أنهم بلغوا من الهيبة ما يسمح لهم باستعمال ألقاب الخليفة في الرسائل الموجهة إلى الخلافة المصرية وبالخصوص لقب "أمير المؤمنين" وقد لاحظ القلقشندي أن ذلك الاستعمال كان مقبولا[3].

أما في المغرب الإسلامي، فإن اعتراف الدول الثلاث الأخرى، المرينية والزيانية والناصرية المنبثقة عن تفكك الدولة الموحدية، بالخلافة الحفصية، فقد كان نتيجة طبيعية لتبعية تلك الدول لحاكم تونس، وكانت في بعض الأحيان تسقط هذه الدول الدعاء للحفصيين على منابر مساجدها وفي خطبتها وسكتها، وقد أشار ابن خلدون إلى هذا فيقول....."

بالإضافة لهذين اللقبين، تسمّى بنو حفص كذلك بلقب "أمير المؤمنين"وكان هذا ابتداء من المستنصر بالله الذي بايعه أمراء مكة والحجاز في آخر سنة (650هـ/1251م). وتلقب كذلك الفضل ابن أبي يحي أبي بكر، بلقب أمير المؤمنين (750هـ/1451م)، وأبو العباس

---

[1] روبار نشفك، المرجع السابق، ص10-11.

[2] نفسه، ص10-11.

[3] القلقشندي، مآثر الأنافة...،المصدر السابق، ص28.

بالإضافة لهذين اللقبين، تسمّى بنو حفص كذلك بلقب "أمير المؤمنين"وكان هذا ابتداء من المستنصر بالله الذي بايعه أمراء مكة والحجاز في آخر سنة (650هـ/1251م). وتلقب كذلك الفضل ابن أبي يحي أبي بكر، بلقب أمير المؤمنين (750هـ/1451م)، وأبو العباس أحمد بن الأمير أبي عبد الله، حيث يقول ابن القنفد:" وقوم أمير المؤمنين ما تحوّل، وسكّن ما تزلزل، وبحث عن الأحوال المؤدية... وأمن الطرق والبلاد وأقام شكلا جميلا..."[1].

ولقد حرص سلاطين تونس على اثبات الخلافة على كل ما تضمنته من ألقاب في المعاهدات المبرمة مع الدول المسيحية مثل لقب "Miralnolin" أو " Miralmomenien" المقتبسة عن "أمير المؤمنين" الموجودة في الوثائق الأوروبية الأصلية أو المترجمة عن العربية لتعيين السلطان الحفصى. ولكن من الناحية العملية لم يكن الأجانب من غير المسلمين يعتبرون عاهل أفريقية خليفة بل كانوا يسمونه عادة "الملك". وقد استخدمت عبارة "ملك تونس" بكثرة "Rextunisi" في مختلف النصوص المسيحية المتعلقة به، بل نجدها في عدد من الوثائق الدبلوماسية المرسلة إليه أو المتحصلة على موافقته[2].

كما أطلقت عبارة "السلطان" على"صاحب تونس"، ولكن الحفصيون لم يكونوا متعلقين كثيرا بهذا اللقب الذي أسند إلى المستنصر في المعاهدة المبرمة مع البندقية سنة 1251م، ولعل ما زاد هذا أن لقب السلطان كان أقل قيمة عندهم من الألقاب الخليفية ورغبتهم في الخلافة[3].

نزيد على هذه الألقاب التي اتخذها حكام الدولة الحفصية، لقبا آخر ظهر في السنوات الأخيرة من العصر الوسيط، وهو "مولاي" وخصّ هذه التسمية للإشارة إلى السلطان وأقربائه وبعض كبار رجال دولته وبلاطه، وكانت قليلة الاستعمال في الوثائق الرسمية للدولة، فقط هناك إشارة بسيطة إلى إن "فيلالي" قد استعملها قبل منتصف القرن الرابع عشر للإشارة إلى

---

(1) روباربرونشفك، المرجع السابق، ص 12، 13.

(2) روباربرونشفك، المرجع السابق، ص 12، 13.

(3) نفسه، ص 13.

السلطان أبي بكر، وكذلك في سنة 1391م وفي وثيقة لاتينية متعلقة بافتداء الأسرى، إثر الحملة العسكرية المسيحية ضد المهدية التي قادها الملك الفرنسي لويس التاسع، وغيرها من المعاهدات اللاتينية والإيطالية التي أبرها التونسيون مع النصارى، كالمعاهدة التي أبرمت مع بيزة سنة 1403م[1].

ويبدو أن عبارة "مولاي" [2] كانت رائجة في وسط التونسيين في أواخر القرن الرابع عشر وخلال القرن الخامس عشر، التي انتقل رواجها إلى المشرق الإسلامي، حتى صارت ملتصقة التصاق كليا ومتواصلا باسم السلطان حسن، مثلما هو الشأن بالنسبة إلى سلاطين المغرب الأقصى في العصر الحديث.

ومن بين النعوت والألقاب التي استعملها الحفصيون في الوثائق الرسمية اسم خاص بالحاكم، وهو "المجاهد" الذي ورثه أمراء بني حفص عن مؤسس دولتهم، وقد تمسكوا به تمسكا شديدا.

وأشار ابن القنفد إلى هذا اللقب المحبب لديهم إذ يقول: " وحرك لانتشار كلمتها الملك أبا محمد عبد الواحد بن الشيخ المقدس المجاهد أبي حفص فنشر ذكرها..."[3].

نضيف إلى هذه الألقاب والنعوت عبارات الاحترام التي تسبق اسم السلطان الحفصي أو لقبه المعروف به، ومن أشهر تلك العبارات "المقام العالي" و"الجناب الكريم" أو "العالي"[4]

أما بالنسبة إلى سلسلة النسب التي حملتها السكة بعد أن صار للدولة الحفصية عملة رسمية تتعامل بها في الأسواق جنبا إلى جنب مع الدينار الموحدي[5]، وذكرت هذه الكتابات

---

(1) نفسه، ص 16.

(2) ابن خلدون، المصدر السابق، مج.6، ص.

(3) ابن القنفد، المصدر السابق، ص 108.

(4) روبارونشفك، المرجع السابق، ص 17، .Dhina .A. Opcit , pp, 82, 83.

(5) ظلّ الحفصيون أوفياء للتقاليد الموحدية بخصوص الموازين والنقود أكثر من خطبة الجمعة، كالدنانير الذهبية الدائرية الشكل والدراهم الفضية المربعة الشكل التي لم تكن تحمل أية إشارة للتاريخ، فتتضمن فقط

أسماء أسلاف السلطان الجالس على العرش، واسم الجدّ الأول، وهذه العبارة "ابن الأمراء الراشدين" كانت إجبارية في بداية الدولة ثم أصبحت تقليدية.

وأكد ابن القنفد على استخدام هذا اللقب فيقول:" ....الأمير يحيى أبي بكر السلطان الجليل الخليفة أمير المؤمنين أبي يحيى أبي بكر ابن الأمراء الراشدين ملك أفريقية..."[1]

واتخذ أمراء بني حفص بعد لقب"أمير المؤمنين"، ألقابا أخرى، كالمتوكل على الله، والمستنصر بالله، والمعتمد، وأبي عصيدة، والواثق.

وأخيرا إلى جانب هذه الألقاب التي كانت نجد البعض منها ينتهي بلفظ "الله"، وتسمى بالألقاب المركبة، واختص الخلفاء منذ عهد بعيد بالتقاليد التشريفية منذ عهد بعيد تخصّ بها الخلفاء، وما تميز به سلاطين بني حفص فيما يخص الألقاب أنهم لم يكثروا منها فاكتفوا ببعضها فقط، مثل لقب المستنصر بالله" ثم لقب "المتوكل على الله" الذي انتشر انتشارا كبيرا خلال القرن الرابع عشر وبالخصوص القرن الخامس عشر[2] ومن الألقاب الأقل استعمالا، نذكر الواثق، والقائم، والمعتمد، والناصر، والمنتصر.

أما بالنسبة إلى أمراء بني حفص المنشقين في القسم الغربي من المملكة، لم يتسمّوا بالألقاب الخلافية، فمثلا تلقب "الأمير أبي زكريا بن أبي إسحاق بلقب" المنتخب لإحياء دين الله" وهذا اللقب الوحيد من بين الألقاب الحفصية الذي لم يكن معروفا من قبل.

نضيف إلى هذا أنه رغم التطورات التي عرفتها نظم الدولة في مجال الألقاب العامة والمركبة فقد أبقت الدولة الحفصية على لقب "الأمير" وكانت تشبه الألقاب التي استخدمها

اسم ومكان الضرب، العاصمة أو المدينة الإقليمية، وكذلك السلطان وألقابه، والنقود الحفصية قليلا ما اشتملت على الآيات القرآنية، روبار بروشفك، المرجع السابق، ص ص 21-22.

(1) ابن القنفد، المصدر السابق، ص108.

(2) روباربرونشفك، المرجع السابق، ج 2، ص 14.

كل من الفاطميين، والعباسيين والموحدين[1]، كالمستنصر بالله، والمتوكل على الله، والمعتمد بالله، إذ خصّبنو حفص –فقط– بها.

هذا التقليد يدّل على مدى ارتباط أهل المغرب بأهل المشرق، والخلافة الإسلامية ما هي إلا رباط روحي بين المسلمين.

كما أراد الحفصيون كذلك جعل خلافتهم خلافة إسلامية تحل محل الخلافة العباسية، ولكن هذا لم يتحقق بعد عودة الخلافة العباسية بمصر على يد المماليك، إلا أن العلاقة بين الخلافتين، "الأولى بالمغرب والثانية بمصر"استمرت قائمة بينهما وحميمة كذلك، تميزت بتبادل الهدايا، وأخبار سياسة هامة.

ونستخلص من كل ذلك أن الدولة الحفصية لم يكن لها نظام معين في ترتيب الألقاب.

إذن فمفهوم الخلافة بالنسبة إلى الحفصيين كان رئاسة العالم الإسلامي منذ عهد الموحدين، حيث تلقب به أمراء هذه الدولة لا سيما بعد سقوط الخلافة الإسلامية في المشرق كما سبق وأن أشرنا قبل قليل[2].

وبعدما أصبح الحكم ببيت آل زكريا، استمر تعيين الأمراء بالأسلوب نفسه، من الأب إلى الإبن، ولكن جديد الدولة الحفصية هو عودة اللقب الخلافي من جديد ببلاد المغرب الإسلامي بعد تولي أبو عبد الله محمد الذي تسمّ بلقب"أمير المؤمنين"[3] والمستنصر بالله حكم الدولة، فإن هذا اللقب الخلافي قد عاد من جديد ببلاد المغرب الإسلامي.

وتذكر المصادر العربية أن هذا اللقب "أمير المؤمنين" كان لقبا تشريفيا أكثر منه سياسيا، فالخلافة الإسلامية ظلت منقطعة ثلاث سنوات ونصفا أي من سنة (656هـ إلى 659هـ/1257م-1260م)، إلى أن جددت الخلافة العباسية في القاهرة على يد السلطان

---

(3) Dhina, A, Opcit , PP 82-83.

(1) روباربرونشفك، المرجع السابق، ص 12، 13.

(2) محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص 192.

المملوكي بيبرس البند قداري [1] ، إلا أن الخلفاء الحفصيين ظلوا محتفظين باللقبين "الأمير"، "وأمير المؤمنين"، فالأمير أبي فارس اتخذ هو الآخر لقب الخلافة وتلقب بالمتوكل بالله سنة (747هـ-1346م)، ونظم دولته معتمدا على مشيخة الموحدين، وأعاد وحدة الدولة بعدما استرجع زمامها من أيدي اخوته وأولادهم، وصار من ألمع سلاطين بني حفص في الطور الثاني، كما قام بتعيين اخوته في مناصب أميرية تكملة لعمل أبيه، وقرّب الكثير منهم إلى مجلسه لإشراكهم في أمور الدولة. ويستخلص من كل ذلك أن دولة بني حفص لم يكن لها نظام معين في ترتيب الألقاب، لكن هذا لم يمنع من وجود نظام خاص بالبيعة بعدما انتهينا من دراسة الألقاب،يجب علينا أن نتحدث عن موضوع البيعة في هذه الدولة الحفصية، وماذا تعني البيعة بالنسبة إليهم وما الشكل الذي ظهرت به في هذه الدولة؟

ب-البيعة وشارات الملك:

خلال فترة حكم أبي زكريا عهد الولاية العهد إلى ابنه أبي يحيى زكريا [2] عام 638هـ/1243م الذي وفته المنية في حياة أبيه (646هـ/1267م)، وكان ولي العهد هذا أصغر اخوته، إلا أن الأمير أبي زكريا فضله على أبنائه الآخرين، غير أنه مات، فعين مكانه أخوه محمد سنة (646هـ/1267م)، وانطلاقا من هذا التاريخ أصبح النظام الحفصي وراثي سلاليا في أبنائه مخالفا بذلك فلسفة محمد بن تومرت في اختيار الخليفة الكفء لتسيير وتنظيم الدولة، رغم أن الدولة الحفصية ما هي إلا امتداد للدولة المؤمنية التي استمدت قوتها السياسية من مشيخة الموحدين قوتها السياسية للاحتفاظ بكيان سلطتها طيلة فترة وجودها، ورغم وجود هذه الهيئة الهامة في الدولة الجديدة أي الحفصية، إلا أن الأمير كان يتمتع بسلطة مطلقة في اختيار خليفته، حتى ولو لم يكن أهل الجماعة موافقين على هذا الإختيار، إلا أنه كان دائما يتمكن من إقناع هؤلاء باختياره، وكان مبدأ الشورى -الذي تمثله الجماعة- في أغلب الأحيان

---

(1) ابن القنفد، المرجع السابق، ص189.

(2) ابن القنفذ، المصدر السابق، ص 109-159.

كان يرتكز على اختيار الأمير لخليفته من بعد، دون تحديد أي شروط مما تسبب فيما بعد في نشوب صراعات حول العرش أدت إلى سقوط الدولة الحفصية.

واعتمد الحفصيون في تعيين أولياء العهد على شيوخ الموحدين، وكانت بيعتهم للخليفة الجديد، تتم بنفس الطريقة التي وجدت عند بني مرين، وبني زيان، فطريقة مبايعة أبي زكريا كانت على الشكل التالي:" وفي عام أربعة وثلاثين وستمائة ذكر اسمه في الخطبة، وبويع البيعة الثانية التامة التي لم يختلف فيها أحد من الناس و لم يتسّم بأمير المؤمنين..."[1]

أما عن بيعة الأمير أبي عبد الله محمد المستنصر فيذكر ابن القنفد أنه:" بويع أولا على بونة ثم بويع بعد وصوله من بونة إلى الحضرة وذلك في يوم الثلاثاء الثالث لرجب سنة سبعة وأربعين وستمائة..."[2].

ويشير كذلك في موضع آخر من كتابه في حديثه عن البيعة قائلا:" وفي هذه السنة وصلت بيعة أهل مكة للمستنصر على يد الشيخ أبي محمد عبد الحق بن سبعين، وكان الواصل بها المحدث الراوية أبو محمد بن برطلة الأزدي الإشبيلي، وكان في ذلك هناء كبير"[3].

وجاء كذلك في رقم الحلل حول طريقة البيعة مايلي:"... ولما توفي المستنصر بويع لولده يحيى الملقب بالواثق..."[4]

وتابع أمراء بني حفص هذه الطريقة في المبايعة حتى في عهد خلفاءها كالمتوكل على الله ابن أمير المؤمنين، وأبي فارس الذي تمت مبايعته كالتالي:" بويع بالحضرة العلية يوم وفاة المرحوم والده على رضا من الناس ورتب الأحوال وأعطى الأموال، وألف بين اخوته..."[5].

---

[1] ابن القنفذ، المصدر السابق، ص109.

[2] ابن القنفد، المصدر السابق، ص177 .

[3] نفسه، ص 120، حسن حسنى عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 1-23.

[4] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص62.

[5] ابن القنفد، المصدر السابق، ص189، الوزير السراج، المصدر السابق، ص 185.

ومن خلال هذه النصوص يتضح لنا أن البيعة بالدولة الحفصية كانت تتم على مرحلتين، المرحلة الأولى، البيعة الخاصة وتتم بين مجلس العشرة والخمسين، وأهل البيت الحفصي والأعيان والقادة...، وفي بعض الأحيان أو الحالات بيعة الناس والبيعة العامة للأمير أبي يحي زكرياء مثل ما حدث في عهد المتوكل. وبيعة العامة كانت تتبع مباشرة وبدون صعوبة بالبيعة الخاصة، ولإتمام هذه البيعة يتم تحضير موكبين أثنين، الأوّل لتلقي البيعة الخاصة من كبار رجال الدولة ورؤساء الشعائر الدينية والمقربين، والثاني لتلقي البيعة العامة وهو مفتوح في وجه عامة الرعية، وبيعتهم هذه لم تكن معتبرة " تامّة" إلاّ إذا كانت بيعة "الخاصة" متبوعة ببيعة "العامة" هذا النظام المزدوج أو الهجين، الديمقراطي في الظاهر أكثر مما هو في الواقع وطدّ سلطة رئيس الدولة الجديد بواسطة اختيار، أو بالأحرى، موافقة الشعب[1].

والبيعة عند الحفصيين كانت تتم بمقتضى وثيقة مكتوبة تحرّر في المدن الأخرى غير العاصمة، أو من طرف السلطات السياسية البعيدة عن مقر إقامة السلطان (كرؤساء القبائل والولاة) [2].

بالإضافة إلى هذه الشارات التي أوجدها الحفصيون لتأكيد سلطانهم، اعتمد كذلك على الخطبة، وبالخصوص خطبة الجمعة التي يذكر فيها اسم ولي العهد واعتراف الرأي العام به. ولأنّ الخطبة وسيلة إعلامية تبرز قوة الدولة ووجودها، قد استخدمها الحفصيون لإسقاط اسم خليفة المؤمنين والدّعاء لحاكم إفريقية الجديد والمهدي وكذلك لإقرار سلطة الحاكم على جميع المدن الخاضعة لسلطانه.

على العموم الخطبة الحفصية، احتفظت في محتواها بكثير من العناصر، كتلاوة الخطيب لسورة "ق"، وفقا للسنة النبوية التي أحياها الخليفة الموحدي المنصور، زيادة على السكة التي حملت ايديولوجية دولتهم، حيث حافظ بنو حفص على اسم المهدي الذي كان متبوعا

---

[1] روبارزشفك، المرجع السابق، ص18.

[2] نفسه، ص20.

بعبارات المدح مثل عبارة " المهدي إمام الأمة، المضروبة على بعض نقود أبي زكريـــاء الأول، وعبارة "المهدي خليفة الله" التي تتبع كذلك عبارات التأكيد على الثقة بالله مثل "أمنت بـــالله" أو الحمد لله، وعبارات "الشكر لله" و"الحول والقوة بالله"[1].

وإذا تفحصنا النصوص السابقة، فإنها لا تعطي تفاصيل دقيقة حول هذه المسألة من ذلك مثلا بالاختيار أو ينقص هذه المعلومات وكيف كانت تتم هذه البيعة؟ هل بتقبيـــل اليـــد أو المصافحة؟ كل هذه العلامات استعملت في الدولتين المرينية والزيانية بالمغرب الإسلامي.

كما أننا لا نعلم فيما إذا كانت تتم هذه المبايعة تتم عن طريق نص أو عهـــد يصـــدره الأمير لولي عهده؟ وما هي شروط إجراؤها وكذا الصفات التي يجب توفرها لتأكيد مصـــداقية هذه البيعة في نظم الحكم؟ .

وهكذا يمكن القول أن للسلطة الحفصية الأولى قامت في أول الأمر على الشخصـــيتين المذكورتين سابقا، وبدأت بهما الصورة الأولى لهذه الأسرة الهنتاتية و لم تقم على العصبية القبلية بل على الكفاءة والثقة وقوة الأشخاص.

وكانت سلطة الأمير الحفصي مستمدة من مشـــيخة الموحـــدين (المجلســـين العشـــرة والخمسين)حيث دعمت وجوده، زيادة على أن ما قام به الأمير ما هو إلا تنفيذا لمـــا وضـــعته الدولة الموحدية لمراكش[2].

أما الشكل الثاني للسلطة السياسية فيتمثل في شخصية الأمير ابن زكريا الذي جعل من دولته تتمة لدولة الموحدين. وحول هذا إشارة ذكرها ابن القنفد قائلا:" ثم استقرت الإمامة في عقد ولده أبي إسحاق، وانصرفت عن سائر عقبه، ومن الله-سبحانه-نسأل دوامها فيهم." [3].

---

[1] نفسه، ص 22.

[2] حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 15، 23.

[3] ابن القنفد، المصدر السابق، ص114.

وهذا ما يؤكد أن السلطة صارت محصورة في بيت آل زكريا مثلما كانت في أبناء الدولة المؤمنة التي انتهت بيد المرينيين. وكان زعيم الإمامة في دولة بني حفص كان عسكريا أكثر منه دينيا بمعنى أن الدولة لم تطبع بالطابع الديني منذ نشأتها عكس الدولة الموحدية التي قادها منذ بدايتها القائد الروحي محمد بن تومرت، قبل انتقال سلطة الموحدين إلى عبد المؤمن بن علي الذي أعطى كذلك لدولته الطابع الدنيوي أكثر من الديني. ومنذ عهد أبي زكريا أصبحت الدولة الحفصية دولة ملكية إسلامية مستقلة[1].

إنّ سيطرة الفقهاء في الدولة لم تكن بارزة، فمشيختهم حقا تكونت من فقهاء وشيوخ عرفوا بالحكمة والسياسة و لم يجعلوا من الدين الدافع الحقيقي لهذه الدولة، رغم أن هدفها كان قيادة ديار الإسلام في المغرب والمشرق.ولو أن هذا تحقق في عهد المستنصر بالله لأن الخلافة الإسلامية في هذه الفترة فقدت الكثير من أسسها الهامة التي يجب أن تتحلى بها أية شخصية إسلامية بقيادة العالم الإسلامي وإخراجه من محنه والدفاع عن رعيته التي تكالب عليها العجم.

زيادة على أن الدافع السياسي لهذه الدولة ربما هو الذي دفع بهؤلاء الأمراء التفكير في انتسابهم إلى شخصيات دينية أحبها الناس حبا جما، فوجد الحفصيون في عمر بن الخطاب رضي الله عنه النسب الشريف، فتسموا "بالأمراء الراشدين" وكذلك أطلق بعض المؤرخين على دولتهم العمرية مثل ابن القنفد حيث يقول:" ومن الله بالدولة الحفصية العمرية، فأنار بها الآفاق الإفريقية..."[2]. وهذه السياسة المتبعة من طرف دول المغرب الإسلامي، دفعت بكثير من القبائل البربرية كل مرة إلى دعم الدول التي ظهرت ببلاد المغرب (من فاطمية إلى مرابطية إلى موحدية وما نتج عن هذه الأخيرة من دول كالمرينية، والزيانية والحفصية).

---

[1] روبار برنشفك، المرجع السابق، ص7.

[2] روبار برنشفك، المرجع السابق، ص108.

واستطاع بالفعل هؤلاء الأمراء تحقيق آمالهم وأهدافهم وخططهم، وبلغوا مبلغ الخليفة، ومنهم أبي زكرياء يحيى الواثق الذي يقول عنه ابن القنفد لقد:" بويع في الليلة التي توفي فيها والده، وهو ابن ثمانية وعشرين عاما فأصبح خليفة وبايعه من بقي من صبيحة تلك الليلة" [1].

وخلاصة القول أنّ مفهوم الحكم عند دولة الحفصيين لم يكن يختلف عن الدولتين المعاصرتين لها، أي الزيانية والمرينية، حتى أن بدايتهم تتشابه ومؤسساتهم واحدة، خدمت أهداف وأغراض الأسرة الحاكمة، التي جعلت من حكمها حكما وراثيا يتوارثه الأبناء أو الاخوة حسب الظروف التي تعيشها الدولة.

أما عن ولاية العهد فلا نعرف الكيفية التي تمت بها في الدولة الحفصية، غير أن عطاء الله دهينة يقول أنه منذ عهد أبي زكرياء يحيى الأول (626هـ/1228م)-(647هـ-1249م).صارت ولاية العهد تتم بعقد موقع فيه أعيان الدولة لكي يصبح شرعيا[2].

وهكذا ظل البيت الحفصي على هذا الحال حتى سقوطه رغم المحاولات التي قام بها أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله بن يحي لبعث الدولة 772هـ-796هـ/1370-1393م) بعدما انقسمت إلى إمارات يتولى كل أمير حفصي إمارة وهذه الإمارات كانت تسودها فترات من السلم والحرب، وهي تونس وبجاية وقسنطينة وبونة، وعرفت هذه الإمارات بالبلاد الشرقية، أما الأقسام الموجودة على جنوب أفريقية المسماة ببلاد الجريد والتي كانت تضّم قابس، والحامة إلى بسكرة ومسيلة الزاب تمتعت هي الأخرى بالنظام الأميري[3].وبعد ذلك حدث بها تقهقر في مسيرتها السياسية فانتقلت من نظام خلافة إلى نظام أميري الإمارة السلطاوية وفي ذلك ويقول العبدري الرحالة الذي زار البلاد التونسية سنة 1284م:"إن سلطان الأمير الحفصي لم يتعد تونس وما حولها، أما الباقي فقد تقاسمه العرب والنصارى"[4].

---

(1) روبار برنشفك، المرجع السابق، ص134.

(2) Dhina (A), Opcit, p 90.

(3) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص235.

(4) ابن أبي دينار، المصدر السابق، حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 248.

شارات الملك عند الحفصيين:

لم تختلف شارات الدولة الحفصية عن سائر شارات الدول الخلافية الأخرى التي عرفها المغرب الإسلامي، فشعار "الملك" عندهم كان العلم المسمى "بالمنصور"[1]، وهو لواء أبيض ويسمى أحيانا بالعلم الأبيض، ويحمل هذا الأخير في المواكب الرسمية، مع مجموع الأعلام التي كانت تمثل القبائل التي تسير مع الخليفة ولكل قبيلة علم ولون خاص بها[2].

كما تميزت دولة بني حفص ببعض الدلالات الملوكية، مثل التاج الذي كان يضعه الأمير على رأسه تشبها بملوك الفرنجة، زيادة على العمامة وارتداء الملابس النادرة، وقد تكلف هؤلاء الأمراء الحفصيون في التأنق باللباس عكس الدولة الموحدية والمرابطية والمرينية وبني الأحمر، فمثلا نوع اللباس الذي كان يرتديه الأمير الحفصي مصنوع من الخزدات ذات اللون الأخضر القريب من السواد، ويسمى في بلاط مصر والشام بوبر السمك، وبالمغرب الإسلامي الجوزي، والغيار، والنفطي[3]، بالإضافة إلى الثياب الصوفية ذات الألوان الجميلة، وقد تصنع من خيوط الصوف والحرير[4].

أما بالنسبة إلى العمامة التي يوضع فوقها التاج، وتصنع من الكتان والحرير إلى جانب الصوف، وهي عنصر من عناصر الزينة، يرتديها الأمير دون سواه، إذ جعل من طرف العمامة

---

[1] روبار برنشفك، المرجع السابق، ص22.

[2] صالح أبو دياك، مجلة الدارة، نفس العدد، ص ص 172-173، روباربرنشفنك، المرجع السابق، ص32.

[3] روبار برنشفك، المرجع السابق، ص25.

[4] إن رمز السيادة الحفصية كان يتمثل في سبعة أعلام، وهي العلم الأبيض الأوسط الخاص بالدولة الحفصية والممثل للعائلة المالكة-هنتاتية-أما الأعلام الستة الأخرى، وهي الأعلام ذات الألوان المختلفة كالأحمر، والأصفر، والأخضر تحيط بجانبي العلم الأبيض، فهي تمثل القبائل الموحدية التي تكونت منها النواة الأولى للدولة، نفسه، ص 32.

(العذبة) التي كان يسدلها خلف الأذن اليسرى شارة خاصة له وهذا تطبيقا لتعاليم السنة، ولها طرف آخر يعرف بالتحنيك يحيط بالعنق[1].

ومن علامات الملك لدى الحفصيين "الكرسي" الذي استخدم كوسيلة لابراز ملكهم، فقد كان الأمير أبي زكريا يجلس على كرسيّ من خشب، أما ابنه المستنصر الذي كان ميالا إلى شيء من البذخ، يتربّع على كرسي أفخم وهو "الأريكة" من "قبة الجلوس" المشرفة على ساحة القصبة[2]. وأشارت بعض النصوص أن السلطان أبي فارس كان يجلس مع الحاضرين في مجالس العلم على "بساط"، نضيف إلى ذلك التخت والسرير والوسادة. فقد روي أن السلطان "أبي حيى أبي بكر" كلّما دخل عليه ابن اندراس قرّب له مخدّة [وسادة] من مخادّ سريره إكراما للعلم" [3]. ولم يوضّح لنا أي مصدر هل كان الأمير يتعلق بكرسيّ خاص-شخصي أو عائلي، مخصّص للسلطان دون سواه[4].

أما المقصورة التي تخذها ملوك المغرب والأندلس، كشارة من شارات الملك، قد وجدت كذلك بالدولة الحفصية، ولكن ليس لدينا معلومات كافية حولها، منها المقصورة[5] الموجودة بجامع القصبة التي بقيت قائمة حتى أواخر القرن الرابع عشر والخامس عشر، فضلا عن المقصورة الموجودة وبجامع الموحدّين، وغرضها حماية السلطان أثناء الصلاة من القتل.

ولا حاجة لنا إلى التأكيد على المكانة المرموقة التي يحتلها السلطان الخليفة الحفصي في المواكب أو الاجتماعات، وكان يعبّر عن هذه المكانة بتصرفات، مثل تقبيل الأرض أمامه، والسجود بين يديه، التي هي عادة قديمة فارسية ثم عباسية، وتقبيل اليد الذي أصبح شائعا في العالم الإسلامي، ويظهر هذا التقدير في الأعياد الدينية، والوقائع السياسية الكبرى، كولاية العهد والبيعة، وفي المواكب السلطانية التي كانت تحمل شعارات السيادة، وطبقها شيوخ

---

[1] روبار برنشفك، المرجع السابق،ص 26.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص282.

[3] ابن القنفد، المصدر السابق، ص163.

[4] روبار برنشفك، المرجع السابق، ص26.

[5] ابن القنفد، المصدر السابق، ص171.

الموحدين وجنود المدينة وأعوان الدولة وكانت ترمز كذلك إلى القوة والتعبير عن وحدة الشعور بين سكان المدينة من جهة وبين السلطان وجيشه من جهة أخرى[1]، و لم يكن السلطان الحفصي معزولا عن الناس حسب ما تشير إليه بعض النصوص، لأن اللقب الخليفي أكسبه هيبة دينية متزايدة، وسلطة مطلقة، مدعما من طرف الفقهاء الذين ساندوا شرعية الملوك والمذهب السني.

3-مميزات الخلافة الحفصية:

اشتركت الدولة الموحدية والحفصية في إقامة دولتيهما على أساس شخصي، بعيدين كل البعد عن العصبية التي تعد القوة السياسية، وأما محمد عبد الواحد بن أبي حفص ثم أبو زكريا ابنه فقد أقاما الدولة على أساس شخصيهما، معتمدين على ذكائهما وقدرتهما في بناء دولة عسكرية قامت على أكتاف الموحدين و العرب و العلوج[2]، على أن شيئا مميزا جمع بين هذين الخليفتين هو شخصية مؤسس الدولة وحاكمها، فقد اعتبرا نفسيهما رئيسا دين وسياسة في أفريقية، جعلا منها مركز خلافة وإمامة في آن واحد -رغم أن بعض أمرائها قد تخلوا عن لقب الخلافة، إلا أنهم كانوا يقومون بوظيفة الخلفاء أو الأئمة وبذلك أصبحت إفريقية حصنا من حصون الإسلام والحضارة العربية، واحتفظت بوحدة إقليم تونس وبلاد إفريقية- جاعلين منها دولة محترمة وقوة سياسية يحسب لها ألف حساب[3]. وذلك بواسطة الربط الإسلامية المتواجدة داخل الأندلس وعلى حدود الدولة الحفصية التي كانت تمتد من تورغا شرقي سرتا إلى المجرى الأعلى لنهر الشلف، ومن سواحل البحر إلى بسكرة وغدامس وبلاد الجريد، ثم الساحل التونسي.

---

[1] روبار برنشفك، المرجع السابق، ص38.

[2] العلوج وهم صبيان من أصول شتى كانوا يشترون من أسواق الرقيق أو من تجارهم الذين كانوا يترددون على أصحاب الدول ويعرضون عليهم بضائعهم أو يؤسرون من بلاد النصارى ويربون تربية إسلامية عسكرية أو مدنية ليخدموا الدولة في الحرب والإدارة، حسن مؤنس، المرجع السابق، ص237..

[3] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص289.

وكان الخلفاء الثلاثة الأوائل يختارون من أولئك المشايخ وكان يترأس الجند وقيادته ورياسته لديوان العطاء ووزير لشؤون المال ويسمى صاحب الخراج ، ويشرف على مالية الدولة، ثم الوزير الكاتب أو صاحب ديوان الإنشاء، وكان يتولى مكاتبات السلطان الديوانية ويساعده كاتبان كبيران، "**صاحب العلامة الكبرى**" وهو مسؤول على المكاتبات الرسمية أو الرئيسية، ويلية"**صاحب العلامة الصغرى**" اهتم بمكاتبات الثانوية التي توجه إلى العمال ورجال الدولة ولا يوضع عليها الخاتم الرسمي للدولة[1]. ومن مميزات الدولة الحفصية أيضا رغم أنها امتداد للدولة الموحدية، قيامها على نشر المذهب المالكي وهو مذهب أهل السنة عن طريق المدارس[2] التي خلفت دور الحديث التي أسسها محمد بن تومرت لنشر مذهبه التومرني والحديث الذي فرضته الحكومة.

ويعد أبو زكريا مؤسس دولة الحفصيين أول من أنشأ مدرسة في تونس، بعدها نشطت حركة إنشاء المدارس ابتداء من عام 647هـ/ 1249م، واستمر إنشاؤها في كل من فاس وتونس، وخاصة قسنطينة وبجاية والقيروان والحمامات والمونسينر وقفصة وتوزر ونفطة وغيرها. وعملت هذه المؤسسات الدينية على انتشار مذهب أهل السنة (مذهب مالك). وعلى عودته مذهب مالك في المغرب وإسقاط "**بدعة**" الموحدين التي تمثلت في الاهتمام بعلم الكلام ومعطيات العقيدة، وأهمل بذلك تأويل القرآن، وحلّ محلّه المذهب الظاهري المعتمد على المعنى

---

[1] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 289.

[2] نشأ نظام المدارس في المشرق الإسلامي في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) وترأس هذه المدارس فقهاء وعلماء أجلاء، مثل أبي حامد الغزالي، وكانت مدارس سنية، ولكن في المغرب الإسلامي النصف الأول من القرن الثامن الهجري، صارت هذه المدارس يديرها فقهاء وأساتذة أجلاء على المذهب المالكي الذي أصبح بين علوم التعليم العام ويعني هذا نهاية لإصلاح الموحدين بالنسبة إلى المغرب الإسلامي وإفريقية على السواء، أولا في علم التوحيد ثم بعد ذلك في التشريع، كما درست بها العلم النظري"للأصول" القرآن والحديث، ألفريدبال، المرجع السابق، ص 306-307، ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 8.

ويعد أبو زكريا مؤسس دولة الحفصيين أول من أنشأ مدرسة في تونس، بعدها نشطت حركة إنشاء المدارس ابتداء من عام 647هـ/ 1249م، واستمر إنشاؤها في كل من فاس وتونس، وخاصة قسنطينة وبجاية والقيروان والحمامات والمونسير وقفصة وتوزر ونفطة وغيرها. وعملت هذه المؤسسات الدينية على انتشار مذهب أهل السنة (مذهب مالك). وعلى عودته مذهب مالك في المغرب وإسقاط "**بدعة**" الموحدين التي تمثلت في الاهتمام بعلم الكلام ومعطيات الغقيدة، وأهمل بذلك تأويل القرآن، وحلّ محلّه المذهب الظاهري المعتمد على المعنى الظاهر الحرفي، ولكن الجديد في هذه المدارس ظهور المتصوفين الذين اعتنوا بالتفسير الباطني " **الأصول**" ومن أشهرهم في هذه الفترة عبد الله الشريف، وإبراهيم المصمودي..وابن عرفة[1] وأيدي السلاطين اهتمامهم بالمدارس وتقديرهم للدور الذي يقوم به والأساتذة الذين كانوا يجتمعون معهم في جلسات علمية عميقة، وشروح نصوص كثيرة[2].

بالإضافة إلى هذه الاهتمامات بالجانب العلمي والثقافي لهذه الفترة، نجد دخول التصوف[3] في الإسلام الرسمي الذي، أحدث تغيرا عميقا في التصور العقلي للعقيدة الإلهية، وأثر

---

(1)**ابن عرفة**: أبو عبد الله محمد بن محمد الشهير بابن عرفة الورغمي المكنى بأبي عبد الله نسبه إلى قبيلة ورغمة بالجنوب التونسي، عرف بعلمه الواسع، تولى الإفتاء والإمامة والخطابة بجامع الزيتونة، له كثير من المؤلفات، ولد سنة 716هـ، وتوفي في جمادى الأخيرة سنة 803 هـ ودفن بأعلى مقبرة الزاج. انتشر علمه شرقا وغربا، وضابطا لقواعده، إماما في علوم الدين، مجيدا في العربية والأصلين والفرائض والحساب وعلم المنطق، من تأليفه: تقييده الكبير في المذهب، كتاب الطوالع للبيضاوي، واختصر كتاب الحوفي. تتلمذ على يده محمد بن عبد السلام، وأبي عبد الله محمد بن هارون، ومحمد بن حسن الزبيدي، وأبي عبد الله الأبلي، ابن فرحون، المصدر السابق، ص 419-420.

(2)ألفريدبال، المرجع السابق، ض 358.

(3)جاء تعريف "الصوفية" كالتالي: الصفاء أسرارها ونقاء آثارها، وسموا بالصوفية لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل، سبب حبهم الشديد لله، وإقبالهم بقلوبهم عليه، بصفاء وسموا صوفية للبسهم الصوف، والإيمان عندهم، قول، وعمل، ونية ومغنى النية التصديق، الكلابادي (أبو بكر محمد)، التعرف لمذهب أهل

هذا التصوف حتى على الدراسات الفقهية الدينية بالمغرب الإسلامي فظهر علم الفروع من جديد بعدما عملت الدولة الموحدية على إزالته تماما، ولا يعني هذا أن علم الأصول فقد أهله كلية، بل كان على شكل تتمة وتصحيحات للتفسيرات الواردة في كتب علماء المذهب المالكي، كما عمل هؤلاء المتصوفون على إذابة النزاعات البربرية والعربية في مجتمع الغرب الإسلامي.

خلاصة الفصل:

وعلى العموم فالدولة الحفصية التي كانت طبيعة حكمها تتأرجح طيلة أربعة قرون بين خلافة وإمارة وملك وسلطنة، قدمت صورة عن المجتمع المغربي الذي امتزجت فيه الحضارة الإسلامية في جميع الميادين، ويقول ابن دينار في طبيعة هذه الدولة" أن سلاطين تونس من بين أبي حفص كما بيناه في أول الكتاب كان منهم من بلغ درجة الملك ومنهم من قاربها ومنهم من نال الاسم من السلطنة فقط ومنهم من تغلب عليه العرب وأقاموه على الملك وشرطوا عليه شروطا ولهم بذلك وتمادت أيامهم في إقبال وأدبار إلى أن أتاهم ما أتى على غيرهم فصاروا عبرة لغيرهم لما خلت منهم الديار، ولما أراد الله تعالى انقراضهم وضعفوا تفرقت روائهم واختلفوا إلى زمن مشيئتهم لا حسنهم، وأظهر من مساوية ما غطى به حسنات أحسنهم"[1].

وكان آخر الحفصيين هو محمد بن الحسن الذي عاود الأسبان في عهده هجوماتهم على تونس وأفريقية، ودار الصراع بينهم وبين الأتراك وانتهى بانتصار الأتراك على يد حيدر باشا ثم ستان باشا سر دار العسكر وعلي قبطان؛ وتم للأتراك السيطرة على تونس وكل أفريقية سنة 1576/981م، انتهى وبذلك عصر الحفصيين، وبدأت إفريقية تدخل عصرا جديدا، حيث أصبحت إيالة بعدما كانت دار خلافة تابعة للباب العالي تونس، وأصبح المغرب الأوسط إيالة

التصوف، لولا التعرف لما عرف التصوف، حققه وعرف بأعلامه وقدم له د. عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1960، ص 21-22.

(1)ابن أبي دينار، نفس المصدر، ص 185.

الجزائر، وطرابلس إيالة طرابلس الغرب. ونشرت في الإقليم الإفريقي باسم السلطة العثمانية، وذكر اسم السلطان العثماني على المنابر، وضرب اسمه عل الدرهم والدينار.

فانتقلت بذلك الخلافة الإسلامية من الحفصيين بالمغرب الإسلامي، إلى بيت آل عثمان[1] الذين حافظوا على الخلافة الإسلامية حتى نهاية إمبراطوريتهم في القرن 19 الميلادي.

---

(2)آل عثمان، هو عثمان بن أرطغرل بن سليمان شاه، وكان سليمان هذا في بلد ماهان قرب الخ وهو من جنس التركمان الرحالة النازلة من طائفة التتار ويتصل نسبهم إلى يافث بن نوح عليه السلام، المصدر السابق، ص179.

الفصل الخامس

الـــدولـــة الـــزيانـــية

(633هـ-692هـ)(1235م-1554م)

تمهيد تاريخي

1. مراحل الدولة الزيانية
2. طبيعى الحكم عند الزيانيين
3. تطور مفهوم الحكم عند الزيانيين

خلاصة الفصل

تعرفها الدولة الزيانية من قبل. حيث وضعت النظم السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية، وأصبحت تلمسان في عهده منارة للإشعاع الحضاري والثقافي والفكري في المغرب الأوسط. كما أن هذه المرحلة لم تخل من الاضطرابات والحروب الداخلية التي هزت كيان الدولة كالقبائل المتمردة أو الصراع بين البيت الحاكم من أجل السلطة وتحالفهم مع الدولة المرينية مثل ما قام به أبو تاشفين الذي تحالف مع المرينيين ضد أبيه أبي حمو موسى الثاني.

المرحلة الرابعة وهي مرحلة الانحطاط والسقوط ودامت أكثر من 170سنة (أي من سنة 791هـ/1389م إلى سنة 962هـ/1554م) سنة سقوط الدولة العبد الوادية وزوالها نهائيا على يد خير الدين بربا روس، وأصبحت الدولة الزيانية في هذه الفترة تارة تحت وصاية المرينيين ابتداء من عهد بن تاشفين[1] بعد مقتل أبيه ، وتارة تحت وصاية الحفصيين؛ الذين شجعوا كذلك أمراء بني زيان على السلطة مما زاد من حدة الصراع بينهم والتعجيل بنهايتهم وسهّل للعناصر العربية الهلالية بالتدخل في سياسة الدولة وكذلك في تعريب المغرب الأوسط تعريبا شبه كلي.

كما تخلل هذه الفترة، نوع من الاستقرار خاصة في عهد السلطان أبي مالك عبد الواحد ابن أبي حمو الثاني الذي تولى الحكم سنة 814هـ/1411م وتمكن من استرجاع المناطق الشرقية للجزائر من يد الحفصيين، واحتلال فاس عاصمة المرينيين وتنصيب حاكم تابع للدولة الزيانية وتمكن من وضع حد نهائي لتدخل المرنيين في شؤون تلمسان طيلة حكمه الذي دام ثلاثة عشر سنة[2].

تلمسان مركز الإشعاع في المغرب الأوسط، مجلة الحضارة الإسلامية، عدد خاص، 18-14-20، أفريل، 1993، ص 35-43.

(1) الأمير أبو تاشفين عبد الرحمان بن أبي حمو، تولى السلطة بعد مقتل ابنه أبي حمو موسى الثاني بتلمسان بعدما تحالف مع المرينيين ضد أبيه عام 789هـ، ودارت بينهم معركة قاتلة انتهت بمقتل أبيه، فتولى السلطة بعده مباشرة تحت وصاية المرينيين. ومات من وجع أصابه في بطنه في شهر ربيع الأول عام 795هـ وله 45 سنة، وكانت دولته أربعة أعوام، ابن الأحمر، المصدر السابق، ص 58، بوزيان الدراجي، المرجع السابق، ص 35، محمود بوعياد، المرجع السابق، ص.20-21.

(2) بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 46.

2-طبيعة الحكم عند الزيانيين.

تنوعت أنظمة الحكم بالمغرب الإسلامي من دولة إلى أخرى، فالفاطميون والموحدون تخذوا من الخلافة نظاما سياسيا وراثيا لدولتهما، بينما المرابطون كان نظامهم أميريا وراثيا أما الحفصيون فتأرجح بين خلافة وإمارة وراثية، تقوم كلها على مبادئ البيعة والولاية، بالإضافة إلى اعتمادها على الدين الذي يعد مصدر بقائها وفنائها في الوقت نفسه، وكان نظام هذه الدول جميعا هو النظام الثيوقراطي (الديني) الذي طبعها بأنها دول مذهبية بحتة، قامت على المذهب التوحيدي، فلما كان مذهب مالك بن أنس هو الأكثر انتشارا في بلاد المغرب [1] فقد وجدت الأرضية المناسبة لذلك، كما أن هذه العوامل قد توفرت لتشكيل هذه الدولة، كإقليم له رعيته وسيادته.

ولا شك أن هذه المعطيات قد سمحت للدولة الزيانية باتخاذ الألقاب المتعددة كالأمير والسلطان، والملك، وأمير المسلمين، والخليفة، وأمير المؤمنين إلخ.

ولا تهمنا التفاصيل السياسية والنزاعات الحربية للزيّانيين وجيرانهم، إلاّ ما كان لها صلة بتطور مفهوم الملك ومسألة التلقيب بالألقاب السلطانية، وهكذا نجد بأن أولى هذه الألقاب هي:

السلطان:

" السلطان"[2] لقب تسمى به حكام الدولة الإسلامية والمغرب الإسلامي والأندلس، فلم يستعمل هذا اللقب إلا مجازا، لكن هذا لا يمنع من وجود هذا اللقب بدولة بني زيان للدلالة

---

(1) عطاء الله دهينة، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 361-389.

(2) السلطان: هذا اللقب مشتاق من "السلاطة": القهر، والسليط عند العرب: الزيت، وعند أهل اليمن دهن السمسم، والسلطان: الحجة والبرهان، والسلطان إنما سمي سلطانا لأنه حجة الله في أرضه واشتقاق السلطان من السليط (ما يضاء به)، من هذا قيل للزيت سليط ولذلك قيل للأمراء سلاطين لأنهم الذين تقام بهم الحجة والحقوق، ظهر هذا اللقب لأول مرة في القرن الرابع الهجري (الحادي عشر الميلادي) بمعنى حاكم قوي أو عاهل مستقر على إقليم من الأقاليم.

واستخدم ابن خلدون هذا اللقب لحكام بني عبد الواد دون استثناء. ابن خلدون مج7، ص 126، بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 64.

على قوة ملكهم. فقد جاء في كتاب العبر أن" لقب السلطان" قد تسمّى به أول ملوك بني زيان وهو يغمراسن فيقول:" كان السلطان يغمراسن قد خرج من تلمسان سنة إحدى وثمانين.."[1]

ويقول كذلك:" كان من أول ما أفتتح به السلطان أبو زيان أمره بعد الجروح من هوّة الحصار وتناله الأعمال من أيدي بني مرين...."[2]

ويقول كذلك:" ...فطالب السلطان أبا حمو بإسلام أولئك النازعين إليه...."[3].

..." ولما رجع السلطان أبو تاشفين بن أبي حمو من حصار بجاية سنة تسع عشر اعمل في ترديد البعوث..."[4].

واحتل لقب "السلطان" مكانة أولى عند بني زيان واعتبروه أسمى الألقاب عندهم، فمثلا احتفظ أبو حمو موسى الثاني بلقب "السلطان" جنبا إلى جنب مع لقب "أمير المؤمنين"[5]. ولعل ما يؤكد ذلك تلك النقوش التي وجدت على طاولة المسجد الكبير والتي تحمل لقب"السلطان" لأبي حمو موسى الثاني، بالإضافة إلى الرسائل والمعاهدات التي ورد فيها هذا اللقب، والرسالة التي كتبها ابن الخطيب عن ابن الأحمر وأرسلها إلى أبي سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن يغمراسن، والمعاهدة التي جاء فيها لقب"السلطان" التي أبرمت بين أبي حمو الثاني وملك الأرغون بيتر الرابع Pierre IV وظل لقب "السلطان" متداولا بين أبناء بني زيان حيث اقتسمه كذلك كل من أبي سعيد عثمان بن عبد الرحمن مع أخيه أبو ثابت الزعيم بن عبد الرحمان[6].

الملك:

لم يكن لقب "الملك" شائع الاستعمال بين حكام بني زيان، وغيرهم من الحكام المغرب السابقين. غير أن بعض مؤرخي هذه الدول لقبوا حكام بني زيان بلقب الملك، فنجد منهم

---

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، مج:7، ص108.

(2) ابن خلدون، المصدر السابق، ج:7، ص 115.

(3) نفسه، ص 120، 123.

(5) نفسه، ص 127، 129.

(4) Dhina , (A) , Opcit, P20.

(6) ابن خلدون، المصدر السابق، مج 7، ص 139.

المؤرخ التنسي الذي عنونّ "كتابه" تاريخ بني زيان ملوك تلمسان وذكر ملوكهم الأعيان[1]، وعبد الرحمان بن خلدون الذي يشير إلى زيان بن ثابت فيقول:"... ومن ولده زيان بن ثابت أبو الملوك من بني عبد الواد"[2]. كما أن السلطان أبي حمو موسى الثاني قد استعمل عبارة" الملك" في أماكن عديدة في كتابه" واسطة السلوك في سياسة الملوك". مع أنه لم يتسمّ رسميا بهذا اللقب[3].

أمير المسلمين:

كان لقب "أمير" في أغلب الأحيان يطلق على حكام المغرب الإسلامي والأندلس، زيادة على ألقاب أخرى كدولة المرابطين، والتي كانت مستعملة عند الأمويين بالأندلس، فاتخذ الزيانون لقب "الأمير" إلى جانب ألقاب أخرى كالسلطان وأمير المسلمين وهذا يبرهن أنهم لا يفرقون بين لقب وآخر[4]. والدليل على ذلك أن بعض المؤرخين كانوا يلقبون أولئك الحكام بصورة عفوية بعدة ألقاب دون تخصيص ولا تحديد، فنجد لقب "أمير" و"سلطان" يطلقان على حاكم الدولة أو المسؤول الأول على الدولة وفي بعض الأحيان يذكر اسم الرئيس دون لقبه كيغمراسن، وعثمان يغمراسن دون لقب أمير أو سلطان، عكس ما لاحظناه عند دولة بني

---

(1) التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان، حققه وعلق عليه، محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 111، 118، 129، 132، 133، 143.

(2) ابن خلدون، المصدر السابق، مج7، ص104.

(3)أطلق لقب"الملك" من طرف سلاطين المشرق على سلاطين المغرب الإسلامي لتمييزهم ولكن في النصوص الرسمية للقرن الرابع عشر الميلادي، نجد كلمة "ملك" في مصطلح تهني، الخليفة الإمام الملك الهمام أي الخليفة، القائد، الملك، الزعيم وفي المغرب الإسلامي كانت دولة بني حفص تمجد هذا اللقب وبالخصوص في عهد أبي فارس (1314م-1434=وعثمان (1435م-1488م)، Dhina, (A), Opcit, P87.

(4) ذكر صاحب روضة النسرين... بأن حكام بني عبد الوادي كانوا يتلقبون بلقب " الشيخ": " ... وبايع الأمير يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص الموحد وخطب له على منابر بلاده، وناداه، بمولانا، وتبعه في ذلك من تبعه من بنيه إلى حفيده أبي حمو الأكبر ويخاطبهم الملوك من الموحدين بالشيخ، و لم يكن خطابهم لهم بالسلطان ولا بالأمير ولكن بالشيخ فقط." ص 47، ولكن هذا الاعتقاد خاطئ لأن بني الأحمر يكنون كراهية كبيرة لبني زيان، ربما هذا ما دفع بالمؤلف إلى الحط من قيمتهم.

الأحمر والتنسي وغيرهم. ولكن هذا لم يمنع كذلك ابن الأحمر من نعت حكام بني زيان بلقب " أمير" جميعهم من دون استثناء. أما يحي بن خلدون صاحب زهرة البستان والتنسي فلم يطلقوا لقب" أمير" إلا على أبناء السلطان واخوته الذين حملوا مسؤوليات في الدولة كولاية العهد أو رئاسة بعض المقاطعات أو قيادة الجيوش[1].

ولعل اللقب الذي كان ربما لقب أكثر شيوعا واتخذه الزيانيون لأنفسهم هو " أمير المسلمين" ابتدأ بيغمراسن الذي يعد المؤسس الأول لدولتهم وسلطانهم حيث بادر إلى تنظيم دولته الناشئة معتمدا على وزرائه وكتابه وقواده وحجابه بالإضافة إلى الطقوس والمراسيم التي أدخلها على حياة البلاط وتعتبر هذه المرحلة مرحلة انتقال من عهد البداوة إلى الملك.

ووصف التنسي مؤسس الدولة عندما قدمه بعد بيعته:" واستعمل ما يورث الملك كمال وجمال في هديه وسمته، فانتخب الوزراء والحجاب وانتقى القواد والكتاب".

وهكذا نلاحظ بأن حكام المغرب الإسلامي والأندلس قد اختصوا بهذا اللقب الإسلامي لا سيما في الأندلس.

وكان هذا اللقب محببا عندهم، والدليل على ذلك أن أبا حمو موسى الثاني الذي تسمّى بألقاب أخرى كأمير المؤمنين، وخليفة وإمام بالإضافة إلى"أمير المسلمين" كما جاء في كتاب بغية الرواد الذي تضمن الألقاب المستخدمة من طرف دولة بني زيان (كالسلطان، وأمير المسلمين...)

ومن الشهادات المادية لهذا اللقب الذي تسمّى به هؤلاء، نجد اللوحة التذكارية التي تحي ذكرى الزاوية التي أقامها أبو حمو على ضريح والده، بالإضافة إلى النقود (السكة)التي حملت أو برهنت على استعمال هذا اللقب من قبل بعض عواهل الدولة المذكورة.

ففي عملة السلطان أبي حمو موسى الأول وابنه أبي تاشفين عبد الرحمن الأول نقش مايلي:

-عن أمير عبد الله موسى أمير المسلمين المتوكل على رب العالمين أيد الله ونصره.

كما جاء في نقود السلطان أبي عبد الله محمد الخامس المتوكل على الله: المتوكل على الله أمير المسلمين ابن مولانا أبي زيان محمد أيده الله وجاء في نقود أبي العباس (العاقل).

---

[1] بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 63، محمود بوعياد، المرجع السابق، ص 24-25.

كما جاء في نقود السلطان أبي عبد الله محمد الخامس المتوكل على الله: المتوكل على الله أمير المسلمين ابن مولانا أبي زيان محمد أيده الله وجاء في نقود أبي العباس (العاقل).
عن أمر عبد الله المعتصم بالله أمير المسلمين أبي العباس أحمد[1].

كما نقش على طويلة من الرخام، بداخل باب المنار في الجهة اليمنى هذا النص الذي يدل عل استخدام لقب "أمير المؤمنين" من طرف بني زيان.
بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد
لما تمم أمير المسلمين أبو تاشفين أيده الله ونصره منار الجزائر في مدة أولها يوم الأحد السابع عشر من ذي القعدة من عام اثنين وعشرين وسبعمائة وكان تمامها وكمالها في غرة رجب عام ثلاثة وعشرين وسبعمائة ناد المنار المذكور بلسان حاله الحالي أين منار حاله في الحسن كحالي أقام أمير المسلمين تفافحا كساني بها حسنا وتمم بنياني وقابلني بدر السماء وقال لي عليك سلامي أيها القمر الثاني فلا منظر يسبي النفوس كمنظري إلا فانظروا حسني وبهجة تجاني فزاد نصر الله حول لوائه رفيقا له تال وجيشا له ثاني[2].

الخليفة:

أول من تلقب بهذا اللقب بدولة بني زيان السلطان أبو حمو موسى الثاني، وعنه يقول ابن خلدون: ودخل السلطان أبو حمو إلى تلمسان يوم الأربعاء لثمان خلت من ربيع سنة ستين وسبعمائة واحتل منها بقصر ملكه، واقتعد أريكته وبويع بيعة الخلافة" والملاحظ أن مؤرخو الدولة الزيانية قد بالغوا في نعوت الخلافة وألقابها إلى سلاطين بني زيان، بدءا بيغمراسن وحتى آخر ملوكهم مثل يحي بن خلدون صاحب زهرة البستان، والتنسي صاحب روضة النسرين.

كما أشارت بعض المصادر المادية إلى تسمية أبي حمو موسى الثاني بلقب "الخليفة"، إذ وردت في المعاهدة التي أبرمت بين ملك الأرغون Pierre IV، و السلطان الزياني، عبارة "الخليفة العادل". كما لقبه ابن الخطيب معلقا لتلبيته نداءه لمساعدة أهل الأندلس-بلقب الخليفة حين قال عن أبي حمو " فامتعض خليفة الله-أيده الله- لدين الإسلام، واستنصرته أريحية الشجاعة وعطفه على غرباء المسلمين بالعدوة".

---

(1) بوزياني الدراجي، المرجع السابق،ج 7، ص 71.
(2) Bourouiba, Rachid, L'art Religieux musulman en Algérie, SNED, Alger, 1973, P 146.

الحمد الله على ما أنعم والشكر لله على ما وهب، ليعلم الفقيه المكرم أبو زيد عبد الرحمان بن خلدون حفظه الله، على أنك تصل إلى مقامنا الكريم، لما اختصصنا كم به من الرتبة المنيعة، والمنزلة الرفيعة، وهو قلم خلافتنا، والإنتظام في سلك أوليائنا، أعلمانكم بذلك...عبد الله المتوكل على الله، موسى بن يوسف وخار له"

ودعمّ هذا اللقب في كتابه" واسطة السلوك" الذي بحث أبنائه على الوصول إلى هذه المرتبة الشريفة، لأن الملك ماهو إلا خليفة الله في أرضه ولهذا يوصي ولي عهده بقوله: " يا بني أن الملك خليفة الله في أرضه الموكل بإقامة أمره ونهيه، قلده بقلائد الخلافة، وجعله حصانا لذوي المخافة، وأمره بإقامة الشرائع، وسد الذرائع، لقيم قسطاط الحق في رعاية الخلق...ولا يشغلك ما تقلدت من أمر الخلافة عن ذكر الله لأن كل شيء باطل سواه... [1].

وابتداء من عهده صارت رتبة الخلافة، سنة متبعة من طرف أبنائه وأحفاده، وأهمهم أبو مالك عبد الواحد، وأبو عبد الله المتوكل على الله[2].

إذا فلقب الخلافة لم يقتصر على خلفاء الدولة الحفصية والدولة المرينية، بل تسمّى به الزيانيون كذلك، لإبراز سلطانهم بالمغرب الأوسط دون مراعاة شروط الخلافة التي سنّها الأوائل منذ عهد أبي بكر الصديق.

أما عن لقب "أمير المؤمنين" الذي كان حكرّا على الخلافة بالمشرق، فقد صار مستعملا بكثرة بالمغرب الإسلامي والأندلس، منذ أن أخذ الفاطميون هذا اللقب عند تأسيس دولتهم بالمغرب وانتقالهم فيما بعد إلى مصر في عهد المعز لدين الله، وبعدهم الموحدون الذين جعلوا الخلافة الإسلامية في عهدهم خلافة سنية مغربية لأول مرة واتخذ خلفاؤها هذا اللقب حتى نهاية دولتهم. ثم تلقب به أبو محمد الناصر (فيما بعد الحفصيون والمرينيون) في عهد أبي تاشفين الأول(718هـ-1318م- 737هـ-1337م) الذي تلقب هو الآخر "بأمير المؤمنين أبو تاشفين ابن خلفاء الراشدين" الذي مر حكمه بنوع من الاستقرار والرفاهية قبل استيلاء بين مرين على تلمسان من جديد من طرف أبي الحسن[3].

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص5.

[2] التنسي، المصدر السابق، 256-257، بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 74.

[3] Dhina, (A), OPCIT, P35 , 85

تاشفين ابن خلفاء الراشدين" الذي مر حكمه بنوع من الاستقرار والرفاهية قبل استيلاء بين مرين على تلمسان من جديد من طرف أبي الحسن[1].

والدليل المادي هو ما تثبته القطعة النقدية لدولة أبي تاشفين التي جاء فيها:"أمير المؤمنين عبد الرحمان بني خلفاء الراشدين"[2].

ولئن لم يكن بين لقب " أمير المسلمين" و"أمير المؤمنين" بالنسبة إلى الزيانيين فإنه من الناحية السياسية فيشكل اختلافا بوصف أنّ حامل لقب أمير المؤمنين بالنسبة إلى الزيانيين هو لقب منافس لحامله بالمغرب الأدنى أي تونس عاصمة الدولة الحفصية[3].

هذه الألقاب الأساسية الخاصة التي تسمّى بها حكام بني زيان وجدت بجانبها كذلك ألقاب فخرية، استعملت لغرض التحلية والمدح والتعظيم، منها ما هو خاصة بالخلفاء، وما هو متداول بين السلاطين والأمراء، والعلماء والحكام والأعيان،

منها لقب عبد الله، وممن تلقب به من سلاطين بني عبد الوادي أبو حمو موسى الأول، وأبو تاشفين الأول، وأبو حمو الثاني.

أما لقب المتوكل على رب العالمين، فقد تلقب به أبو تاشفين موسى الأول، وأبو حمو الثاني، بينما لقب المتوكل على الله، فقد تلقب به أبو تاشفين عبد الرحمان الأول، وأبو حمو موسى الثاني، وربما أبو عبد الله محمد بن أبي زيان محمد بن أبي ثابت.

- لكن فيما يتعلق بالمعتصم بالله، فقد ثبت من المصادر والمراجع أنه استعمل بعد وفاة أبي حمو موسى الثاني من قبل السلطان أبي العباس أحمد بن أبي حمو الثاني.

-كما استعمل لقب"ابن الخلفاء الراشدين، من طرف أبي تاشفين عبد الرحمن الأول.

- وابن الأمراء الراشدين"، تسمى به أبو حمو موسى الثاني وربما أبو عبد الله بن أبي زيان بن أبي ثابت.

---

(3) Dhina, (A), OPCIT, P 85

بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 75.

(1) نفسه، ص 75.

(2) Dhina, (A), OPCIT, P 85

-المولى، أطلق كما لقب المولى من طرف ابن خلدون على أمراء بني حفص، وسلاطين بني مرين الذين خدمهم، وأطلق يحيى بن خلدون على أمراء بني زيان الذين خدمهم نفس اللقب منهم: أبو حمو موسى.

وهناك نعت نفرد به بنو زيان، وهو نعت (دادا) [1] وقد أورده عبد الرحمن بن خلدون في كتاب العبر حين سرد رواية أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الإبلي قال: "سمعت من السلطان أبي حمو موسى بن عثمان وكان قهر مانا بداره، قال: "أوصى دادا يغمراسن لدادا عثمان"- ودادا حرف كناية عن غاية التعظيم بلغتهم، فقال له: يابني، إن بني مرين بعد استفحال ملكهم واستيلائهم على الأعمال الغربية"...وهذا النعت ما زال متداولا إلى يومنا هذا ببعض المناطق بالجزائر، ويحمل نفس المدلول الذي حمله عند بني زيان.

ويستخلص مما تقدم ذكره أن سلاطين دولة بني زيان لم يكن لهم نظام معين في ترتيب الألقاب[2] بحيث يختلف ذلك الترتيب من سلطان إلى آخر، بل ويختلف ترتيب الألقاب في فترة حكم السلطان الواحد[3].

* كنى بني زيان

اتخذ سلاطين بني عبد الواد الزيانيين مع الألقاب الكنى [4]، فتكنى يغمراسن بن زيان(633 هـ/1235م-681هـ/1282م) بأبي يحيى[1].

---

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، مج7، ص108، بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص78.

(2) بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 85، Dhina, (A), OPCIT , PP , 518,519

(3) حسن الباشا، المرجع السابق، ص 496 وما بعدها.

(4) الكنية: ما صدرت بأب وأم، والكنية عند العرب تمثل الأدب والاحترام، فقد كان محببا عندهم أن يخاطب المرء بكنيته حتى أنهم بالغوا في ذلك، فقد كنى الخليفة أبي بكر الصديق" أبا المناقب" واتخذها كذلك الملوك وعامة الشعب العربي، فيكنى الرجل بولده أو بناته، ولهذا كنى الرسول صلى الله عليه وسلم فاطمة بأبي الزهراء، وأبي القاسم وأما الكنية في المكاتبات فأول من اكتنى في كنية الوليد بن عبد الملك" القلقشندي، المصدر السابق، ص168

- وتكنى عثمان بن عبد الرحمان بن يحيى بن يغمراسن (749هـ/1348م-773هـ-1362م) بأبي سعيد[1].

-وتكنى موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحي بن يغمراسن (760هـ/1358م-791هـ-1388م) بأبي حمو.

-وتكنى عبد الرحمان (القاني) بن موسى الثاني (791هـ-1389م-79هـ-1393م) بأبي تاشفين.

-وتكنى يوسف بن موسى الثاني (795هـ-1392م-796هـ/1393م) بأبي الحجاج.

-وتكنى محمد بن موسى الثاني (796هـ-1393م-801هـ-1398م) بأبي زيان.

-وتكنى عبد الله الأول بن موسى الثاني (801هـ-1398م-804هـ/1401م) بأبي محمد[2].

- وتكنى محمد الثالث بن موسى الثاني (804هـ-1402م-813هـ/1410م) بأبي عبد الله، وكذلك بأبي خولة[3].

وأما السلاطين الثلاثة[4] عبد الرحمن الثالث بن موسى الثاني (813هـ-144م-814هـ-1411م)، والسعيد بن موسى الثاني (814هـ/1411م-814هـ/1411م)، وتاشفين بن محمد الخامس (890هـ-1485م).

ولاحظنا أن بعض الكنى قد أعيدت في دولة بني زيان، رغم تكني بعض الملوك من قبل مثل، أبي سعيد، أبي زيان، أبي حمو، وأبي تاشفين لم يتكنى أحدهم بأية كنية، فان المصادر لم تشر إلى تكنيهم بكنى خاصة فتذكر أسمائهم دون كنيتهم.

و لم يختلف نظام الحكم عند الزيانيين لم يختلف عن دولة بني حفص أو بني مرين أو غيرهما، ففي عهد يغمراسن وضعت الأسس الأولى للبيت الحاكم الزياني، بعد مبايعة القبيلة ومشيختها له، رغم إنّ النظام الذي ساد قبل قيام دولة بني عبد الواد وأخذ صفة المملكة، كان

---

[1] وردت هذه الكنية في كتاب العبر، مج،7، ص 286.

[2] التنسي، المصدر السابق، ص 228، الجيلالي (عبد الرحمان محمد)، تاريخ الجزائر العام، ج، 2، ص190.

[3] التنسي، المصدر السابق، ص 230، عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ج 2، ص 194.

[4] بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 60.

ولاحظنا أن بعض الكنى قد أعيدت في دولة بني زيان، رغم تكني بعض الملوك من قبل مثل، أبي سعيد، أبي زيان، أبي حمو، وأبي تاشفين لم يتكنى أحدهم بأية كنية، فان المصادر لم تشر إلى تكنيهم بكنى خاصة فتذكر أسمائهم دون كنيتهم.[1]

و لم يختلف نظام الحكم عند الزيانيين لم يختلف عن دولة بني حفص أو بني مرين أو غيرهما، ففي عهد يغمراسن وضعت الأسس الأولى للبيت الحاكم الزياني، بعد مبايعة القبيلة ومشيختها له، رغم إنّ النظام الذي ساد قبل قيام دولة بني عبد الواد وأخذ صفة المملكة، كان انتخابيا، بمعنى أنه ينتخب زعيم القبيلة من طرف عامة القبيلة (الشعب)، بعد ذلك انتقل من نظام انتخابي إلى نظام أميري؛ حيث أخذ يغمراسن من مراسيم المملكة ولبس أوسمتها، وعيّن الولاة في المدن والأقاليم (العمّال) التي تخضع لحكمه، وكانت حاشيته وأتباعه تتكون من أفراد أسرته ومن الرؤساء القدامى للقبائل الرحل مثله [2] " واقتعد الكرسي ومحا من آثار الدولة المؤمنية، وعطلّ من الأمر والنهي، و لم يترك من رسوم دولتهم وألقاب ملكهم إلا الدعاء على منابره للخليفة بمراكش، وتناول التقليد والعهد من يده تأنيسا للكافة ومرضاة للأكفاء من قومه".

في كتاب التنسي يقول: أن أول من قام بوظيفة الملك، ونظم دره بعد التفرق في أوثق سلك، وأحي من خلافة آبائه رسما كان دارسا، وأيقظ من الدولة الحسنية جفنا طالما كان ناعسا، الملك الهمام الأسد الضرغام، فخر الملوك وتاج الأعيان: أمير المسلمين أبو يحيى يغمراسن ابن زيان، نهض فاستولى وحل من تراث آبائه في الملك، فكان خليفة الله المرتضى، وسيف حمايته المنتفى، شرق بشروق ولايته ملوك المشرق والمغرب، وتمنى الكون في إيالته أهل مكة

---

(1) بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 60.

(2) لقب "الملك" معناه الزعيم الأعظم، فهو يجمع بين العظمة والسلطان، واستخدم هذا اللقب كثيرا عند الأوروبيين لدلالة على السيطرة المطلقة لحاكم مقاطعة أو دولة وما شابه ذلك، والملك يعني رجل ملك تملكه بالقوة والقهر. وللملوك ألقاب كثيرة في شتى المماليك، فالتتابعة (ملوك اليمن) والأكاسرة (ملوك الفرس)، والفراعنة (ملوك مصر)، والقياصرة (ملوك الروم)، والكنعانين (ملوك الشام) والفرنسيس (ملوك فرنسا)، والنجاشي (ملك الحبشة) والدوك (ملك البندقية). القلقشندي، المصدر السابق، ص170.

التلمساني أبو إسحاق إبراهيم ين يخلف التنسي[1] من أهل السنّة، وأمر ببناء مئـــذنتين لأقـــدم مسجدين في تلمسان (مسجد أجادير الذي أسسه إدريس الأول، ومسجد تلمسان تجـــارت الذي أسسه المرابطون)، واستمر هذا الاهتمام بالفقهاء وأهل العلم والتقوى حتى في عهد أبنائه وأحفاده مما ساعد على تطوير هذه المدينة حضاريا وبنيت بها مساجد ومدارس كانت مسخرة للعلم والطلبة[2]وظهرت المدارس لأول مرة بخراسان عام 1000م، وبينما في الجزائر نجدها في عهد بني زيان الذين أسسوا ثلاثة مدارس معروفة وهي: مدرسة أولاد الإمام وتسمّى كـــذلك بالمدرسة القديمة التي أسست عام 710هـــ/1310م.

واحتوت هذه المدرسة على قاعتين كبيرتين. ثم المدرسة التاشفينية التي بنيت على 25م جنوب المسجد الكبير بتلمسان، واشتهرت بجمالها حسب ما وصفها المؤرخ التنسي، فكانـــت تباهي في جمالها وزينتها القصور. رمّمت في عهد السلطان أبي العباس، لأنها ملحق لزاوية سيدي الحسن المزالي، الرجل التقي الذي مات سنة 1453م وكان يعشقها كثيرا.

والمدرسة التاشفينية عرفت بأنها فريدة من نوعها من حيث تصميماتها بالغرب الإسلامي (لهـــا واجهاتان، وبابان، وقاعتها واسعة جدا للصلاة مقسمة إلى ثلاثة أجزاء بأقواس...الخ)

أما بالنسبة إلى المساجد، فنجد مسجد تلمسان الذي قام بتوسيعه الأمير يغمراسن بـــن زيان، حسب ما ذكره كل من التنسي ويحيى بن خلدون، وأصلح منارة صـــومعته، ثم هنـــاك

---

[1] أبو اسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي: يعد من أبرز علماء تلك الفترة، رحل إلى المشرق، وأخذ علـــوم المنطق والجدل والكلام، وغير ذلك من العلوم عن كثير من علماء تونس والقاهرة، كما أخذ الرواية من أبي علي ناصر الدين المشدّالي ببجاية، ومن العلماء الذين أخذ منهم العلوم، القرافي، وشمس الدين الأصـــبهاني، وسيف الدين الحنفي، وابن دقيق العيد. رجع إلى مسقط رأسه، ولما استولى يغمراسن على تنس اســـتقدمه إلى تلمسان، وطلب منه أن يقيم فيها لتدريس العلوم الدينية، وألف شرحا في عشرة أجزاء لكتاب " تلقين المبتدأ وتذكرة المنتهى" لأبي محمد عبد الوهاب المالكي في الفروع، توفي أبو اسحاق التنسي بتلمسان ســـنة 760هـــ، عبد الحميد حاجيات أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، ط2، الشـــركة الوطنيـــة للنشـــر والتوزيع، الجزائر، 1982.

[2] ابن خلدون، المرجع السابق، مج7، ص 166.

عهد بني زيان الذين أسسوا ثلاثة مدارس معروفة وهي: مدرسة أولاد الإمام وتسمّى كذلك بالمدرسة القديمة التي أسست عام 710هـ/1310م.

واحتوت هذه المدرسة على قاعتين كبيرتين. ثم المدرسة التاشفينية التي بنيت على 25م جنوب المسجد الكبير بتلمسان، واشتهرت بجمالها حسب ما وصفها المؤرخ التنسي، فكانت تباهي في جمالها وزينتها القصور. رمّمت في عهد السلطان أبي العباس، لأنها ملحق لزاوية سيدي الحسن المزالي، الرجل التقي الذي مات سنة 1453م وكان يعشقها كثيرا.

والمدرسة التاشفينية عرفت بأنها فريدة من نوعها من حيث تصميماتها بالغرب الإسلامي (لها واجهاتان، وبابان، وقاعتها واسعة جدا للصلاة مقسمة إلى ثلاثة أجزاء بأقواس...الخ)

أما بالنسبة إلى المساجد، فنجد مسجد تلمسان الذي قام بتوسيعه الأمير يغمراسن بن زيان، حسب ما ذكره كل من التنسي ويحيى بن خلدون، وأصلح منارة صومعته، ثم هناك مسجد سيدي أبو الحسن (سيدي بلحسن) الذي أسس في عهد أبي سعيد عثمان سنة 696هـ-1296م) للأمير ابن عامر إبراهيم بن يغمراسن بعد موته، والكتابات الجدارية التي توجد غرب قاعة الصلاة وأمام المحراب تؤكد هذا، حسب بروسلاغ Brosslard .

أما مسجد أولاد الإمام الذي أنشئ بعد أربعة عشرة سنة من طرف أبي حمو موسى كملحق المدرسة القديمة التي كان يدرّس بها العالمان ولدا العالم بمنطقة براش قرب مدينة تنس، وأختص هذا الجامع بالتدريس.

نضيف إلى هذين المسجدين، مسجد المشوار، ومسجد سيدي إبراهيم الذي رمّمه أبو حمو موسى الثاني محي الدولة الزيانية من جديد. كما أنه قام بترميم ضريح، وزاوية، ومعهد، وهذه المؤسسات جمعت كلها في المدرسة اليعقوبية، ولكن المسجد[1] والقبة حملا اسم الرجل الصالح سيدي إبراهيم المصمودي.

3-تطور مفهوم الحكم عند الزيانيين:

تميزت السلطة في دولة بني زيان بشكلين، أولهما الشكل الذي ساد منذ بداية الدولة حتى تولية أبي حمو موسى الثاني، وثانيهما يبدأ من أبي حمو موسى الثاني حتى آخر سلاطين بني زيان.

---

(1) Bourouiba, Rachid, Opcit, P.135-136-146.

وكان طابع السلطة السائد دنيويا أكثر منه دينيا، أما الشكل الثاني للسلطة في هذه الدولة هو وجود السلطتين في يد حاكم واحد وهو أبو حمو موسى الثاني، -أي السلطة الدينية والسلطة الدنيوية. هذا عكس ما كان موجودا في بداية دولة بني زيان التي سيطرت فيها السلطة الدنيوية، أي سلطة الأمراء والمشايخ الذين كانوا يديرون أمور الدولة مع حاكمها الأول. إذ امتزجت هاتين السلطتين وأضحى للحاكم الواحد مهمتين يعني أن الحكم في دولة بني زيان انتقل من حكم أميري إلى حكم ديني خلافي، وقد تلقب هذا السلطان بلقب أمير المؤمنين لإبراز قوته السياسية بالمغرب الإسلامي مسايرا قوة أمراء بني حفص وبني مرين الذين تلقبوا بلقب خليفة المسلمين، وحاولوا تمثيل هذه السلطة من خلال دولتهما بالمنطقة، كخلافة دار الإسلام. والدولة الزيانية في عهد أبي تاشفين الأول الذي كان يهدد الخليفة الحفصي ومواجها لضربات بني مرين ظهرت طموحاته الخلافية هو كذلك حسب ما أوضحه Van Berchen ابتداء من سنة1907 [1].

وظل نظام ولاية العهد متبعا أثناء هذين الطورين[2]، مثل ما سنة يغمراسن عندما ولى ابنه عثمان جده، ولكن لا نعرف الكيفية التي يتم بها العهد فالاختيار يكون للابن الأكبر، وهذا ما تميزت به دولة بني زيان عن غيرها، كما أن هذا التعيين يكون في أول الأمر من طرف الملك أو السلطان ثم تأتي بعد ذلك موافقة المشيخة وآل البيت أي الأمراء، والأعيان، ورجال الدولة ولا نعرف الشروط اللازمة التي يجب أن تتوفر في الشخص المختار أي ولي العهد الذي يخلف السلطان بعد موته[3].

---

[1] Dhina, (A), OP.CIT, P. 86.

[2] اشتركت الدول الإسلامية التي عرفها المغرب الإسلامي، خلافة أو أمارة أو مملكة في أن طريقة أو كيفية تعيين ولي العهد غير واضحة فالتعيين يكون مباشرة من طرف العاهل الذي يرى في الشخص المختار الكفاءات اللازمة لتولي هذا المنصب بعده، غير أن شروط التعيين لم تكن واضحة والتي يقوم عليها هذا الإخيار. فبالنسبة إلى العالم الإسلامي فإن أقدم عهد إلى عهد أبي بكر الصديق لعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

[3] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 270، 273، 274.

وظل نظام ولاية العهد متبعا أثناء هذين الطورين[1]، مثل ما سنة يغمراسن عندما ولى ابنه عثمان جده، ولكن لا نعرف الكيفية التي يتم بها العهد فالاختيار يكون للابن الأكبر، وهذا ما تميزت به دولة بني زيان عن غيرها، كما أن هذا التعيين يكون في أول الأمر من طرف الملك أو السلطان ثم تأتي بعد ذلك موافقة المشيخة وآل البيت أي الأمراء، والأعيان، ورجال الدولة ولا نعرف الشروط اللازمة التي يجب أن تتوفر في الشخص المختار أي ولي العهد الذي يخلف السلطان بعد موته[2].

كما أن كيفية تعيين ولي العهد غير واضحة في دولة بني عبد زيان فابن خلدون مثلا لم يشرح كيفية تعيين هذا الولي الجديد، وهل هذا التعيين يكون بوثيقة رسمية يكتبها العاهل أو أعوانه؟ أم تعيين شفوي بحضور الأمراء وأعيان الدولة للموافقة على هذا الإجراء الذي اتخذه السلطان قبل وفاته. ولكن هناك إشارة من طرف المؤرخ يحي بن خلدون إلى الكيفية التي تم بها تعيين أبو تاشفين الثاني من طرف أبيه أبي حمو موسى الثاني فقال:"ففي الثاني من جمادى المذكورة الأولى من سنة أربع وسبعمائة " دخل الحضرة العليا مولانا ابن تاشفين... ولما خبر مولانا الخليفة أيده الله خبره، وأنس بره، وأبتلى في الحادثات صبره، وشاهد امتثاله نهيه وأمره، رفع في عليين قدره، وأنار بسماء الملك بدره ... فألقى إليه مقاليد علانيته وحقائقه، ثم أشركه في السيف والقلم والطبل والعلم والعقد والحل والترحال والحل والمواكب والقصور... وأخذ الناس بالبيعة له وأبلغه من رضاه أمنه وأمله، فهو ولي عهده، والخليفة بعد طول العمر إن شاء الله-من بعده-..." وهذه الوثيقة توضح كيف يتم هذا التعين، وما هي الأساليب التي يتخذها العاهل للتأكيد على هذا أي أنها غير شاملة فهي من دون شرح وتوسع غير أن هذا لم يمنع من قيام هذه الدولة.

---

(1) اشتركت الدول الإسلامية التي عرفها المغرب الإسلامي، خلافة أو أمارة أو مملكة في أن طريقة أو كيفية تعيين ولي العهد غير واضحة فالتعيين يكون مباشرة من طرف العاهل الذي يرى في الشخص المختار الكفاءات اللازمة لتولي هذا المنصب بعده، غير أن شروط التعيين لم تكن واضحة والتي يقوم عليها هذا الإخيار. فبالنسبة إلى العالم الإسلامي فإن أقدم عهد إلى عهد أبي بكر الصديق لعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(2) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 270، 273، 274.

أما عن البيعة التي أقرها بنو زيان فيمكن حصرها في النصوص المستمدة من كتاب العبر لعبد الرحمان بن خلدون الذي أحسن نقل الطريقة التي يتم بها مبايعة سلاطين بني زيان.

ونبدأ ببيعة السلطان عثمان بن يغمراسن حيث قال: " ... فهلك هنالك آخر ذي القعدة من سنة (681هـ) والبقاء لله وحده فحمله ابنه أبو عامر على أعواده...ثم أعد السير إلى تلمسان، فلقيه أخوه عثمان بن يغمراسن ولي عهد أبيه في قومه فبايعه الناس وأعطوه صفقة إيمانهم ثم دخل إلى تلمسان، فبايعه العامة والخاصة وخاطب لحينه الخليفة بتونس أبا اسحاق وبعث إليه ببيعته فراجعه بالقبول، وعقد له على عمله على الرسم، ثم خاطب يعقوب بن عبد الحق يطلب منه السلم، لما كان أبوه يغمراسن أوصاه به..."

وبيعة ابن زيان محمد بن عثمان لم تختلف عن سابقتها، يقول ابن خلدون:" أخبرني شيخنا العلامة محمد بن إبراهيم الإبلي[1] وكان في صباه قهرمان دارهم قال: هلك عثمان بن يغمراسن بالديماس... وجاء الخادم إلى قعيدة بيته زوجه ...ثم بعثت عن ابنيه: محمد أبي زيان وموسى أبي حمو فعزتهما عن أبيهما. وأحضرت مشيخة بني عبد الواد[2]... فقال أحدهم مستفهما عن الشأن مترجما على القوم: السلطان معنا آنفا ... فإن يكن هلك فخبرونا، فقال أبو حمو، وإذا هلك فما أنت صانع؟ .

---

(1) يعد أبو عبد الله الإبلي (681هـ-757هـ) إحدى العلماء الذين كان لهم أثر كبير في إرساء دعائم النهضة بالمغرب الإسلامي. درس على أبي موسى بن الإمام وأبي العباس بن البناء المراكشي. فقد نبغ في الفلسفة والمنطق والرياضيات وسائر العلوم العقلية، وقضى حياته في خدمة العلم، وكون جيلا من كبار العلماء أمثال، عبد الرحمن بن خلدون، ويحيى بن خلدون، وأبي عبد الله الشريف، وأبي عبد الله بن النجار، والمقري الكبير، وسعيد العقباني، وابن السباغ المكناسي، وإليه يرجع الفضل في اتجاه عبد الرحمان بن خلدون نحو فلسفة التاريخ وعلم العمران البشري. عبد الحميد حاجيات، نفس المجلة، نفس العدد، ص40،41. معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى منتصف القرن العشرين عادل نويهض، ط1، من منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1971، ص 10.

(*) مشيخة بني زيان هم أهل الحل والعقد (الجماعة).

(2) يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ص 169

ثم إزدحموا عليه بحيث توارى شخصه عن الناس، يسلمون عليه بالإمـــارة، ويعطونـــه السفقة على الطاعة والبيعة حتى استكملوا جميعا ثم انطلقوا به على رجالهم..." وهـــذه البيعـــة تختلف عما سبقها، حيث تمت من دون مراسيم وأبهة أو إكراه وعن اقتناع مطلق مـــن قبـــل المبالغين[1].

أما عن بيعة السلطان أبي حمو موسى الثاني فيقول ابن خلدون:" ودخل السلطان أبـــو حمو إلى تلمسان يوم الأربعاء لثمان خلون من ربيع الأول سنة ستين وسبعمئة، واحتـــل منـــها بقصر ملكه واقتعد أريكته وبويع بيعة الخلافة"[2].

من خلال هذه النصوص التي ذكرها ابن خلدون يظهر لنا أن أشكال البيعـــة كانـــت متنوعة منها البيعة بواسطة المصافحة بالأيدي وأيمان البيعة وتقبيل الأرض وتقبيـــل اليـــد [3]، وتقبيل الرجل وتقبيل الذيل. وأكثر المبايعات لدولة بني عبد زيان هي المصافحة بصفقة الأيدي إيمان البيعة وتقبيل اليد، وتتم على مرحلتين: البيعة الخاصة والبيعة العامة: ويأخذ السلطان بنفسه في بعض الحالات بيعة الناس، بينما يأخذها من ينوب عنه في حالات أخرى[4]

واستمر بنو زيان في سياستهم هذه فقام السلطان أبو حمو موسى بتقسيم الأعمال بـــين بني أبنائه، وتولية أبي تاشفين بعده، ويقول ابن خلدون في هذا الصدد..."وكان أبو تاشـــفين ولّي عهده، وقد رفعه على الباقين، وأشركه في أمره، وأوجب له الحق على وزراة دولته، فكان لذلك رديفه في ملكه ومظهر سلطته"[5]. و لم تسلم المملكة الزيانية من صراعات الإخوة حول الملك، فتعيين الوالد لولي عهده، لم يكن في أغلب الأحيان مقبولا من طرف الأبناء الآخـــرين، مثل ما حدث بين ابن تاشفين وأخوته الأربع، غير أن هذا لم يمنع من استمرار الدولة وتشـــييد القصور والمنتزهات طيلة عهده[6].

---

[1] بوزياني الدارجي، المرجع السابق ص 88.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق ، ج7، ص 146.

[3] إن شكل البيعة التي اتخذها بني زيان، كبيعة تقبيل الأرض واليد والرجل كانت متبعـــة كـــذلك عنـــد الفاطميين بالمغرب الإسلامي للدلالة على الطاعة للخليفة الجديد الذي تم تعينه.

[4] بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 89.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق،ج7، ص 125.

[6] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 73.

فالجديد في نظام الحكم الوراثي للدولة الزيانية هو ما أدخله أبو حمو موسى الثاني[1] في تنظيم دولته رغم عدم استقراره (760هـ/791هـ)-1359م-1389م).

فهو وضع أسس تنظيمه من واقعه المعاش، وتجربته السياسية العسكرية-وأخذ من كتابه الذي ألفه كمصدر لتمهيد قواعد ملكه وتجديد رسوم دولته، وعنون كتابه" واسطة السلوك في سياسة "الملوك، وقد أوضح أبو حمو هدفه من كتابه هذا إذ ضمنه" وصايا حكيمة وسياسة عملية علمية، مما يختص به الملوك وتنظيم بها أمورهم انتظام السلوك".

والملاحظ أن أبا حمو اعتمد على المصادر العربية الإسلامية التي عالجت موضوع النظم الإسلامية، ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية مثل كتاب "سلوان المطاع"لابن ظفر المادي، و"سراج الملوك" للطرطوشي، و"العقد الفريد" لابن عبد ربه، وكتاب "المنهج المسلوك في سياسة الملوك" لعبد الرحمن بن عبد الله [2].

---

[1] أبو حمو موسى الثاني الزياني: ولد بالأندلس في مدينة غرناطة، عاصمة بني الأحمر، سنة 723هـ، أستقدم إلى تلمسان مع أبيه باستدعاء من السلطان أبي تاشفين الأول، فتربى وترعرع بتلمسان مع أبناء الأمراء، تتلمذ على يد علماء أجلاء فاكتسب علما وافرا في مبادئ اللغة العربية والعلوم الدينية، هاجر إلى فاس بعدما استولى على تلمسان، وكان عمره لا يتجاوز 15سنة.

استمر في حيه للعلم فطالع كتب الحكمة والأخلاق والسياسة، كما يظهر ذلك من خلال آثاره الأدبية، عاد إلى وطنه مع عائلته الملكية في أوائل سنة 750هـ، واستقر مع والده مع أبيه بندرومة بعيدا عن كل نشاط سياسي زاهدا في الحياة، ظلت حياته غير مستقرة، فهاجر ثانية إلى إفريقية، وألقى عليه القبض ببجاية هو ومعه أبي ثابت، الذي أعدمه المرينيون، وسجن عند المرنيين لبضع سنوات، ظل مستقرا بأفريقية أي تونس يتطلع الأخبار بتلمسان وما آل أبناء قبيلته في شتى النواحي، فتحالف مع السلطان الحفصي أبي إسحاق وقبائل الدواودة ضد أبي عنان الأمير المربي، وكسروا قوته. فدخل تلمسان مع حلفائه، وصار ملكا عليها 760هـ-1359م فبدأ بذلك تنظيم دولته الجديدة عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص 69 -73.

[2] وداد القاضي، النظرية السياسية للسلطان: أبو حمو موسى الزياني ومكانها بين النظريات السياسية المعاصرة لها، مجلة الأصالة، عدد خاص، 27، سبتمبر، أكتوبر، 1975، ص 38-40.

كما حمل هذا الكتاب [1] قواعد الملك وأركانه وأوصافه. قبل تولية أبي حمو الزياني إمارة العبدية، فولاية العهد كانت بعد مقتل بن يغمراسن على يد ولده يحي الذي انتقلت إليه البيعة بعد وفاة أخيه الأكبر أبي حفص عمر في معركة تلاغ سنة 669هـ، غير أن يحيى يغمراسن لم يعش طويلا، فانتقلت ولاية العهد إلى أخيه أبي عثمان سعيد الذي ولد في نفس السنة التي ولد بها يحيى(369هـ)، وأصبحت الإمارة في أسرة أبي عثمان إلى أن استولى أبو الحسن المريني على تلمسان سنة 737هـ/1337م، ثم انتقلت الإمارة من جديد بعد وفاة عميه أبي سعيد وأبي ثابت إليه أي إلى أبي حمو موسى الثاني الزياني، وصارت بذلك الإمارة بأسرة أبي يعقوب يوسف[2].

---

[1] كتاب" واسطة السلوك في سياسة الملوك" ألفه أبو حمو موسى الثاني حوالي سنة 771أو 777هـ، ومضمون الكتاب كان حول كيفية أو قواعد تسيير شؤون الدولة وأوصى ابنه وولي عهده بالأخذ به للوصول إلى قمة النجاح.

وقسمه إلى أربعة أبواب، احتوى الباب الأول على نصائح عامة، يجب على الملك مراعاتها إذا أراد أن يفوز بنجاح الدنيا والآخرة، وهذه النصائح هي: الاتصاف بالعدل، وملازمة التقوى، وحفظ المال، والعناية بالجيوش.

أما الباب الثاني: فشمل قواعد الملك وأركانه، وهي أربع كذلك، العقل، والسياسة، والعدل، والاعتناء بجمع المال والجيوش، والباب الثالث تضمن تحليلا للأوصاف المحمودة التي يستقيم بها الملك، وهي الشجاعة، والكرم، والحلم، والعفو، ويأتي بعد ذلك الباب الرابع، في الفراسة ويشتمل على دراسة نفسية لهيئة الناس، والاستدلال بظاهرهم وسمة وجوههم عما يجول في ضمائرهم، وبالخصوص السفراء الذين يأتون إلى بلاده لنوايا مختلفة، كإبرام الصلح والاتفاقيات، وفي آخر الكتاب يتوجه أبو حمو إلى ابنه ببعض النصائح ويحثه على التحلي بمكارم الأخلاق، واتباع الحق، واجتناب الباطل، والعمل للأخرة، ويرغبه في مساعدة المسلمين في جهادهم ضد النصارى بالأندلس، والاحتفال بليلة المولد الشريف، وإلى نظم المولديات، وينهى كتابه ببعض القصائد التي أنشدها أبو حمو بالمولد النبوي الشريف.- عبد الحميد حاجيات المرجع السابق، ص، 197-202.

[2] أبو يعقوب يوسف: ولد سنة 689هـ، وهو والد أبو حمو موسى الثاني، إنفرد عن أخوته بحبه للعلم والزهد، عاش بغرناطة، ثم بالبلاط المريني بفاس، ثم انتقل من جديد إلى تلمسان في عهد أبي تاشفين الأول، ثم عاود إلى فاس، ثم إلى ندرومة، وعاد إلى تلمسان بعد أن قامت ابنه حمو موسى الزناتي، عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص 40-71.

بعد وفاة أخيه الأكبر أبي حفص عمر في معركة تلاغ سنة 669هـ، غير أن يحيى يغمراسن لم يعش طويلا، فانتقلت ولاية العهد إلى أخيه أبي عثمان سعيد الذي ولد في نفس السنة التي ولد بها يحيى(369هـ)، وأصبحت الإمارة في أسرة أبي عثمان إلى أن استولى أبو الحسن المريني على تلمسان سنة 737هـ/1337م، ثم انتقلت الإمارة من جديد بعد وفاة عميه أبي سعيد وأبي ثابت إليه أي إلى أبي حمو موسى الثاني الزياني، وصارت بذلك الإمارة بأسرة أبي يعقوب يوسف[1].

فالإمارة الزيانية إمارة ملكية وراثية، توالى على حكمها أبناء من بيت واحد(بيت الزناتة)، وظلت هذه السلطة بها رغم الظروف الصعبة التي حاطت بدولة بني زيان منذ نشأتها، فالصراع المتواصل بينهم وبين المرينيين حول المدينة الاستراتيجية" تلمسان" لم يمكن بني زيان من السيطرة على الحكم لفترات متواصلة، وظهور دولة أبي حمو موسى الزياني بتنظيمها الجديد، أعطى مفهوما مميزا لنظرية الحكم لهذه الدولة التي نشأت بين دولة إسلامية سادت لقرون طويلة كذلك بالمغرب الإسلامي.

أدرك أبو حمو موسى أن الاستقرار عنصر لا يستهان به لتسيير شؤون الدولة، فشرع باكتساب نواحي القطر ووضعها تحت سيطرته، وكسب المؤيدين كقبيلة المعقل الساكنة في الحدود الغربية، فتوالت عليه البيعة من وجدة وندرومة وهنين[2]، ومستغانم وتمزعزان والبطحاء وقلعة وهوارة وغيرها من المناطق المناخية لدولته.

ببعض القصائد التي أنشدها أبو حمو بالمولد النبوي الشريف.- عبد الحميد حاجيات المرجع السابق، ص، 197-202.

(1) أبو يعقوب يوسف: ولد سنة 689هـ، وهو والد أبو حمو موسى الثاني، إنفرد عن أخوته بحبه للعلم والزهد، عاش بغرناطة، ثم بالبلاط المريني بفاس، ثم انتقل من جديد إلى تلمسان في عهد أبي تاشفين الأول، ثم عاود إلى فاس، ثم إلى ندرومة، وعاد إلى تلمسان بعد أن قامت ابنه حمو موسى الزناتي، عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص 40-71.

(2) هنين: تقع غرب الساحل الوهراني بين ميناء بني صاف، والغزوات، وهو ميناء كان أقرب من الساحل الأندلسي، وكان آنذاك يربط مباشرة ميناء المرايا.

ولعب ميناء هنين دورا كبيرا في اقتصاد بني زيان، الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص 214.

- نظم أبو حمو موسى قصيدة في بداية حكمه لإمارته ضمنها حسن نواياه.

بعد هذا قام بتقسيم المسؤوليات على رجال دولته الذين يكونون" بيروقراطية الدولة"، محددا معالم كل واحد منهم تحديدا واضحا، شارحا الدور الذي يلعبه في الدولة، ثم أوضح الصفات التي يجب أن تتوفر في صاحب المنصب لكي تسلم الدولة ومعها يسلم الملك ويستمر سلطانه، بمعنى أن الملك هو المسؤول الوحيد في الدولة لتعيين أو اختيار رجال دولته.(الحكم المطلق).

وكانت دولة بني زيان كانت تتكون من إحدى عشرة جماعة هي: الوزراء[1] والجلساء، وكاتب السر، وكاتب الأشغال، وفقيه الدولة وقاضيها وعمالها وصاحب شرطتها وصاحب الحسبة بها ثم أعوان الملك، ثم بعد ذلك يأتي سائر الناس[2].

أحياها بي، وبأعرابي وأنا الترابي، والدولة لي
بي أحياها بي أنشأها لي أعطاها، أزل الأزل
الله قضى والحكم مضى ولنا فرضا، فدعوا عزلي
حملني الملك ومن يقوى يحمل ما فيه من الثقل؟
أحمي المظلوم وأنصره وأقيم الحق على عجل
وأنا موسى وأبو حمو أصلح للملك ويصلح لي

- عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص 310.

(1) الوزير: في تنظيم دولة بني عبد الواد أبو حمو موسى، الوزير يحتل أعلى مراتب الدولة، باعتباره أكثر الناس تأثيرا في قدر الملل، ويرى أبو حمو أن على الملك أن يختار" وزيرا كبيرا" خطيرا، بالأمور بصيرا تتوفر فيه ثمانية خصال: أن يكون من أحسن قومه وعشيرته، بعيدا عن المعايب، وافر العقل، ليحفظ سر الملك والدولة، ويكون حافر الذهن سريع الفهم عندما يتحدث ملكه، ويكون راجح الرأي حتى يصلح رأي الملك والدولة، إذا احتاج إلى اصلاح، ويكون ناصعا ودودا صالحا أو لا يغش الملك في نصيحته إياه، ويكون شجاعا في المهمات؛ لأنه ينوب الملك في المواجهات الكبيرة، ويكون بليغ البيان والعبارة لأن جمال الملك، ثم يكون كثير المال غير ذي حاجة حتى يستغني بثروته عن الطمع والرشوة، وداد القاضي، العدد الخاص، ص 58.

(2) سائر الناس: كان أبو حمو موسى يستقبل عامته يوم الجمعة، وبعض أيام الأسبوع وهذه العامة هي على درجات، فأولهم الشرفاء، ثم الفقهاء، ثم أرباب الحرف والصناعات والتجارات، ثم العامة والدهماء، ومن أدنى المراتب بينهم الأرامل، والأيتام والضعفاء والمساكين وأهل السجون، العدد السابق، ص 63.

لولي عهده. وأبو محمد بن عبد الله بن مسلم الزردالي [1] كان أول وزراء بني عبد زيان الذي تمتع بصلاحيات كبيرة بدولة تلمسان، وتعتبر نقطة انطلاق جديدة في هذا العهد ولخص ابن خلدون هذا الانتقال بهذا الوصف: " ولحى بالسلطان أبي حمو بثروة المال، وعصبة من العشير وأولياء من المحرب، فيسير بمقدمه، وقلده لحينه وزارته وشد به أواخي سلطانه وفوض إليه تدبير ملكه فاستقام أمره وجمع القلوب على طاعته وجأجأ بالمعقل من مواطنه الغربية، فأقبلوا عليه وعكفوا على خدمته. وأقطعهم لمواطن تلمسان وآخا بينهم وبين رعغبة، فعلا كعبة واستفحل أمره واستقامت رياسته[2]. ومن بين الوزراء الذين تداولوا على وزارات بني عبد الواد، منهم عائلة يحيى بن مكن وعمروش، وعمر، غانم بن محمد الراشدي، رحو من بن محمد بن علي الخرساني المعروف بن أبي الفتوح التجاني، ويحيى بن موسى الكمي وأبو موسى عمران بن موسى بن فارس بن حريز اللؤلؤي، ووادفل بن عبو بن حماد، وأحمد بن العز وغيرهم.

ومن خلال هذه الأسماء التي خدمت دولة بني زيان، يتضح لنا أن هذه الدولة جعلت من الوزارة منصبا هاما في تسيير شؤونها وأبعدت الفقهاء ورجال الدين عن هذه المهام الهامة وبذلك كانت الدولة دولة دنيوية أكثر منها دينية.

زيادة عن مرتبة الوزارة، كانت لمرتبة الحجابة[3] التي تأتي مباشرة بعدها، مكانة وأهمية في دولة بني زيان، وقيدت هذه المرتبة بشروط، منها أن صاحب الحجابة يكون على مستوى رفيع جدا يخضع لمقاييس الكفاءة والخبرة.

---

[1] محمود بوعياد المرجع السابق، ص 23-29.

[2] أبو محمد بن عبد الله بن مسلم الزردالي: وهو من بني زردال اخوة بني زيان، نشأ وترعرع بتلمسان تحت رعاية السلطان أبي تاشفين (موسى بن علي الكردي) وكان عبد الله بن مسلم هذا شديد البأس والإقدام له شهرة في البسالة والشجاعة، استعمله أبو الحسن المريني بعد سقوط تلمسان في درعة، لما تولى أبو عنان عرش بني مرين قلده عمالة ذرعة. وبقي على ذلك حتى التحق بأبي حمو موسى الثاني، فاستنذر إليه وزارته. ومنحه نفوذا واسعا في الدولة. ابن خلدون، المصدر السابق، مج7، ص 148.
نفسه، ص 148، بوزياني الدراجي: المرجع السابق، ص 129.

[3] الحجابة: نشأت هذه الخطة بدولة بني أمية بالمشرق، ثم ورثها عنهم بني العباس، وكانت مهمة الحاجب منع العامة من الدخول إلى السلطان إلا برخصة كي لا يشغلوه عن شؤون الحكم. ثم تطورت هذه المرتبة بالأندلس عند بني أمية حيث جعلوها تلي رتبة السلطان إذا أصبح صاحبها رئيسا على مختلف الوزراء وكان

أمره واستقامت رياسته[1]. ومن بين الوزراء الذين تداولوا على وزارات بني عبد الواد، منهم عائلة يحيى بن مكن وعمروش، وعمر، غانم بن محمد الراشدي، رحو من بن محمد بن علي الخرساني المعروف بن أبي الفتوح التجاني، ويحيى بن موسى الكمي وأبو موسى عمران بن موسى بن فارس بن حريز اللؤلؤي، ووادفل بن عبو بن حماد، وأحمد بن العز وغيرهم.

ومن خلال هذه الأسماء التي خدمت دولة بني زيان، يتضح لنا أن هذه الدولة جعلت من الوزارة منصبا هاما في تسيير شؤونها وأبعدت الفقهاء ورجال الدين عن هذه المهام الهامة وبذلك كانت الدولة دولة دنيوية أكثر منها دينية.

زيادة عن مرتبة الوزارة، كانت لمرتبة الحجابة[2] التي تأتي مباشرة بعدها، مكانة وأهمية في دولة بني زيان، وقيدت هذه المرتبة بشروط، منها أن صاحب الحجابة يكون على مستوى رفيع جدا يخضع لمقاييس الكفاءة والخبرة.

وأوكلت لمهمة الحجابة لدولة بني زيان كل ما يتعلق بأمور السلطان وداره، كما كانت تسند إليه الحسابات والسجلات المالية ويظهر دور الحاجب منذ بداية دولة بني زيان أي منذ عهد يغمراسن الذي جعل من حاجبه مرتبة أعلى من مرتبة الوزير فهو مسانده في الشدة والضيق ومحل ثقته، والمفاوض باسمه وربما بذلك حل الإشكالات الفقهية التي عجز حلها.

واهتم أبناؤه وأحفاده بهذه المرتبة من بعده، ولكن زالت فيما بعد في عهد دولة ابن تاشفين الأول، ثم برزت من جديد موازية لمرتبة الوزارة، فصار الحاجب هو الوزير والعكس صحيح.

---

(3) نفسه، ص 148، بوزياني الدراجي: المرجع السابق، ص 129.

(4) الحجابة: نشأت هذه الخطة بدولة بني أمية بالمشرق، ثم ورثها عنهم بني العباس، وكانت مهمة الحاجب منع العامة من الدخول إلى السلطان إلا برخصة كي لا يشغلوه عن شؤون الحكم. ثم تطورت هذه المرتبة بالأندلس عند بني أمية حيث جعلوها تلي رتبة السلطان إذا أصبح صاحبها رئيسا على مختلف الوزراء وكان همزة وصل بينهم وبين السلطان. وفي المغرب الإسلامي يرى ابن خلدون أن استعمالها لم يكن محدودا بالدولة الموحدية الأولى، لكن في عهد بني حفص استندت إلى قهرمان دارهم الذي يهتم باقتصاديات القصر من لباس وأرزاق وغيرها، ثم توسعت مهامها وأصبحت مع مرور الوقت أسمى مرتبة في الدولة الحفصية إذ اختص صاحبها بشؤون السيف والقلم ثم انقطعت هذه الخطة في عهد أبي العباس وأزالها من نظام الدولة. و لم يتخذوا بنو مرين هذه الخطة، بل كانت عندهم خطة المزوار.

تطورت إلى مهمات كبرى، والسلطان أبي حمو موسى الثاني قد أوصى ولده في إحدى فصول كتابه:" أول داخل عليك مزوارك الموصوف، و عونك المعروف، ليعرفك بمن ببابك".

وفي فصل آخر من كتابه يوصي ولي عهده بأن يختار عونا، " مزوارا" يقدمه على بقية الأعوان ويترك له أمر التصرف في شؤونه وشؤون قصره، ويسند إليه تنفيذ عقوباته وانتقامه ويحرس بابه ويحفظ أمنه وأمن قصره...الخ".

بالإضافة إلى هذه المراتب السلطانية التي وجدت بالنظام التلمساني نجد خطط أخرى كخطة الكاتب التي كانت مهمته في دولة بني زيان تحرير مراسلات السلطان وعهوده ومعاهداته، كما يقرأ عليه ما يرد إلى بلاطه من رسائل وخطابات، هذا بالإضافة إلى مهمة التوقيع بين يديه وإصدار أوامره المكتوبة بأبلغ عبارة وأوجزها.

ووصفت كذلك لهذه الخطة مقاييس منها مقياس القربى والكفاءة وحسن السلوك، ومن دولة بني زيان، الفقيه أبي محمد بن الغالب، وأبي عبد الله محمد بن جدار والفقيه أبي بكر محمد ابن عبد الله بن داود بن خطاب العافقي المرسي، وأبي بكر بن محرز وأبي عيسى محمد بن محمد ابن أبي بكر السداد، وأبي المطرف بن عميرة ...الخ[1].

أما عن خطة صاحب الأشغال[2] " أو صاحب الأعمال" بدولة بني زيان يهتم صاحبها بالحسابات الخاصة بالعطاء والخراج، وهو الذي يصحح تلك الحسابات، وهو يلي الوزير في هذا الأمر وهو مرؤوس مباشرة من قبل السلطان لكي يعطي له كل التفاصيل الخاصة بالمصاريف التي صدرت من خزينة المال، الخاصة بالسلطان أو بأمر آخر.

وهذه الخطة خضعت إلى مقاييس فاختيار صاحب الأشغال يجب أن يكون من وجهاء القوم وذو صفات حسنة، فهذا أبو حمو موسى الثاني يوصي ولده وولي عهده قائلا:" يا بني وأما صاحب أشغالك وضابط أعمالك فلتتخيره من وجوه بلدك الأخيار، وكافة الحساب والنظار ويكون ذا ثقة وأمانة، وعفة وصيانة، وصلاح وديانة وحزم وكفاية وضبط ودراية عدلا

---

[1] بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 140-143.

[2] تعتبر هذه الخطة من مسميات المغرب الإسلامي والأندلس ووجدت هذه التسمية عند الأندلسيين والموحدين ثم استمرت في دول المغرب الثلاثة الحفصية، والمرينية، والزيانية، والنصرية بالأندلس، ويعتبرها ابن خلدون في الملك، لأنها تنشط الجبايات، وتحفظ حقوق الدولة المادية. ويرى كذلك بأن للملك ثلاثة أركان أساسية هي: " الجند، والمال والمخاطبة"

ابن عبد الله بن داود بن خطاب العافقي المرسي، وأبي بكر بن محرز وأبي عيسى محمد بن محمد ابن أبي بكر السداد، وأبي المطرف بن عميرة ...الخ[1].

أما عن خطة صاحب الأشغال[2] " أو صاحب الأعمال" بدولة بني زيان يهتم صاحبها بالحسابات الخاصة بالعطاء والخراج، وهو الذي يصحح تلك الحسابات، وهو يلي الوزير في هذا الأمر وهو مرؤوس مباشرة من قبل السلطان لكي يعطي له كل التفاصيل الخاصة بالمصاريف التي صدرت من خزينة المال، الخاصة بالسلطان أو بأمر آخر.

وهذه الخطة خضعت إلى مقاييس فاختيار صاحب الأشغال يجب أن يكون من وجهاء القوم وذو صفات حسنة، فهذا أبو حمو موسى الثاني يوصي ولده وولي عهده قائلا:" يا بني وأما صاحب أشغالك وضابط أعمالك فلتتخيره من وجوه بلدك الأخيار، وكافة الحساب والنظار ويكون ذا ثقة وأمانة، وعفة وصيانة، وصلاح وديانة وحزم وكفاية وضبط ودراية عدلا في أحوالك صادقا في أقواله عارفا بأنواع الخوارج والجبايات، ضابطا للزمام والحسابات، ويكون ذا مال ويسار، وأثاث وعقار، فإن كان على ما وصفتاه على أفعاله كان محافظا على بيته وديانته وماله، ويكون محبا في سلطانك آخذا بالنصح في جميع شأنك لأن مالك ومجابيك تحت نظره، وعلى يده التصرف فيها في ورده وصدره."

وقد وجد سلاطين دولة بني زيان هذه المقاييس فاحتكرها عدد كبير من وجهاء الدولة وهم: عبد الرحمان بن محمد بن ملاح، وأبو المكارم منديل بن محمد بن المعلم، وأبو عبد الله محمد بن مسعود، وخدموا هؤلاء الفترة الأولى من دولة بني زيان من عهد يغمراسن إلى عهد أبي سعيد عثمان الثاني.

أما في دولة السلطان أبي حمو موسى الثاني، فقد تولى مرتبة "الأشغال" العلامة الفقيه أبي عبد الله محمد بن علي العصامي، وأبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن أحمد القيسي الشهير بمشوش، وأبو زكريا يحي بن محمد عبد الحليم. وما يمكن استخلاصه هنا عن خطة

---

(1) بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 140-143.

(2) تعتبر هذه الخطة من مسميات المغرب الإسلامي والأندلس ووجدت هذه التسمية عند الأندلسيين والموحدين ثم استمرت في دول المغرب الثلاثة الحفصية، والمرينية، والزيانية، والنصرية بالأندلس، ويعتبرها ابن خلدون في الملك، لأنها تنشط الجبايات، وتحفظ حقوق الدولة المادية. ويرى كذلك بأن للملك ثلاثة أركان أساسية هي: " الجند، والمال والمخاطبة"

صاحب الأشغال أنها قد عرفت تغييرا، إذ أصبح صاحبها مكلفا بالعلامة، وهي من المراتب السامية التي لا تعطى إلا لأهل الثقة، حيث يتولاها أقرب الناس للسلطان.

وأبو زكريا يحيى بن محمد عبد الحليم. وما يمكن أن نستخلصه هنا عن خطة صاحب الأشغال أنها قد عرفت تطورا إذ أصبح لصاحبها مكلفا بالعلامة وهي من المراتب السامية التي لا تعطى إلا لأهل الثقة حيث يتولاها أقرب الناس للسلطان[1].

وعلامة بني زيان" الحمد لله والشكر لله" ولكن هذا غير موثوق فيه[2]. أما مجالس السلطان وموكبه عند ركوبه، فكانت تضم خيرة الناس وأفضلهم، وقد وضع لهذه المجالس ترتيبات لتحديد مراتب الأعيان بمجلسه، فقد ذكر أبو حمو موسى الثاني في كتابه ومن خلال وصايته لولي عهده، أنه خص الشرفاء"الهاشميين" بالمرتبة الأولى، ثم تليهم مرتبة الفقهاء، ثم شيوخ البلد والقبائل، ثم أمناء التجارات والحرف والصناعات. أما عامة الناس فينظر إليهم، أبو حمو نظرة أستقراطية حيث يضعهم في أسفل الدرجات[3].

وكانت مراسيم المتبعة في ركوب السلطان، مقيدة بنصيحة أبي حمو موسى الثاني الذي أمر ولده بأن لا يكثر من الركوب، وأن يخصص لذلك أوقاتا معنية،كي لا يمله الناس من جهة، وحتى لا يذمونه من جهة أخرى، وأن يلتزم السكون في ركوبه وأن لا يلتفت يمينا ولا

---

(1) العلامة: رمز بواسطة عبارة يتخذه السلطان لإضفاء طابع الرسمية على مكاتباته، منعا للتزوير والتلفيق وتوضع على المكاتبات أحيانا علامة واحدة بينما يضع الآخرون في مكاتبتهم علامتين تسمى" العلامة الكبرى" والثانية " العلامة الصغرى" وتوضع الصغرى في آخر الكتاب.

العلامة الكبرى لدولة بني حفص هي " الحمد لله والشكر لله" وتكتب بحروف كبيرة بين البسملة والتصلية في أول الخطاب. أما العلامة الصغرى التي تكتب في آخر الكتاب التي بدأ استعمالها منذ عهد أبي العباس (722هـ/1370م)، فهي كالتالي:" توكلت على الله وهو حسبي".

أما بنو مرين حسب ما قاله عطاء الله دهينة، عبارة تقول: " وكتب في التاريخ" أما بالنسبة للنصريين فلم تكن لهم أبدا. DHINA (A), Opcit, 163.

(3) Dhina, (A), Op.cit, P,176.

(2) وداد القاضي، المجلة السابقة، العدد السابق، ص 39،40

ودولة بني عبد الواد الزيانية كانت لها مراسيم تقام احتفالا بالمناسبات الدينية والزمنية مثلها مثل دولة بني حفص وبني مرين، فالبلاط الزياني أو المنشور منذ عهد يغمراسن بن زيان احتل مكانة مرموقة في تاريخ المغرب الإسلامي، فهو البلاط الرسمي للدولة بعدما أدخلت عليه بعض التحسينات لكي يتماشى مع دوره الجديد[1].

وأضاف بني زيان قصورا أخرى بتلمسان نالت شهرة واسعة ببلاد المغرب، إذ ذلك أنه: "لم يزل عمران تلمسان يتزايد، وخطتها تتسع والسروح بها بالأجر والقرميد، تعالى وتشاد، إلى أن نزلها آل زيان واتخذوها دارا لملكهم وكرسي لسلطانهم فاختطوا بها القصور المونقة والمنازل الحافلة، واغترسوا الرياض والبساتين وأجروا خلالها المياة، وأصبحت أعظم أمصار المغرب".

أما عن الاحتفالات، فكانت تخص، العروض العسكرية، والاحتفال بالمولد النبوي الشريف، والاحتفال باليوم السابع للمولد النبوي الشريف، الاحتفال بختم القرآن الكريم، الاحتفال بعيد الأضحى، ويوم الجمعة الاحتفال بتدشين المنشآت.

الآلة: وهي مظهر من مظاهر البدخ والأبهة التي يتخذها السلاطين لإبراز قوة ملكهم وهي عبارة عن مجموعة الطبول والأبواق والألوية والرايات[2]التي ترافق موكب السلطان في الحروب والأعيان. وكل الدول التي عرفها المغرب الإسلامي استعملت الرايات بمختلف ألوانها وأشكالها، كاللون الأبيض، الأصفر، والأحمر، والأخضر، والأزرق، فكان لكل لون يدل على شعار معين أو هدف معين.

وكان من هؤلاء السلاطين من ألقوا قصائد في الزجل، وفي مدح سيد البرية محمد صلى الله عليه وسلم، محمود بوعياد، المرجع السابق، ص 30-45، عبد الحميد حاجيات، المجلة السابقة، العدد السابق، ص28-30.

[1] احتوى هذا المنشور على بابين، يسمى الباب الأول:" باب التوتية" والثاني " باب المشور" وأحيانا " باب أعذير". وشكل هذا البلاط كان مستطيلا وازدهر أيام أبي حمو موسى الثاني.

[2] اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم الرايات، و لم يستعمل الأبواق والطبول وأتبع الخلفاء الراشدون سنته. ولكن في الدولتين العباسية والفاطمية انتشر استعمال الرايات والأبواق والطبول بأعداد كبيرة ومختلفة. وهذه الرايات كانت تمثل القبائل التي كانت تخضع للسلطة المركزية سواء بالمشرق أو المغرب الإسلامي.

ويرجع تاريخ اتخاذ الآلة في دولة بني زيان الزيانية منذ قيامها على يد يغمراسن بن زيان الذي يقول عنه ابن خلدون:" اتخذ الآلة ورتب الجنود والمسالح... [1] ورايات السلاطين هـذه تكون في الساقة التي تتبع السلطان وأوصى كذلك أبو حمو الثاني ولي عهده- أمامه وفي القلب " وإذا كانت رايات القلب تخفق وطبوله تزأر كان ذلك حصنا للجناحين... يا بني إذا لقيت عدوك في الحرب فاجعل راياتك أمامك..."[2]. كما استخدمت الرايات كذلك بهدف التشجيع مثل ما قام به أبو حمو عندما أرسل" الشيخ عثمان بن مسلم الزردالي يشد ساعد ولده... وأرسل إليه بالطبل والبند". وهذا تأكيدا لما ذكره ابن خلدون[3]

ومن الشارات السلطانية كذلك " السرير" أو "العرش"، وكلمة " عرش" لم تكن كثيرة الاستعمال مثل كلمة "السرير" و"الأريكة" و" التخت" و"الكرسي" لتحديد المقعد الذي يجلس عليه السلطان عن جلسائه. وأول من اتخذ الكرسي في دولة بني زيان مؤسسها الأول يغمراسن بن زيان، وذلك حسب قول ابن خلدون:"... وفرض العطاء واتخذ الوزراء والكتاب، وبعث في الجهات العمال، ولبس شارة الملك والسلطان واقتعد الكرسي ومحى من آثار الدولة المنية" [3]. كما استخدمت كذلك لفظة " الأريكة" في عهد أبي حمو الأخير (الثاني) ويقول ابن خلدون في هذا:"... وتلاهم السلطان الرابعة من دخولهم وعاود سلطانه واقتعد أريكته وكانت إحدى الغرائب..."[4]. ويشير يحي بن خلدون أن الأريكة قد استخدمها سلاطين بني زيان كما استعمل العبارة نفسها مع عبارة " سرير" حيث قال:" كان استقرار مولانا الخليفة أمير المسلمين أبي حمو بدار الملك... فاقتعد أريكة الملك وامتطى سرير الخلافة " [5] .

وسرير الخلافة يدل على البذخ والأبهة التي وصلت إليهما دولة بني زيان في عهد أبي حمو موسى الثاني الذي حاول تطبيع خلافته بخلافة دار الإسلام.

أما عن السكة التي تعبر عن استقلال وسيادة أية دولة كانت خطة اعتنى بها سلاطين بني زيان بهدف إبراز سلطتهم على الساحة السياسية جنبا إلى جنب مع دولة بني حفص وبني

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج.7، ص 93.

[2] بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ج7، ص 102.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 93.

[4] نفسه، ص 160.

[5] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص37.

مرين. وبالفعل كانت سكة دولة بني زيان تحمل شعارات الدولة وكانت نقودهـــا في منتـــهى الجمال[1].

الخاتم: فهو من الخطط السلطانية والوظائف الملوكية، وكان الخاتم في دول المغرب الإســـلامي أحد العلامات المميزة والشارات الخاصة بالسلطان فأحسنوا سبكه وصياغته وترصيعه بمختلف الفصوص من: الياقوت، والفيروز، والزمرد. وكان السلطان يضعه في إصبعه تمييـــزا لـــه [2]. واستعمل الخاتم بغرض ختم الرسائل والصكوك، التي تصدر عنهم.

وننتقل الآن إلى الطراز والتاج اللذان يعتبران سمة من سمات الملك، فالطراز هـــي تلـــك الكتابات والرسوم المنسوجة والمطروزة بخيط الذهب وغيره على أبواب السلاطين الحريرية وهي من خصوصيات السلاطين وامتيازاتهم آنذاك، ودليل كذلك على الأبهة والبذخ وتأثر ســـلاطين وملوك المغرب الإسلامي ببني الأحمر والأندلس قد ظهر جليا عند دولة بني مرين الذين اقتبسوا طراز سلاطينها من الدولة الناصرية، ولا نعلم إذا كان هذا التأثير قد انتقل بدولتين الحفصـــية والزيانية. وأما التاج فلم يكن مستعملا ببلاط بني زيان، لأن جل المصادر لم تشر إليـــه، ربمـــا احتفظ التلمسانيون بالعمامة تشبها بالخلفاء في المشرق[3].

الفساطيط:

وهي بيوت صنعت من الشعر أو القطن أو الكتان. اتخذها السلاطين مساكن لهـــم في تنقلاتهم و أسفارهم، تماديا في البذخ وزيادة في الأبهة.

و أول من اتخذ من الفسطاط مسكنا له في أسفاره يغمراسن بن زيان بعـــدما اســـتولى علـــى فسطاط الخليفة الموحدي السعيد و منذ ذلك الحين صار له دون قومه و يقول ابن خلدون:"... وأنتهب المعسكر بجملته، و أخذ بنو عبد الواد ما كان به من الأخبيـــة والغـــازات. واخـــتص

---

[1] بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 105.

[2] أول من اتخذ الخاتم في الإسلام هو الرسول صلى الله عليه وسلم عندما أراد مكاتبة قيصر روما. ومنـــذ ذلك الوقت صار الخاتم رمزا للسلطان كما صار القضيب والبردة رمزا للخليفة العباسي والمظلة للخلفـــاء الفاطميين.

[3] بوزياني الدراجي، المرجع السابق ص 106

يغمراسن بفسطاط السلطان فكان له خالصته دون قومه، واستولى على الذخيرة التي كانت فيه..."[1].

وقبل أن تنتهي من هذه الشارات السلطانية، علينا أن نشير إلى المقصورة و الدعاء. فقد استعملت المقصورة خصيصا للسلطان في المسجد، وهدفها حماية السلطان من الضربات الخادعة. أما عن الدعاء فاختصت به دولة بني زيان منذ بدايتها. [2] فكان أولا لخلفاء الدولة الموحدية، ثم لبني حفص، ثم اقتصر بعد ذلك على سلاطين بني زيان.

نهاية الدولة الزيانية:

لم يكن هذا التنظيم السياسي ثابتا في الدولة الزيانية نتيجة للفتن القائمة بين الأمراء الزيانيين المتنافسين على الحكم، رغم المحاولات العديدة التي قام بها الملك أبو حمو الثاني لبعث الاستقرار بين أفراد البيت الملكي[3].

إذا فنظام الولاية أي ولاية العهد لم يكن محترما من طرفهم، فالكل كان طامعا في السيطرة والحكم بين الاخوة والأعمام وأبناء العمومة مما أضعف المملكة الزيانية بعد وفاة أبو حمو موسى الثاني، إذ قام الأمراء الزيانيون باعتماد على النصارى لضرب اخوتهم، والاعتماد على المرينيين كذلك لاستيلاء على السلطة سواء بتلمسان أو بمناطق التابعة للدولة[4].

إنّ هذا الاضطراب واستمرار الحروب هو الذي أضعف زناتة وجعل القوة العربية حتمية، فلم يعد بنو هلال أغرابا ودخلوا في سياسة البلاد دخولا ظاهرا جدا في إمارة بني زيان،

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، مج 7، ص

[2] بوزياني الدراجي، المرجع السابق ص 109

[3] عبد الحميد حاجيات، تاريخ دولة بني زيان من خلال كتاب" نظم الدر العقبان" لأبي عبد الله التنسي المتوفي سنة 899هـ/1494م، مجلة التاريخ، الجزائر، 1980، ص6.

حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 14

[4] نفسه، ص146.

لم يكن هذا التنظيم السياسي ثابتا في الدولة الزيانية نتيجة للفتن القائمة بين الأمراء الزيانيين المتنافسين على الحكم، رغم المحاولات العديدة التي قام بها الملك أبو حمو الثاني لبعث الاستقرار بين أفراد البيت الملكي[1].

إذا فنظام الولاية أي ولاية العهد لم يكن محترما من طرفهم، فالكل كان طامعا في السيطرة والحكم بين الاخوة والأعمام وأبناء العمومة مما أضعف المملكة الزيانية بعد وفاة أبو حمو موسى الثاني، إذ قام الأمراء الزيانيون باعتماد على النصارى لضرب اخوتهم، والاعتماد على المرينيين كذلك لاستيلاء على السلطة سواء بتلمسان أو بمناطق التابعة للدولة[2].

إنّ هذا الاضطراب واستمرار الحروب هو الذي أضعف زناتة وجعل القوة العربية حتمية، فلم يعد بنو هلال أغرابا ودخلوا في سياسة البلاد دخولا ظاهرا جدا في إمارة بني زيان، فاستعرب الزناتيون، مما نتج عنه تحولا اجتماعي ديني، انتقل معه الولاء القبلي إلى الولاء الديني، وزالت العصبية وحلت الطريقة الصوفية[3].

ودولة بني زيان كغيرها من الدول الإسلامية التي نشأت بالمغرب الإسلامي،عرفت نشأتها تطورات ساعدت على قيامها قوية منيعة غير أنها زاتل وانتهت لأسباب ارتبطت

---

(3) عبد الحميد حاجيات، تاريخ دولة بني زيان من خلال كتاب" نظم الدر العقيان" لأبي عبد الله التنسي المتوفي سنة 899هـ/1494م، مجلة التاريخ، الجزائر، 1980، ص6.

حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 14

(4) نفسه، ص146.

(1) بدأت دراسات التصوف بالمغرب الإسلامي في القرن السابع الهجري، أخذته الدول الثلاثة بني مرين، وبني حفص، وبني عبد الواحد ضمن العلوم الدينية، وأنتشر التصوف بين المتصوفين وبين العامة على السواء. ودخل التصوف في الإسلام الرسمي وأحدث تغيرا عميقا حيث تغير التصور العقلي للعقيدة الإلهية بوصف الله هو الرب الجبار المنتظم إلى تصور عاطفي، وإلى مذهب في الحب مفاده أن الله قريب من الجميع. نجد مثلا محمد المغي الذي أولع بالتعليم الصوفي، شعيب أبو مدين الذي درس المذاهب الصوفية.

بالصراعات التي نشبت في ظله وزالت بسببه، بالإضافة إلى صراعاتها مع الممالك أو المملكتين الحفصية والمرينية اللتان كانتا ترغبان في توحيد أراضي الخلافة الموحدية ضمانا لمصالحها.

هذا الصراع على الحكم خلال ثلاثة قرون أدى إلى زعزعة البيت الزياني، مما أدى إلى التدخل في أمورها سواء من قبل النصارى أم العرب مما زاد من حدة التقلبات والصراعات غير أن هذا لم يمنع من بقاء هذه الدولة التي مزجت بالحضارة العربية الإسلامية وبحضارات أخرى بالمغرب الأوسط وما زالت بعض معالمها إلى يومنا بمدينة تلمسان ودلس والجزائر و وهران وندرومة وهنيين، وسيق وغيرها.

وكان سقوط المملكة الزيانية، الرومانية على يد السلاطين المرينيين الذين ظلوا يهاجمون أمراء بني زيان فتسببوا في إضعاف قدراتهم المادية فيما بعد، وأدىعدم الاستقرار إلى رحيل عدد كبير منهم إلى مناطق خارج تلمسان، وضواحيها هروبا من الفتن والحروب التي دامت طوال حياة هذه الدولة. هذه الحروب المستمرة أتلفت كذلك هذه المملكة وجعلتها عاجزة عن بسط سلطاتها على القبائل التي ترتبط حسب مصالحها بواحدة أو بأخرى من الدول الثلاثة التي تتقاسم المغرب.

فنهاية دولة بني زيان أدخلت المغرب في حرب دموية مع الإفرنج، حتى مجيء آل عثمان بساحل البحر الأبيض المتوسط متصديا لغزوات الطامعين في خيرات هذه الدولة الإسلامية.

خصائص الحكم بالدولة الزيانية:

عندما استولى بني زيان على الحكم، وأصبحت تلمسان عاصمة لهم لم يهتموا بخلافة المسلمين مثلما فعل بنو حفص وبنو مرين؛ الذين حاولوا أخذ مكان المؤمنية بعد سقوط آخر خلفائها (زعامة المسلمين)، والتسابق إلى أخذ اللقب الأعلى" أمير المؤمنين" بدل" أمير المسلمين".

فكانت مطامع بني زيان بسيطة، لأن القوتين الحفصية والمرينية منعتها من التفكير في السيطرة على المغرب الإسلامي، والقيام بهذا انتحار لدولتهم وأسرتهم[1].

كما أن هذه الدولة التي دامت ثلاثة قرون، لم تكن دولة ثيوقراطية يترأسها زعيم ديني مثل ما لاحظناه في الدولة الفاطمية والدولة المرابطية، والدولة الموحدية، بل القائد هو المؤسس

---

(1) ألفريدبال، المرجع السابق، ص315.

الشرقية بني حفص والغربية بني مرين اللتان مثلتا الخلافة الإسلامية بالمغرب بعد سقوط الخلافة العباسية ببغداد على يد التتار، والإمبراطورية الموحدية بالمغرب الإسلامي. لكن ما يميزه عن غيره أن حكم الزيانيين كان نظام حكم مطلق، والسلطة كلها بيد الملك، فهو الذي يقرر ويفصل في أمور دولته، والوزير والجلساء والعلماء وغيرهم ما هم إلا أعوان له لتنفيذ أوامره وهذا يعني أن مبدأ الشورى لم يكن معمولا به عكس ما كان في الدولة الموحدية (أهل الجماعة). ونظم الدولة الزيانية تميزت بالتفوق أحيانا عن نظم دولة بني مرين وبني حفص وغيرهما.

خلاصة الفصل:

ما نستخلصه من هذا أن بلاد المغرب، خلال فترة الدول التي نشأت بعد زوال الخلافة الموحدية كانت دول حربية أكثر منها حضارية، فالخلافة بالنسبة إلى هؤلاء لم تعن رعاية المسلمين ومصالحهم بل كانت تمثل حب السيطرة والتوسع والتملك. فهذه الصيغة التي طغت على هذه الدول سهلت من عملية سقوطها، واحتلالها فيما بعد من طرف النصارى الذين استولوا على الثغور والموانئ التجارية الهامة التي كانت مصدر رخاء وتطور لهذه المنطقة، كهنين، وفاس، والجزائر، ومراكش، وتلمسان، ووهران.

وسنرى في الفصل الموالي أن الدولة المرينية هي الأخرى، دولة دبّ فيها الصراع من أجل السلطة منذ بدايتها، ومفهوم الخلافة كذلك عند هذه الدولة التي تلقب أمراؤها بلقب "أمير المؤمنين" لم تنقذ المغرب الإسلامي من هذا التمزق الذي أودى ببلاد المغرب إلى سقوطها اقتصاديا وسياسيا.

الفصل السادس

الـــدولـــة المـــرينـــيـــة

(591هـ-875هـ)(1195م-1470م)

تمهيد

1. الأدوار التاريخية لقيام دولة بني مرين

2. تطور مفهوم الحكم عند المرنيين

أ. الألقاب و الشارات الخلافية

ب. البيعة و الوظائف السلطانية و مراتبها

خلاصة الفصل

تمهيد:

وكما سبق لنا أن أشرنا إلى أنه في سنة 613هـ/ 1216م كان الشقاق في الدولة الموحدية قد أخذ منعرجا خطيرا وخاصة في السنة الثالثة من خلافة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن خامس خلفاء الموحدين، هذه الوضعية المضطربة ساعدت على ظهور تمرّد قبلي بربري في مناطق عديدة، كأحواز فاس التي قامت بها قبيلة بني مرين، وهم من بطون بني واسين من فروع الزناتية، من فرع فاتن بن مطغرة يدّر بن يخفت بن عبد الله بن ورتيجن بن حتري بن زحيك بن مادغيس الأبتر[1] أدى فيما بعد إلى انفصالها عن الخلافة الموحدية.

كان بنو مرين يسكنون بلاد القبلة من زاب أفريقية، فقد كانوا يحلّون في هذه المنطقة قرب واحة بسكرة قصد الاستقرار الموسمي، لكن في أواخر القرن التاسع دفعهم العرب الهلاليون أمامهم إلى المغرب، فانتقلوا إلى منطقة وهران وانظموا إلى عدد من القبائل الزناتية التي تسكن المنطقة الكبرى، مثل بني يلومي، وبني يادين الذين ينحدر منهم بنو عبد الواد[2] الذين سيأسسون دولة تلمسان، أما بنو مرين فقد أسسوا دولتهم بفاس عام 592هـ/1195م بزعامة أبي محمد عبد الحق بن أبي خالد محيو بن أبي بكر بن جمامة بن محمد الزناتي المريني الذي

---

1) بنو مرين فخذ من زناتة، من شعوب بني واسين من قبيلة زناتة، وبنو مرين هم من بن ورتاجن بن ماخوخ بن جديج بن فاتن بن يدّر بن يخفت بن عبد الله بن ورتنيص بن المعز بن إبراهيم بن سحيك بن واسين، وأنهم أخوة بني يلومي ومديونة، وهم خمسة بطون: بنو عبد الواد، وتوجين، ومصاب، وبنو زردال، وإخوانهم بنو راشد بن محمد، وكانوا أهل التلول بالمغرب الأوسط، ومنهم كانوا ملوك فاس والمغرب الأقصى ابن خلدون، المصدر السابق، ج7 ص196، ابن الأحمر المصدر السابق، ص 10.

(2) بنو عبد الواد: هم من زناتة أيضا، وهم من الطبقة الثانية حسب رأي ابن خلدون، وأصله عابد الوادي، رهبانية عرف بها جدهم من ولد سجيح ابن واسين بن يصلتين بن مسري بن زكيا، بن ورسيج بن مادغيس الأبتر بن بر بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وفي سجيح هذا يجتمع نسبهم ونسب فروعهم بني مرين وشعبهم خمس بنو ياتكتن وبنو وللّو ومصوجة وبنو تومرت، وبنو ورسطف، وهم أهل بادية، استوطنوا الصحراء من أجل الرعي، من سجلماسة إلى زاب إفريقية.

يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1980، ص186.

يعتبر منشئ هذه الدولة التي دخلت في صراع مع الدولة الحفصية ودولة بني عبد الـــواد طيلـــة وجودها غير أنها تمكنت من إرساء دولة إسلامية أعطت للحضارة الإسلامية تراثا فكريا وعلميا يزخر به المغرب الإسلامي.

هكذا وبعدما استطاع بنو مرين التغلب على الجيش الموحدي الذي أرســـله ضـــدهم الخليفة يوسف المستنصر الموحدي [1]، والقبائل العربية وبعدها سطّر أبو سعيد عثمان أحد أبناء الأمير أبو محمد عبد الحق بن خالد بن يحي أبي بكر بن حمامة بن محمد الزناتي المريني[2] نظـــام ملكه الصغير، فأعلنوا ولاءهم لبني حفص الذين اعتبروا أنفسهم ورثة الخلافة الموحدية لفتـــرة معينة ثم استقلوا بالملك، ووضع سياسته التي كانت ترمي إلى غزو الأرياف دون المدن، وفرض ضريبة الخراج، وعقد المعاهدات، و نظم فترات الحرب والسلم[3] ودخلت القبائل المستقرة بممر تازا وما يليه غربا حتى مدينة فاس تحت سلطته، غير أن هذا الاستقرار لم يدم طويلا.

بعد وفاة أبي سعيد عثمان[4] بن عبد الحق سنة 637هـ/1239م، حيث انتصـــرت الجيوش الموحدية على بني مرين، فتفرقوا في الجبال ولجأوا إلى قبائل بربرية تسمى بربر غياتـــة أبناء عمومتهم في إقليم تازا، ثم اتجهوا بعد ذلك إلى الصحراء، إلى أن قامت دولتهم من جديد على يد أبي يحيى أبي بكر بن عبد الحق سنة (642هـ-656هـ/1244م-1258م) الذي بدأ في تنظيم قبائل بني مرين وأصلح ما بينها من خلاف وجعلها صفا واحد، قاصـــدا بـــذلك الاستيلاء على المغرب الأقصى كله، إلا أن هذه الطموحات زالت بسبب تحركـــات الجـــيش

---

(1) معركة المشعلة: دارت هذه المعركة بين الجيش الموحدي بقيادة علي بن وانودين وبنـــو مـــرين عـــام 1220/617م، قرب فاس، انتصر فيها بنو مرين وغنموا كل ما كان مع الجيش الموحـــدي مـــن آلات وسلاح وذخائر ومؤن، وسلبوا الموحدين حتى ملابسهم، فاضطر الباقون منهم إلى الاستتار بأوراق يسمى المشعلة، فسميت المعركة والسنة كلها بمعركة المشعلة، حسين مؤنس ، المرجع السابق، ص 14.

(2)كان أول ملوك بني مرين أبو بكر بن حمامة الزناتي المريني، يكنى أبا يحيى أمه حرة، هو أول ملك جند الجنود من بني مرين وضرب السكة.... ولما تم له الملك جمع أشياخ بني مرين فقسم عليهم بلاد المغرب، ابن القاضي، جدوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس، تونس، 1309، ابن الأحمر، المصدر السابق، ص 16.

(3)ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 146.

(4)حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 17.

الموحدي بزعامة الخليفة الموحدي أبي الحسن علي بن أبي العلا إدريس بن يعقوب المنصور الملقب بالسعيد، فهذه الحشود دفعت بالزعيم المريني ليعقد صلح والتعاون معه لضرب بني زيان والدخول إلى تلمسان[1].

ظلت هذه الأوضاع تسود مناطق الدولة الموحدية، حتى تمكن أبو بكر من انتزاع فاس وإقليمها من أيدي الموحدين، وبسط بنو مرين سلطانهم على شمالي المغرب كله، فنشأت بذلك دولة بني مرين، وتوسع ملكهم وورث خلفه أبي يوسف يعقوب كل شمالي مراكش حتى أم الربيع، وصارت فاس عاصمة لدولة هذا الأمير المريني الجديد الذي وضع سيطرته على الرباط، وسلا، وأنفا عام 668هـ 1269م، وبعدها قام بمهاجمة يغمراسن بن زيان الذي تحالف مع الموحدين ضده وهزمهم بوادي تلاغ شر هزيمة سنة 666هـ- 1267م عندما التقى الجيشان. ومات والد يغمراسن، وعاد يغمراسن بن زيان ومن بقي من جيوشه إلى تلمسان منهزمين[2] أما عن علاقة يعقوب بن عبد الحق[3] مع الحفصيين فكانت تتميز بالمجاملة والتلاطف بالتحف والهدايا وتبادل الوفود بينهما، وكان رؤساء هذه الوفود من الجانبين من أخيرة الكتاب والسفراء. ويقول ابن خلدون في هذا المعنى" ... فجمع له يعقوب بن عبد الحق في هذا الوفد من الأشراف من يحسن الرياسة، ويعرب ما في الضمائر، ويدل على شرف مرسليه".

---

(1)حسين مؤنس، المرجع السابق ، ص 17.

(2)ابن خلدون،المصدر السابق،مج7،ص213

(3)يعقوب بن عبد الحق، يعد أول من تلقب بلقب الخلافة وأمير المؤمنين بدولة بني مرين،ولد عام 609هـ1212م،وبويع سنة 656هـ1257م بعد وفاة والده. تلقب في أول الأمر"با لمؤيد با لله"ثم القائم بأمر الله والمنصور به.في عهده عرفت دولة بني مرين إستقرارا سياسيا وتنظيما عسكريا محكما نتيجة لكفاءته وقدرته. توفي بالجزيرة الخضراء أثناء جهاده ضد النصارى في شهر محرم سنة 685هـ/1287م دفن في أول الأمر بقصره بالبنية، ثم نقل إلى فاس فدفن بشالة من سلا، وله خمسة وسبعين سنة. ودامت دولته تسعة وعشرون سنة. ومن أعماله العمرانية أنه أضاف لقصبة مدينة فاس مساعدة أهل المعرفة بالهندسة والبناء في مد وحفر أساسها، ثم بنى به قصره والجامع الأعظم والسوق الذي حده من باب القنطرة إلى باب عيون صنهاجة والحمام الكبير، كما أمر الوزراء والأشياخ من بني مرين ببناء الدور بها، وتشييد القصور الرائعة المنظر المختلفة الأسماء وجلبوا إليها الماء العذب من العين المعروفة بعين" عمير". ابن الأحمر، المصدر السابق، ص 17-20.

ويضيف قائلا: "ثم أوفد المستنصر على السلطان يعقوب بن عبد الحق آخر سنة 669هـ1270 م بعدها شيخ الجماعة من الموحدين لعهده، أبا زكرياء بن صالح الهنتاتي، مع جماعة من مشيخة الموحدين في مرافقة محمد الكناني"[1] . هذه السياسة الذكية المتبعة من طرف يعقوب بن عبد الحق، مكنته من التفكير مجددا في فتح مراكش، وفق مخططه الذي ارتكز على الغارات المتكررة وبث السرايا أو إطلاق الأيدي والأعنة للنهب مما ساعده على اقتحام المناطق المناخية لمراكش وأحوازها والسير نحو الخليفة الموحدي أبي دبوس الذي دفعه قبائل عرب جشم، لمواجهة الزحف المريني على حضرة مراكش، والذي انتهى بمصرعه وفرار كل الموحدين إلى جبل تينملل، وخروج أهل مراكش وأهل الشورة من الحضرة إلى السلطان فأمنهم ووصلهم. وقد وصف ابن خلدون دخول أبو يوسف إلى مراكش أحسن وصف فقال:" وخرج الملأ وأهل الشورة من الحضرة إلى السلطان فأمنهم ووصلهم. ودخل مراكش في بروز فخم فاتح سنة ثمان وستين، وورث ملك آل عبد المؤمن وتولاه واستوثق أمره بالمغرب، وتتطامن الناس لبأسه، وسكنوا لظل سلطانه"[2]

وهكذا استوى على ملك الموحدين وأتته البيعة من أهلها، فانتقل بعد ذلك إلى مدينة فاس وجعلها دار الخلافة ومقر الإمارة[3].

1-الأدوار التاريخية لقيام دولة بني مرين:

مرت الدولة المرينية بأربعة أدوار تاريخية كبرى هي:

الدور الأول: وهو دور المنشأة والتكوين (610هـ-642هـ/1213م-1243م) ويبدأ من الأمير ماخوخ الزياني الذي كان أميرا على أرض زاب أفريقية والزاب الأسفل وهم من

---

(1)كانت طبيعة العلاقة بين السلطان المريني مع تونس مع اتخاذه لقب الخلافة تتصف بكثير من المجاملة، ويشير ابن مرزوق في كتابه " المسند" إلى هذه العلاقة فيقول:" ولما تمكن أبو يعقوب من الخلافة توجه أبو الحسن التنسي، رسولا إلى تونس للأمير أبي عبد الله" ماريا ميسيوس فيغيرا، "أخبار إفريقية في المسند لابن مرزوق"، أعمال الملتقى الثالث التونسي الإسباني، عدد خاص، العدد 103-104 تونس قرطاج 11-17 أفريل 1977.ص71.

(2)ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 215، 217.

(3)الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 144.

جبال إكجان، ثم انتقلت الإمارة من بعده إلى حفيده مرين بن ورتاجن ابن الأمير ماخوخ ومنه إلى الأمير حمامة بن محمد ثم إلى الأمير أبي بكرين حمامة. وتميزت هذه الفترة بكثرة الحروب بين الدولة الموحدية الضعيفة وبين بني عبد الواد، والحفصيين وسيطرة مشيخة بني مرين على أمـــور قبيلتهم. ودامت مرحلة الإمارة حتى أبي بكربن عبد الحق الذي كان أول من ضرب الطبـــول ونشر البنود وملاك البلاد من بني مرين[1].

-**الدور الثاني**: تشكيل دولة الأمير يحي بن عبد الحق، الذي أرسى الأسس الأولى لدولة بـــني مرين إذ قسم بلاد المغرب بين أمراء وقبائل وعشائر بني مرين، ونظم الجيش، وفرض الجبايـــة على العمالات التي تم فتحها من طرفهم كمكناسة ووطاط وحصون ملوية وفاس واقتطع رباط تازا ورباط الفتح. وتميزت هذه الفترة بولاء بني مرين لبني حفص والدعوة لهم بفـــاس وكـــل المناطق التي تم فتحها [2] ثم سجلماسة،كما تتميزت باستمرار الصراع بينهم، بني عبد الواد وبني حفص.

الدور الثالث: وهو دور الأبهة والسلطان المطلق، إذ أصبحت الدولة المرينية في قمة عظمتـــها وارتبطت هذه الفترة بشخصية أمير المسلمين المتوكل على الله فارس بن علي بن عثمـــان بـــن يعقوب بن عبد الحق المكنى بأبي عنان[3] (749هـــ-1348م/759هـــ1357م).الـــذي

---

(1)الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 144.

(2)ابن خلدون،المصدر السابق،مج7، ص 202-205.

(3)يكنى أبا عنان ولقبه المتوكل على الله، بويع في تلمسان في حياة أبيه سنة 749هـــ/1348م ولـــد بالمدينة البيضاء في 12 ربيع الأول من سنة 729 هـــ -1328م وقد تلقب بلقب أمير، وخلف أباه أبي الحسن بتلمسان بعد صراع طويل بينهما. اشتهر بعلمه الواسع، وعن هذا يقول ابن الأحمر:" كان فقيهـــا يناظر العلماء الجلة فيصيب ويخطئهم ومعرفته بالفقه تامة وكان عارفا بالمنطق وأصول الدين. وله خط صالح من العربية والحساب، وكان حافظا للقرآن عارفا بناسخه ومنسوخه كثير التمثل بالآيات، حافظا للحديث عارفا برجاله فصيح القلم كاتبا مرسلا بليغا بارع الخط حسن التوقيع.

أنشأ أبو عنان خزانة "القرويين" التي احتوت على كثير من الكتب على أنواع من علوم الأبدان والأديـــان واللسان والازدهار، وغير ذلك من العلوم على اختلافها وتنوع دروبها وأجناســـها والشـــكل وخزانـــة المصاحف الحسنة والخطوط ونصب الصواري والصوامع ونشر فيها الأعلام في أوقات الصلاة والسرج ليلا

أعطى لدولة بني مرين صورة دولة العلم كما أعطى بني حفص استقلالهم بتونس ولبني عبد الواد سلطتهم وتسمى بلقب أمير المؤمنين وكان وهو ثاني ملك في أسرة بني مرين يعطي نفسه هذا اللقب.

ويحتفل السلطان أبو عنان بمناسبات شتى، ويقيم مراسم الخلافة على سنن الخلافة بالمشرق إذ كانت تشبه احتفالاته هذه بالأبهة في قصورهم ورؤسائهم وجنودهم، فكان خروجه مثلا لصلاة الجمعة والعيدين يقع في مشهد عظيم وموكب فخم مما دفع بكثير من العلماء والأدباء بالمغربين الأدنى والأوسط والأندلس إلى الالتحاق بفاس التي صارت بلد العلم والعلماء من أمثال ابن مرزوق وابن الخطيب وابن الأحمر وابن رضوان، وابن جوزي، والمقري[1]، ومحمد بن محمد المغيري الذي كان قاضي أمير المؤمنين المتوكل على الله موسى بن أبي عنان المكنى بأبي فارس.

الدور الرابع: وهو دور الاضمحلال والسقوط بسبب الصراعات القائمة ببيت الحاكم حول السلطة مما أدى إلى نشوب خلافات حادة وقيام حروب داخلية ساعدت النصارى على الاستيلاء على مناطق كثيرة بأفريقية والأندلس.

وقد نتج عن هذه المنازعات ضعف القوة المادية والمعنوية لدولة بني مرين، وتفشي الأمراض والأوبئة وفرار عدد كبير من الناس إلى مناطق آمنة ببلاد المغرب الإسلامي. وكذلك تدخل العنصر العربي مثل بني سليم في الحكم وتسلطهم واقتطاعهم لأراضي زراعية هامة، بعدما توفرت فيهم القوة والغلبة، خاصة بعد ضعف سلطة بني مرين.

ومن خلال هذه الأدوار الأربعة يتضح لنا أن مفهوم الحكم بالنسبة إلى دولة المرينية تطور تدريجيا من إمارة بربرية سيطرت فيها المشيخة كهيئة سياسية ثابتة في نظام الحكم المريني تقوم بتعين السلاطين وتسيير شؤون الدولة سياسيا وعسكريا واجتماعيا فهذه الهيئة القبيلية التي

كما اهتم بالعلوم الشرعية وهي الفقه والحديث والتفسير فألفت كتب كثيرة في ذلك، كما اعتنى بعلوم الفروع، وعلوم الأدب، والعلوم الكونية والحساب والهندسة، والفلك والطب.

ابن الأحمر، المصدر السابق، ص 27، علي الجزنائي، المصدر السابق، ص 52، عطاء الله دهينة، الغزو المريني، وزارة الثقافة والسياحة المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص390-391.

(1)عبد الله، كنون، المرجع السابق، ص187.

كانت تتشكل من رؤساء ومشايخ قبائل التي دعمت أسرة بني مرين في قيادة القبائل الأخرى التي يتكون منها المجتمع المريني قد دامت فعاليتها حتى الطور الثاني من حياة الدولة المرينية.

احتلت فيه السلطة الزمنية الدنيوية مكانا واسعا، بمعنى أن نظام الدولة لم تسيطر عليه قوة الفقهاء، بل كان الملك هو الزعيم العسكري بإرادة شؤون مملكته ورعيته بمساعدة الأعوان المحليين المتشكلين من قبائله والقبائل المخضوعة.

أما عن مرحلة الانتقال من البداوة إلى نظام الملك ومراسيمه فقد ارتبط كما أشرنا سابقا بأبي بكر بن عبد الحق المكنى بأبي يحيى وهو العسكري الذي حكم سنة (642هـ-656هـ) إنّه: " أول من ضرب الطبول ونشر البنود وملك البلاد من بني مرين"[1] وهكذا أصبح ملوك الدولة المرينية يتصارعون مع ملوك بني حفص وبني عبد الواد للسيطرة على المغرب الإسلامي والأندلس التي تكالب عليها النصارى في هذا العهد[2] كما كان شعار الدولة شعارا للعروبة وصارت اللغة العربية لغة جميع المغاربة في شتى المصالح والمرافق، وحتى من الناحية الدينية التي كانت سليمة من كل نزعة وخالصة من كل بدعة، وضل المذهب الأشعري الذي أوجده الموحدون قائما عند أغلبية المغاربة وفي الفقه ساد المذهب المالكي نهائيا. ومال الناس كذلك إلى المذهب السلفي في العقائد[3].

أما المرحلة الثالثة: ففيها اكتمل بناء الدولة برئاسة خليفتها أبي عنان ثاني خلفاء بني مرين الذي استقل بملك المغرب كله[4] (سجلماسة، ومراكش، وتلمسان، وبجاية، وقسنطينة، وجيجل، والفتح، وتونس). ودفع بهذه الدولة إلى ركب الحضارة في مجالات شتى منها الفكرية والأدبية والعلمية وأعاد إلى أذهان الناس ما كان من أبهة الخلافة بالأندلس في قصورهم ومصانعهم ورؤسائهم وجنودهم، ويعقد مجالس المناظرة والمحاضرة ويدعم فن العمارة والنقش والزخرفة وغيرها[5].

---

(1)ابن الأحمر: المصدر السابق، ص 17.

(2)ابن أبي الدينار، المرجع السابق، ص167.

(3)عبد الله، كنون المرجع السابق، ص 186-187.

(4)ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 330-334.

(5) عبد الله كنون، المرجع السابق، ص 210.

في هذه المرحلة التي حمل فيها سلاطين بني مرين اللقب الخلافي لم تكن السلطة الدينية[1] منحصرة في المجال العلمي وتدريس العلوم الدينية بمختلف فروعها، و لم يكن للدين أي دور في تسيير أمور الدولة، باستثناء الدعاء وحث المسلمين على الجهاد عندما تكون المعركة بينهم وبين النصارى بالأندلس الشيء الذي جعل بعض رجال التصوف يقودون المسلمين في هذه المعارك بدلا من السلاطين الذين انشغلوا بأمور السلطة والتنافس على كرسي الحكم متجاهلين بذلك مصير المسلمين وما آلوا إليه .

وتميزت المرحلة الأخيرة من تاريخ بني مرين نفوذ الوزراء والحجاب، وتنافسهم على دفة الحكم، حيث أصبح بيدهم الحل والعقد، فهم الذين يتدخلون في التولية والعزل والقتل، وانتهت هذه المرحلة بظهور القوة العثمانية المتمثلة في الأخوين بارباروس حيث امتدت أنظار مسلمي المغرب إليهم من رغبة في أن يحموهم من هجمات النصارى، خاصة في الأماكن الاستراتيجية كالمدن الساحلية.

2-تطور مفهوم الحكم عند المرينيين.

نشأت الدولة المرينية من تجزئة الدولة الموحدية، ومؤسسها أبو سعيد عثمان الذي حاول منذ الوهلة الأولى وضع نظام لم يكن يختلف في محتواه عن نظام كل من الدولة الحفصية والدولة

---

(1) اهتم المرينيون ببناء المؤسسات التعليمة الدينية منها والعلمية، فاعتنى أغلب سلاطينها ببناء المدارس التي ذاع صيتها بالمغرب الإسلامي والمشرق، ومنها مدرسة أبي يوسف يعقوب(1258م-1286م) التي أسست عام 1271م، ثم مدرسة أبي الحسن سنة (748هـ- 1346م) أو 1347 م على مقربة من جامع القرويين ومن هي مدرسة العطارين، وتسمى اليوم مدرسة مصباح، وكذلك عرفت باسم المدرسة الرخامية بسبب نافورة رخامية التي أتى بها " أبو الحسن من الأندلس، ومدرسة السهريج التي أسست (1321م) ومدرسة السباغين (1323م) والعطارين(1342م) والمدرسة المصبحية (1346م). والمدرسة العنانية التي تعد من أروع مدرسة في فاس، إذ احتوت على قاعات كبيرة وخصصت للمحاضرات فقط، وقاعة للصلاة، وقاعة للوضوء وغيرها، كما كانت هذه المدارس أماكن لسكن الطلاب أكثر منها أماكن للتدريس، عبد الله كنون، المرجع السابق، ص 210. روجيه ليتورنو، تاريخ مدينة فاس ترجمة، نقولا زيادة، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت، نيويورك، ص ص 43-44. Dhina (A), Op,cit, P 311.

و الدولة الزيانية اللتان عاصرتا هذه المملكة التي تلقب أمراؤها بلقب" أمير المسلمين"[1] دون غيره رغم أن بعض المصادر تشير أن بني مرين قد تلقبوا باللقب الخلافي "أمير المؤمنين".

مما سبق يتبين أن الدولة المرينية التي قامت على أنقاض الخلافة الموحدية كانت تتطلع إلى رئاسة العالم الإسلامي[2] وتوحيده سياسيا، وهو ما عمل على تحقيقه هؤلاء الحكام، الذين اتخذوا ألقابا عدة وتسموا بها وتوسعوا في استخدامها.

إذا ما هي الألقاب التي اختارها حكام الدولة المرينية لأنفسهم؟ وما هي أوجه الاتفاق والاختلاف مع غيرها من ألقاب دول المغرب الإسلامي والأندلس؟ وهل ابتدع سلاطين بني مرين ألقابهم أم اقتبسوها من غيرهم؟

إنه باستقراء التاريخ السياسي للدولة بكل مراحل قوتها وضعفا التي مرت، يتبين لنا أن ألقاب حكام الدولة المرينية لم تخرج عن خصائص الألقاب التي عرفتها الدول المتعاقبة على حكم المغرب الإسلامي. والتي تميزت بالصراع الدائم والتنافس الشديد من أجل رئاسة العالم الإسلامي. ومن ثمة كان لقب "أمير المؤمنين" الهدف الأسمى الذي تصبو إلى تحقيقه هذه القوى السياسية.

كما يتبين من استعراض تاريخ حكم هؤلاء السلاطين الذين بلغ عددهم (خمسة عشرة أميرا) أن جلّهم تلقبوا بألقاب خلافية، وتكنوا بكنى خاصة.

---

(1)Levi-Provençal, OP,Cit, P68.
(2) IBID, P .68

أ - الألقاب والشارات الخلافية

-الـــكـــنى

لقد اتخذ سلاطين بني مرين الكنى والألقاب، لغرض الفخر والتعظيم والمدح، فكثر استعمالهما بالمغرب الإسلامي والأندلس عند الحكام وذوي الجاه والسلطان، وعامة الناس.

وهذه عينة من الكنى التي تحلى من بها بعض عواهل دولة بني مرين حسب تاريخ ظهورهم .

- تكنى عبد الحق بن كيو (592هـ-614هـ) بأبي محمد[1].
- تكنى الأمير عثمان بن أبي عبد الحق (614هـ-638هـ)بأبي سعيد [2].
- وتكنى الأمير محمد بن عبد الحق (638هـ-632هـ) بأبي معروف[3].
- وتكنى الأمير أبي بكر بن عبد الحق (642هـ-656هـ) بأبي يحي[4].
- وتكنى الأمير عمر بن أبي يحي بن عبد الحق (656هـ-657هـ) بأبي حفص[5].
- وتكنى المولى أمير المؤمنين يعقوب بن عبد الحق (656هـ-685هـ) بأبي يوسف[6].
- وتكنى أمير المسلمين يوسف بن يعقوب بن عبد لحق (685هـ-706هـ) بأبي يعقوب[7].
- وتكنى عامر بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق (706هـ-708هـ) بأبي ثابت[8].
- وتكنى عثمان بن يعقوب بن عبد الحق (710هـ-731هـ) بأبي سعيد .
- وتكنى أمير المسلمين علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق (731هـ-752هـ) بأبي الحسن[9].

---

(1) ابن الأحمر: المصدر السابق، ص 13.

(2) نفسه، ص 14.

(3) نفسه، ص 15.

(4) نفسه، ص 16.

(5) ابن الأحمر، المصدر السابق، ص17.

(6) نفسه، ص 18.

(7) (8) (9)نفسه، ص 19.

- وتكنى المتوكل على الله فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق (749هـ-759هـ) بأبي عنان[2].

-وتكنى محمد بن أبي عنان (752هـ-760هـ) بأبي زيان [3].

- وتكنى إبراهيم بن أبي الحسن (766هـ-762هـ) بأبي سالم.

- وتكنى عبد العزيز بن أبي الحسن (767هـ-774هـ) بأبي فارس.

- وتكنى أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن (775هـ-786هـ) بأبي العباس[4].

أما عن الألقاب التي تسمّى بها السلاطين بغرض التخصيص وتحديد بعض المراتب، أو للتفخيم والتعظيم، وقد استعملت منذ نشأة الدولة المرينية، إذ تسمّى مؤسسها منذ البداية بلقب "أمير" ثم تلقب بلقب " سلطان" ثم بأمير المسلمين،وأمير المؤمنين.

الأمير:

تلقب بنو مرين في بداية حكمهم بلقب"الأمير"[5] وكان هذا اللقب يطلق على حكام المغرب الإسلامي والأندلس معا. واستخدم هذا اللقب مع ألقاب أخرى كالسلطان وأمير المسلمين[6] وحمله كذلك أبناء السلاطين واخوتهم الذين أسندت لهم مسؤوليات في إدارة المقاطعات وقيادة الجيوش.

---

(1) المصدر السابق، ص20.

(2) نفسه، ص 21.

(3)نفسه، ص 34.

(4) المصدر نفسه، ص 14.

(5) ابن خلدون، المصدر السابق، ص209.

ولكن هذا لا يعني أنّهم تسموا بهذا اللقب الذي استعمله كتاب المشرق، لتعيين سلاطين المغرب الإسلامي، أيضا فقد استعمل هذا اللقب في القرن الرابع عشر الميلادي في عبارة "الخليفة الإمام، الملك الهمام"

وما لاحظناه أن ابن خلدون لم يطلق هذا اللقب على سلاطين بني مرين، فقد ذكرهم فقط بلقب الأمير، ولقب السلطان، وأمير المسلمين.

أمير المسلمين:

يعتبر هذا اللقب الأكثر استخداما بالمغرب الإسلامي وأول من تلقب به هو السلطان يوسف بن تاشفين مؤسس الدولة المرابطية ومنذ ذلك الحين أصبح متداولا بين الحكام، فمثلا أخذ أبو يوسف يعقوب (1258م-1286م) " لقب أمير المسلمين" بعد دخوله مدينة مراكش لإبراز شخصه كخليفة الموحدين بالمنطقة وكذا لإظهار هذه الخلافة ومشيختها[1]. ويقول ابن خلدون في لقب " أمير المسلمين " ولما وصل أمير المسلمين إلى حضرته من غزاة الجهاد فترادفت عليه أخبار هذه الملحمة، وقطع دابر بني عبد المؤمن فتظاهر السرور لديه وارتفعت إلى الله كلمات الشكر طيبة منه[2]. ويقول كذلك:" لما قفل أمير المسلمين من غزاته الأول واسترل الخوارج وثقف الثغور، وهادى الملوك واختط المدينة"[3] ...

ويقول ابن الأحمر فميا يخص هذا اللقب:" ...وقتله محمد بن يوسف بن علال وزير[4] المولى أمير المسلمين أبي العباس المريني بجيش بني مرين المظفر..." ويضيف قائلا :

" ... فأمر حتى أخرجه منها المولى أمير المسلمين أبو سالم المريني[5] إلى الصحراء عن فرار حين زحف إليه السلطان أبو سالم من فاس..."[6]

---

[1] Dhina (A), OPCIT,P, 82

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، مج7، ص230-231.

[3] نفسه، ص 231.

[4] ابن الأحمر، المصدر السابق، ص54.

[5] نفسه، ص56.

[6] Dhina, (A), Opcit, P492

ويقول ابن خلدون في لقب " أمير المسلمين " ولما وصل أمير المسلمين إلى حضرته من غزاة الجهاد فترادفت عليه أخبار هذه الملحمة، وقطع دابر بني عبد المؤمن فتظاهر السرور لديه وارتفعت إلى الله كلمات الشكر طيبة منه[1]. ويقول كذلك:" لما قفل أمير المسلمين من غزاته الأول واستنزل الخوارج وثقف الثغور، وهادى الملوك واختط المدينة"[2] ...

ويقول ابن الأحمر فميا يخص هذا اللقب:" ...وقتله محمد بن يوسف بن علال وزير[3] المولى أمير المسلمين أبي العباس المريني بجيش بني مرين المظفر..." ويضيف قائلا :

" ... فأمر حتى أخرجه منها المولى أمير المسلمين أبو سالم المريني[4] إلى الصحراء عن فرار حين زحف إليه السلطان أبو سالم من فاس..."[5]

وحملت بعض المساجد المرينية التي أقامها أو أسسها بنو مرين بالجزائر عبارات تحمل لقب أمير المسلمين ، منها مساجد المنصورة، وسيدي أبي مدين، وسيدي الحلوي، فمنارة المنصورة، وجد بها هذه الكتابة حول مؤسس هذا الجامع حسب بروسلاغ وجاء فيها:" الحمد لله رب العالمين العاقبة للمتقين أمر ببناء هذا الجامع المبارك أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين المقدس المرحوم أبو يعقوب بن عبد الحق رحمه الله".

أما الرسائل والمعاهدات التي تحمل أو ورد فيها لقب أمير المسلمين:" رسالة بعث بها الأمير المريني أبو ربيع سليمان الذي حكم المغرب الأقصى من سنة 1308م-1310م. وتاريخ الرسالة (26 محرم من عام 709م) تنص على المعاهدة التي أبرمت بين الآراغون وبني مرين بفاس[6].

كما حملت المدارس والزوايا التي أسسها ملوك بني مرين، هذا اللقب مثل مدرسة العطارين، والسباغين.

---

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، مج7، ص230-231.

(2) نفسه، ص 231.

(3) ابن الأحمر، المصدر السابق، ص54.

(4) نفسه، ص56.

(5) -(6) Dhina, (A), Opcit, P492

أما عن النقود فحملت هي الأخرى شعار الدولة وأسماء وألقاب سلاطين الدولة المرينية،مثل " وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمان الرحيم " ضرب بمدينة سجلماسة، عن أمير عبد الله أبي سعيد عثمان أيده الله ونصره" وكذلك اللهم، بسم الله الرحمان الرحيم، صلى الله على محمد وآله، الحمد لله وحده، لا إله إلا الله محمد رسول الله ". وهنا تظهر فكرة التوحيد التي نادى بها الموحدون بزعامة ابن تومرت.

كما حملت هذه النقود نصوص شكلا " الشكر لله ولا حول ولا قوة إلا بالله المهدي خلق الله"[1]

الخليفة:

أما عن لقب الخليفة، فلم يتسمّ به حكام الدولة المرينية.

أمير المؤمنين:

انتشر لقب أمير المؤمنين بالمغرب الإسلامي والأندلس، منذ أن قامت الخلافة الفاطمية، والخلافة الأموية بالأندلس، ثم صار هذا اللقب متداولا بين الدول التي جاءت بعدهما.والمتمثلة في الدولة الموحدية، والحفصية والمرينية، والعبد الوادية الزيانية، فالدولة المرينية التي سعى سلاطينها إلى تسمي بهذا اللقب منذ تأسيس دولتهم واستيلائهم على مراكش عاصمة الخلافة الموحدية التي انهارت بسبب الخلافات حول السلطة، وتفشي الفوضى في مختلف أرجاء الدولة الشاسعة الأطراف[2] .

فأول من تلقب بأمير المؤمنين، يعقوب بن عبد الحق المكنى بأبي يوسف، الذي بويع سنة656هـ-1257م، ثم تاشفين بن علي، الذي بويع سنة 762هـ-1313م، ثم عبد العزيز بن أبي الحسن الذي بويع يوم 22 ذي الحجة من عام 767هـ-1378م، ثم المتوكل على الله الذي بويع عام 786هـ-1392م.

---

(1) IBID , P , 219.

(2) عبد الحميد حاجيات، نفس المجلة، نفس العدد، ص 6.

صراعات أدت إلى بروز سيطرة الوزراء والحجاب في إدارة الدولة وتسلط بعض الأمراء في شؤون الرعية.

تلك خلاصة الألقاب الرسمية الأساسية الخاصة، أما الألقاب الفخرية التي كانت ترافق الألقاب الأساسية، فقد كان استعمالها بغرض التحلية والمدح والتعظيم، وأول الألقاب الخاصة بالخليفة بعد لقب أمير المؤمنين هو لقب"عبد الله"، وأول المتلقبين به هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث كان يكتب " من عبد الله عمر"([1])

أما عن الألقاب الكنانية المكانية، فإنها استعملت بكثرة بالمغرب الإسلامي والأندلس، بما فيها دولة بني مرين، وهذه الألقاب حملتها بعض الرسائل التي بعث بها سلاطين فاس إلى بعض حكام النصارى، مثل الرسالة التي تحمل معاهدة بين الأراغون ومغرب فاس (بتاريخ 26 محرم 709هـ، 6 جويلية 1309م)، فجاء في هذه الرسالة مايلي:"... وصلة الدعا لهذا المقام الكريم بتوالي السعد وتمكن اليمن الموافي الأغراض والمقاصد... من تشيعكم في هذا المقام ووثقنا به من حبكم العرب إلى وخلوصكم المؤكد الزمام....."[(2)].

البيعة:

إن نظام البيعة المتبع في دولة بني مرين لم يكن يختلف في مضمونه عن الدولتين المعاصرتين لها، أي الدولة الحفصية والدولة بني العبد الوادية، فالبيعة كانت تتم على هذا الشكل: "... ولما اعتلّ الأمير أبو يوسف بالجزيرة مرّضه نساؤه، وطيّر بالخبر إلى ولي العهد الأمير أبي يعقوب وهو بمكانه من المغرب، فأعد السيّر، وقضى أمير المسلمين قبل وصوله، فأخذ له البيعة على الناس وزراء أبيه وعظماء قومه. وأجاز إليهم البحر، فجددوا بيعته غرة صفر من سنة خمس وثمانين وأخذوها على الكافة"[(3)].

[(1)] نفسه، ص 55، القلقشندي، صبح الأعشى، ج،5، ص 476.

[(2)] Dhina, (A) OPCIT , PP , 496-497.

[(3)] ابن خلدون، المصدر السابق، مج،7، ص241.

[(4)] عرّف ابن خلدون البيعة كما يلي:" أعلم أن البيعة هي العهد على الطاعة، كأن المبايع يعاهد أميره على أنه يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين.... وكانوا إذا بايعوا الأمير وعقدوا عهده جعلوا أيديهم في

"... وسار بينهم أميرهم أبو سعيد عثمان بن عبد الحق في نـــواحي المغـــرب يتقـــرّى مسالكه وشعوبه، ويضع المغارم على أهله حتى دخل أكثرهم في أمره، فبايعـــه مـــن الطـــوعن الشاوية والقبائل الأهلة... ففرض عليهم الخراج وألزمهم المغارم وفرّق فيهم العمّال..."[1].

"... فلّما أبلّ جمع قومه، وعهد بأمره فيهم لابنه أبي عبد مالك عبد الواحد كبير ولده، بما علم من أهليته لذلك، وأخذ له البيعة عليهم وأعطوها طواعية..."[2].

ما نستنتجه من طريقة تعيين خلفاء دولة بني مرين أنها كانت تتم بعفوية، فبعـــد وفـــاة السلطان يحل محلّه الابن الأكبر، و لم يصف لنا ابن خلدون ولا ابن الأحمر الطريقة التي تتم بهـــا هذه البيعة، فيكتفي مثلا بهذا:" وأقام بأمر بني مرين عبد الحق ابنه الأكبر"، دون الإشـــارة إلى تفاصيل الحدث. واختيار ولي العهد عن بني مرين كان يتم مسبقا من طرف السلطان، الـــذي يكلف ولي عهده بمسؤوليات عسكرية وإدارية على المقاطعات التابعة للدولة المرينية بـــالمغرب الإسلامي والأندلس قبل توليه، وقد وجد هذا التكليف بهذه المهمات لأولياء العهد عند الدول الإسلامية التي عرفتها بلاد المغرب كالدولة المرابطية والموحدية والحفصية والزيانية.

ومن بين هؤلاء السلاطين الذين عينوا في هذه المناصب الإدارية، نجـــد أبـــا يعقـــوب يوسف(685هـــ-1286م-70هـــ-1307م)، وأبـــا الحســـن (766هـــــ-1331م-762هـــ-1351م) وأبا عنان (752هـــ-1318م-760هـــ-1348م) [3] قبل توليهم أمر دولة بني مرين[4]

يده تأكيدا للعهد، فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري، تسمى بيعة ، مصدر باع، وصارت البيعة مصـــافحة بالأيدي.

وأما البيعة المشهورة لهذا العهد فهي تحية الملوك الكسروية من تقبيل الأرض أو اليد أو الرجل أو الذيل،... وللبيعة شقان: البيعة الخاصة و تتم في الحين، ثم البيعة العامة وتتم بدخول السلطان الجديـــد إلى عاصـــمة دولته، ابن خلدون، المقدمة، ص 231 ، بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 8-86.

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، مج: 7، ص201.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص212.

[3] Dhina, (A) .OPCIT, P. 91.

[4] بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص85.

"... فلّما أبلّ جمع قومه، وعهد بأمره فيهم لابنه أبي عبد مالك عبد الواحد كبير ولده، بما علم من أهليته لذلك، وأخذ له البيعة عليهم وأعطوها طواعية..."[1].

ما نستنتجه من طريقة تعيين خلفاء دولة بني مرين أنها كانت تتم بعفوية، فبعد وفاة السلطان يحل محلّه الابن الأكبر، و لم يصف لنا ابن خلدون ولا ابن الأحمر الطريقة التي تتم بها هذه البيعة، فيكتفي مثلا بهذا:" وأقام بأمر بني مرين عبد الحق ابنه الأكبر"، دون الإشارة إلى تفاصيل الحدث. واختيار ولي العهد عن بني مرين كان يتم مسبقا من طرف السلطان، الذي يكلف ولي عهده بمسؤوليات عسكرية وإدارية على المقاطعات التابعة للدولة المرينية بالمغرب الإسلامي والأندلس قبل توليه، وقد وجد هذا التكليف بهذه المهمات لأولياء العهد عند الدول الإسلامية التي عرفتها بلاد المغرب كالدولة المرابطية والموحدية والحفصية والزيانية.

ومن بين هؤلاء السلاطين الذين عينوا في هذه المناصب الإدارية، نجد أبا يعقوب يوسف(685هـ-1286م-70هـ-1307م)، وأبا الحسن (766هـ-1331م-762هـ-1351م) وأبا عنان (752هـ-1318م-760هـ-1348م) [2] قبل توليهم أمر دولة بني مرين[3]

وعلى كل فولاية العهد بالدولة المرينية لم تكن تختلف عن سابقتها فنحن لا نعلم إن كانت هذه التولية تتم عن طريق وثيقة يكتبها الحاكم لولي عهده، أم أنها أمر شفهي يتم قوله أثناء اجتماع مشيخة الدولة وأمرائها وأعيانها ووجهائها، أم أنها تكون تلقائية أي يتولى العرش الابن الأكبر مباشرة بعد وفاة السلطان.

ومصادر هذه الدولة شحيحة جدا من حيث المعلومات الخاصة بهذا الجانب الهام في حياة أية دولة، كما أن أغلب مؤرخي هذه الفترة، لم يشيروا بالتدقيق إلى الكيفية التي يعتمدها سلاطين دولة بني مرين في تولية ولي العهد الجديد، فيقول مثلا ابن الأحمر في كتابه روضة النسرين في دولة بني مرين:" يكنى أبا سعيد، بويع بعد أبيه بوادي المغرب"[4].

---

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص212.

(4) Dhina, (A) .OPCIT, P. 91.

(2) بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص85.

(3) ابن الأحمر، المصدر السابق، ص 16.

وتجنبا لهذه الاختلافات عين أبو يوسف قبل وفاته ولي عهده، وأطلع المشايخ على رغبته في تعين ابنه وليا العهد بعده أبو مالك عبد الواحد كولي للعهد، فيتقدم الشيوخ بالبيعة لـــولي العهد، والبيعة عقد شفوي، يربط المشيخة بولي العهد الجديد، الذي يذكر اسمه فيمـــا بعـــد في خطب الجمعة والأعياد، وكذلك على السكة، وهذا العقد الشفوي يشبه طبيعة البيعـــة عنـــد الحفصيين.

ولا يتطلب هذا اتفاق الجميع حول رأي واحد ضروريا، فالاختيار يكون من طـــرف أمير المسلمين لولي العهد، ولهذا لا يتطلب موافقة الجميع ورأيهم، وهذا يعني أن السلطة صارت بيد السلطان الذي يقرر قبل مشاورة مجالسه التي تتكون منها دولته، وبسبب هذا الانقلاب قام أحفاد أبي يوسف وبعض أتباع بني عسكر بتمرد، ورفضوا هذه البيعة، ولكن هذا التمرد قبـــل بالرفض من طرف الشيوخ الذين خضعوا لاختيار السلطان لولي عهده، وتمّ تعيين عبد المالـــك لتوفره على شرطين هامين هما:

1) لأنه الأكبر والأجدر لهذا المنصب، غير أن هذا الأخير توفي قبل وفاة أبيه، فعين بدله ولي عهد جديد ، والاختيار كان على أبي يعقوب أكبر الأخوة المتباقين، هذا التعـــيين كـــان يختلف عن الدولة الحفصية والدولة الزيانية فيما يخص ولي العهد الذي يشترط أن يكون أكـــبر إخوته، بينما في الدولتين المذكورتين، أغلب التعيينات كانت لأصغر وأحب الأبناء[1] .

كما أن الدولة المرينية لم تحدد شروط تعيين ولي العهد، حتى ولو كان من أم مسيحية أو جارية، مثل حالة أبي علي بن السلطان أبي سعيد، ويشارك ولي العهد في الحياة السياسية، بحيث يشارك أباه في أمور الحكم، ويتمتع بحرس خاص، ورسم خاص، ويـــذكر اسمـــه في الخطـــب لتعريف الناس بولي العهد في حالة إذا ما وقع انقلاب للولي العهد المعين من طرف الســـلطان، واعتراف العامة بالسلطان يؤكد حقه في الملك، لهذا حرص المرينيون على ذكر اسمـــه في كـــل المناسبات.

وكان الأمراء كذلك يساعدون السلطان في إدارة شؤون دولته، وكان أعيان المملكـــة المعرفون " بالخاصة"، يحلّفون عن تبعيتهم بعدما يدخل السلطان إلى عاصمته ليقدم لـــه العامـــة

(1) KHANEBOUBI, (A) les premiers Mérinides 1269-1331:Histoire politique et sociale, éditions L'Harmattan, Paris,1989.P 95.

بيعتهم، وكذلك الحرفين الذين يحتلفون حسب تقاليدهم الخاصة، ويقوم بعد ذلك السلطان بتقديم الهدايا للشيوخ والقادة العسكريين وكذلك ممثلي العامة، كما يقوم الملك بالقضاء على الضرائب غير القانونية (كالمكوس، والموروث، والقبلات) [1].

والحقيقة أن هذا النظام اتبعته أغلب الدول الإسلامية التي ظهرت بالمغرب الإسلامي مع قليل من التغيير، كتقليل السلطة الدينية والقبلية، وانتقالها إلى سلطة أسرته شكلت نظاما حكوميا يخدم مصالحها ويعمل على بقائها.

ربما لقّب السلاطين المرينيين بلقب الخليفة "أمير المؤمنين" لأنهم احتلوا عاصمة الموحدين التي كانت تمثل الخلافة الموحدية، ولكن ليس هناك أي مصدر يؤكد هذه النظرية المعلومة، ربما حدث خلط حول لقب "أمير المؤمنين" و"أمير المسلمين" عند بعض المؤرخين[2] كصاحب القرطاس الذي لم يفرق بين لقب "أمير المؤمنين" و"أمير المسلمين" فكل المصادر تذكر أن لقب أمير "المسلمين" كان اللقب الأكثر رواحا واستخداما في الدولة المرينية.

كما لقب حسب ابن خلدون أمراء بني مرين بلقب "السلطان"، ومنهم أبو يوسف الذي لقب بالسلطان العبيد، والسلطان الجليل، والصالح، والمجاهد .

ومن الألقاب كذلك، الإمام، والخليفة، والسعيد بفضل الله التي تسمّى بها السلطان أبو سعيد[3].

أما الألقاب المركبة التي تلّقب بها أول سلاطين الدولة المرينية لقب المنصور بالله، وتلقّب ولي العهد بلقب الناصر لدين الله، وحفيده بالمتوكل على الله، هذه الألقاب كلها تلّقب بها أو تسمّى بها الخلفاء العباسيون والفاطميون والموحدون والحفصيون، مما يؤكد لنا أن الدول الإسلامية البربرية التي نشأت بالمغرب الإسلامي كانت تجد في هذه الألقاب زعامة دينية

---

(1)KHANEBOUBI, A, Opcit,PP.. 96-97.
(2)Dhina, (A), Opcit, P 84-85.
(3)Ibid, P. 100.

وروحية وسياسية باعتبارهم حماة الإسلام والمسلمين من ضربات الإفرنج المتكالبين على بلد المغرب الإسلامي وخيراته[1].

وأبرزت السكة الأولى التي ضربها المرينيون وبالخصوص في عهد الأمير عثمان بن عبد الحق الذي قام بالثورة ضد الموحدين من سنة 614هـ/1217-1239م، لم توضح نظرهم مفهوم الملك ووراثة الحكم، لكن بعد هذا الأمير خالفت المسكوكات المرينية الرؤية السياسية للدولة الموحدية، وهذا يعني أن الدولة الجديدة في الحكم تخالف مفهوم الحكم عند الدولة الموحدية، واعتمد المرينيون اعتمادا كليا على السكة لنشر أفكارهم أي أفكار الدولة وأيديولوجيتها التي صبغتها الصفة الدينية التي كانت تؤكد الصفات وقدرات الله سبحانه وتعالى، مثل " الملك لله" "والقدرة لله" "والعظمة لله" "والحول والقوة بالله"[2]، "وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم".

كما أوضحت هذه السكة الألقاب التي تسمّى بها المرينيون الذين اعتبروا أنفسهم ورثة الموحدين في الدفاع عن المغرب الإسلامي، فكان لقب القائم بالله الذي تسمّى به السلطان أبو يوسف تحديا لمبادئ المهدي بن تومرت، واللقب نفسه من وجهة النظر الإعلامية والدعائية كان حكرا فقط على الموحدين (القائم بأمر الله وخليفة الله، وإمام الأمة).

كما أضاف المرينيون زيادة على أسمائهم الحقيقة اسما إضافيا يسبق الاسم العائلي هو" عبد الله"، بينما عند الحفصيين والزيانيين كان "كنية"[3].

كما وجدت ألقاب أخرى مثل "السلطان"، الملك، و"مولاي"، و"السيد" مثلها مثل الألقاب الدينية "كأمير المؤمنين"، و"أمير المسلمين"، فلقب"السلطان" كان عند الحفصيين والمرينيين والزيانيين، معناه " القائد" واستخدامه كان تدريجيا حتى أصبح كثير الاستخدام. أما بالنسبة للقب"الملك" فقد استعمل لتعيين الحكام المغاربة من طرف الكتاب المشارقة في النصوص

---

(3)Dhina, (A) op cit, P, 89

(1) صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 763.

(2) نفسه، ص 774.

الرسمية، وكلمة "ملك" في عبارة" الخليفة الإمام، الملك الهمام"، وتلقب بها الحفصيون مثل أبي فارس(1394-1434) وعثمان (1435م-1488م) كما وجد نص قتالوني للقرن 13م يعين سفير الأمير عبد الواد يغمراسن (1236م-1282م) تحت إسم مبعوث "ملك تلمسان".

كما استعمل الحفصيون والمرينيون والزنانيون لقب "مولاي" لتعيين أمرائهم، وكان هذا مرتبط كذلك بمعنى "سيدنا"، واستخدم الأوروبيون هذا اللقب بداية من القرن الخامس عشر الميلادي، لتعيين الأمراء المسلمين، ثم تحول إلى كلمة مولاي[1].ووجد كذلك لقب المولى وهو لقب يطلقه أتباع السلطان، فعبد الرحمان بن خلدون وبن الأحمر[2] يطلقونه على سلاطين بني مرين.

ب-الوظائف السلطانية ومراتبها:

تمتع السلطان المريني بسلطة مطلقة في إدارة شؤون دولته إذ جعل من مهمته الكبرى حسن اختيار المسؤولين الذين أوكلوا هذه المهمات الثلاث: صاحب القصبة، وصاحب الشرطة، والوالي.

شارات الملك والسلطان:

هناك بعض المظاهر والشارات الفخمة التي تميز السلطان عن غيره من حكام الدولة وأعيانها وموظفيها. ومن تلك الشارات: الآلة، والعرش أو السرير، والخاتم، والسكة، والطرز، والتاج، ومن بين الشارات السلطانية التي عرفت في الدولة المرينية مايلي:

1-الآلة:

يعد الأمير أبي يحيى بن عبد الحق أول مقيم الرسوم الملوكية من الآلة وغيرها لمن بعده من أمرائهم، فيقول ابن خلدون: "ثم أحسّ الأمير أبو يحيى بن عبد الحق من نفسه الاستبداد، ومن

---

(1) Dhina, (A), OP cit, P 86-87.

(2) ابن الأحمر، المصدر السابق، ص 34.

وكبير المشيخة من بني مرين أو عربي، على حصان، وكذلك رؤساء الشيوخ[1] وهذه الأبهة التي يخرج بها السلطان وملكه[2].

هذا كل ما قيل عن الآلة بالدولة المرينية، وسنتطرق الآن إلى الشارة السلطانية الهامة، وهي العرش أو السرير.

السرير:

سمي المكان الذي يجلس عليه السلطان في دول المغرب الإسلامي بالسرير، أو الأريكة، أو التخت أو الكرسي، أما العرش فكل المصادر التاريخية المغربية، لم تطلق على هذا المكان هذا اسم من ذلك ما ذكره يحي بن خلدون حينما تكلم عن أبي تاشفين:" ومهد للأمير أبي تاشفين أريكة بازاء سريره" ويقول عبد الرحمان بن خلدون كذلك:"... واتسع نطاق دولته، وعظمت غاشيته وكثر وافده، رأى أن يتخّط بلدا يتميز بسكناه في حاشيته وأهل خدمته وأوليائه الحاملين سرير ملكه"[3]. ويقول كذلك:" لما رجع الأمير أبو يحيى من حرب يغمراسن بسجلماسة، أقام أياما بفاس، ثم نهض إلى سجلماسة متفقدا لثغورها، فانقلب منها عليلا، وهلك حتف أنفه على سرير ملكه ف رجب سنة ست وخمسين، أمضى ما كان عزما، وأطول إلى تناول الملك يدا"[4]. إذا فعبارة "السرير"[5] كانت الأكثر استعمالا عند سلاطين الدولة المرينية، فلم يتحدث ابن خلدون عن عبارتي"الأريكة"، و"الكرسي" ولم يشر لهما مؤرخو هذه الدولة كذلك.

---

[1] بداية من القرن الرابع عشر الميلادي، أصبح السلطان المريني يتخذ من الفتيان حراسا له بقصره، وخاصة الواصفان الذين يقطنون حوله في القصر، وفي المعسكرات ويسمّون بأهل الدّوار.

[2] عبد الله كنون، المرجع السابق، ص187.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، مج:7، ص230.

[4] نفسه، ص 209.

[5] يقول عبد الرحمن بن خلدون بخصوص السرير:" السرير والمنبر والتخت والكرسي فهي أعواد منصوبة أو أرائك منضدة لجلوس السلطان عليها مرتفعا عن أهل مجلسه أن يساويهم في الصعيد، ولم يزل ذلك في سنن الملوك قبل الإسلام، وفي دول العجم، وقد يجلسون على أسرة من ذهب، وكان لسليمان بن داود صلوات الله عليهما وسلامه كرسي وسرير من عام مغشى بالذهب. إلا أنه دول المغرب الإسلامي(التي أغلبها يداوية قبلية) واستفحالها، المقدمة، ج،2، ص638.

ومن المظاهر الخارجية للسلطة كذلك" التاج" ولكن لا يعرف شيء على هذا بالنسبة إلىا لمرينين وبني عبد الواد، ولكننا نعلم أن السلطان المريني كان يضع على رأسه عمامة رقيقة، لا يحملها سواه، وبعض قضاة ورجال التقوى بدولته[1].

أما عن السكة وهي مظهر من مظاهر السلطة للدولة، فإنّه في عهد أبي يوسف يعقوب(685هـ-1258م-706هـ-1286م) الذي قام سنة(686هـ- 1276م) بتنظيم جدري للسكة المرينية المتداولة بين الناس، بالإضافة إلى أبي عنان الذي ضرب السكة باسمه وبشعار دولته، وتبعه في ذلك خلفاؤه من بني مرين، وقد توصل الأستاذ دهينة إلى خلاصة هامة، مفادها أن الحفصيين والعبد الواديين والنصريين قد توصلوا بعد سقوط الدولة الموحدية إلى طبع قطع نقدية في منتهى الجمال بالإضافة إلى العملة الموحدية التي بقيت متداولة بين الناس آنذاك[2].

ثم يأتي بعد ذلك الخطية كشارة من إشارات السلطان التي استخدمت منذ زمن كوسيلة للدعاية ونشر المبادئ التي ينادي بها أي سلطان أو حاكم، وخطب الجمعة التي كان يحضرها السلاطين وتلقى بأسمائهم وأسماء أولياء عهدهم، دليل على بقاء هذه الدولة أو زوالها، وبعد الخطبة كذلك رمزا من رموز السلطة وكيانها. ولهذا سخر المسجد لأغراض سياسية تخدم مصلحة أية دولة[3].

الخاتم:

إحدى الشارات الهامة للملك، ولكن لا نملك أي معلومات عن السلاطين الذين استخدموا الخاتم كعلامة تميز رسائلهم وصكوكهم عن غيرها[4].

الفساطيط:

---

(1) Dhina, (A). OPCIT, P, 97-98.
(2) Dhina, (A) OPCIT, P , 204.
(3) IBID, P. 99.
(4) أول من اتخذ الخاتم في الإسلام هو الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك عندما أراد الكتابة إلى قيصر روما.

استخدمت هذه البيوت كمأوى للسلاطين أثناء ترحالهم وأسفارهم، تماديا في البـــذخ وزيادة في الأبهة، وبنو مرين اتخذوا هم كذلك هذه الفساطيط. يقول ابـــن خلـــدون في هـــذا الأمر:" وضرب لي الفساطيط، فوفدت في ركابه"[1].

وكذلك : " ونصب الموحدون تاشفين ابن السلطان أبي الحسن المعتقل عندهم من لدن عهـــد المولى الفضل واعتقاله إياه، فنصّبوه للأمر للتفريق كلمة بني مرين، واجمدوا له الآلة والفساطيط، وقام بأمره ميمون بن علي لمنافسة مع أخيه يعقوب"[2].

أما عن المقصورة والدعاء، فهما كذلك من الإشارات الملوكية، فالدعاء مثلا كـــان في بداية الدولة موجها للموحدين، ثم للحفصيين ثم اقتصر بعد ذلك على ســـلاطين بـــني مـــرين فقط[3].

أما بالنسبة لمهمة الشعب أو العامة في النظام المريني فتتلخص كذلك في ثلاث مهمـــات وهي: إختيار إمام الصلاة والخطبة، والقاضي، والمحتسب، وكل هؤلاء كانوا يخضعون لســـلطة الحاكم الأول أي أمير المسلمين ماعدا سلطة القضاء[4].

ويرى ابن خلدون بأن مهام السلطان الكبرى تنحصر في أربعة مهـــام أساســـية: الأولى تختص بحماية الرعية كافة، وأداتها الجيش والسلاح والحروب. والثانيـــة تتعلـــق بالمكاتبـــات والمراسلات للخارج والداخل، وإصدار الأوامر وتطبيقها. والثالثة تهـــتم بشـــؤون الجبايـــات والانفاق.والرابعة الحجابة، ومهمتها منع الناس عن السلطان، لكي يتفرغ للنظر فيمـــا يصـــلح حالهم[5].

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، مج،7، ص345.

[2] نفسه، ص347.

[3] الدعاء على المنابر، عادة وشارة سلطانية استعملت في الإسلام منذ القرون الأولى، وأول من اتخذ المنبر في الإسلام هو عمرو بن العاص، وأول دعاء للخلفاء كان دعاء ابن عباس لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

[4] KHANEBOUBI, A, Opcit, P. 100-101.

[5] ابن خلدون: المصدر السابق، ج،2، ص 601-604.

هذا الترتيب الذي وضعه ابن خلدرون الخاص بمراتب للدولة، تمثل في الملك والسلطان نجدها في المرتبة الأولى يمثلها في المغرب الإسلامي" الوزير"، والثانية "الكاتب"، والثالثة يقوم بها "صاحب الأشغال"، والرابعة الحاجب.

وتعد مرتبة الوزير بدول المغرب الإسلامي أعلى المراتب وأشرفها، وبعد تعينه يصبح مكلفا بأمور هامة تشمل الميادين التالية، السياسة، والقضاء، والأموال، فهو يقوم بقيادة الجيوش، عندما يكون السلطان غائبا، ويقوم أيضا بالإشراف على بعض الحمالات ببلاد المغرب، وتطبيق الأمن، ومراقبة المقاطعات، المداخيل الجبائية والضرائب، والفصل في بعض القضايا الشائكة والعويصة قبل تقديمها للسلطان.

هذه المهمات الكبرى التي منحت للوزير بالدولة المرينية أصبحت فيما بعد تشكل خطرا على السلاطين، إذ أصبحت الوزارة يتوارثها أفراد من بيت واحد، مما تسبب في نشوب صراعات داخلية بين الوزراء الذين يمثلون العائلات المثقفة، من أجل الوصول إلى رتبة الوزير الأول، الذي له كل الصلاحيات التي أشرنا إليها مسبقا.

وانطلاقا من هذا، صار الوزراء يعينون ويعزلون من يشاؤون من السلاطين المرينيين ابتداء من ابن السلطان أبي عنان حيث أصبحت السلطة كلها بيد الوزير. فمثلا في عهد أبي سليم (758هـ-1359م-760هـ-1361م) قام الوزير بعزله وقتله، ووضع مكانه أبا عمر، ثم عزله وقتله، وحل محله حفيده أبو زيان (760هـ-1361م-766هـ-1367م) [1].

ومن وزراء أمير المؤمنين يعقوب بن عبد الحق، ويحيى بن حازم العلوي، ويحي بن أبي منديل العسكري، وأبو سالم فتح الله بن عمر بن محمد السدراتي، ومحمد عبد الله بن عطو الجناني[2].

---

[1]Dhina, A, Opcit, P, 139.

[2]ابن الأحمر، المصدر السابق، ص17.

هذه المهمات الكبرى التي منحت للوزير بالدولة المرينية أصبحت فيما بعد تشكل خطرا على السلاطين، إذ أصبحت الوزارة يتوارثها أفراد من بيت واحد، مما تسبب في نشوب صراعات داخلية بين الوزراء الذين يمثلون العائلات المثقفة، من أجل الوصول إلى رتبة الوزير الأول، الذي له كل الصلاحيات التي أشرنا إليها مسبقا.

وانطلاقا من هذا، صار الوزراء يعينون ويعزلون من يشاؤون من السلاطين المرينيين ابتداء من ابن السلطان أبي عنان حيث أصبحت السلطة كلها بيد الوزير. فمثلا في عهد أبي سليم (758هـ-1359م-760هـ-1361م) قام الوزير بعزله وقتله، ووضع مكانه أبا عمر، ثم عزله وقتله، وحل محله حفيده أبو زيان (760هـ-1361م-766هـ-1367م) [1].

ومن وزراء أمير المؤمنين يعقوب بن عبد الحق، ويحيى بن حازم العلوي، ويحي بن أبي منديل العسكري، وأبو سالم فتح الله بن عمر بن محمد السدراتي، ومحمد عبد الله بن عطو الجناني[2].

ومن وزراء أمير المسلمين علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، وعامر بن فتح الله السدراتي، ويحيى بن طلحة بن يحيى بن محلى البطرئي. وغازي بن يحيى بن إدريس بن الكاس الورتاجين.

ومن وزراء أبي عنان، الحسن بن سليم بن يرزيجن، وفارس بن ميمون بن ودرار الحشمى، وسليمان بن داوود العسكري[3].

وانفردت دولة بني مرين بقضية الوزارة بحيث يتولى خطة الوزارة فيها وزير واحد، يجمع بين قيادة الجيش، وتسيير إدارة الدولة بصفته مساعدا للسلطان في كل ما يشغله، ويتم تعيين

---

(1)Dhina, A, Opcit, P, 139.

(2)ابن الأحمر، المصدر السابق، ص17.

(3)نفسه، ص 27.

فالخطة التي كانت بدولة المرينيين هي المزوار الذي كان يعتني بتحضير حفل مراسيم البيعة، وصاحب هذه المهمة يسمى رئيس الوزارة والمتصرفين. بمعنى قائد أو رئيس القادة "وأعوان القصر" فدور المزور[1] بدأ منذ فترة أبي الحسن المريني، ويقول ابن خلدون ما بين سنة (1355م-1370م):" حراسة الجند المحملين بأوامر السلطان، وتنفيذ الأحكام القضائية، واحترام قوانين الجلسات العامة (دار العامة).

وهذا المزور أصبح بالفعل بدولة بني مرين " الحاجب"[2] الذي أوكلت له مهمة الأشغال المتعلقة بخصوصيات السلطان وحاشيته وقصره، من اقتصاديات القصر، إلى حساباته، إلى أمنه وصيانته ويساعده في ذلك أتباع وموظفين لتحقيق هذا.

وبهذا نستنتج أن العلاقة القوية بين مهمة المزوار في دولة بني مرين كانت نفسها في دولة بني عبد الواد، وهي امتداد وذوبان بمهمة الحاجب، إذا احتفظ المزوار بمهمات الحاجب الصغرى فقط، بينما احتفظ الوزير بالمهمات الكبرى.

صاحب الأشغال:

مهمة صاحب الأشغال بدولة بني مرين، هي : أن يهتم بالحسابات الخاصة بالعطاء والخراج وأن يشرف على ديوان الجبايات والأعطيات وذلك بحفظ السجلات المالية، وتسجيل الحسابات الجولة فيها، كما أنه الذي يصحح تلك الحسابات، وهو يلي الوزير من هذا الأمر، ويعتبر خط صاحب الأشغال علامة على صحة الحساب. أما بالنسبة إلى دولة الحفصية فصاحب الأشغال حصرت مهمته بعد ظهور خطة الحاجب، في جلب الأموال فقط، وهو مرؤوس للحاجب[3].

أما عن العلامة: فقد ذكر الأستاذ دهينة أن علامتهم كانت " وكتب في التاريخ المؤرخ"[4]

---

[1]ظهرت خطة المزور في عهد عبد المؤمن بن علي، خليفة الموحدين، فقد عين علي رأس كل واحد وعشرين قبيلة التي كانت تتشكل منها قوة الموحدين، شخصين يحمل كل واحد منهما لقب مزور، واحد للقبائل الموحدية أصلا، والثاني للأعضاء الذين تم إدماجهم فيما بعد. ومزور كل قبيلة كان محتسبا، بمعنى أنه كان يقوم الحسبة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حسب تعاليم المهدي.

[2]Dhina, (A) Opcit, P, 149.

[3]بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص167.

[4]Dhina, (A), Opcit, P, 163.

وهذا المزور أصبح بالفعل بدولة بني مرين " الحاجب"[1] الذي أوكلت له مهمة الأشغال المتعلقة بخصوصيات السلطان وحاشيته وقصره، من اقتصاديات القصر، إلى حساباته، إلى أمنه وصيانته ويساعده في ذلك أتباع وموظفين لتحقيق هذا.

وبهذا نستنتج أن العلاقة القوية بين مهمة المزوار في دولة بني مرين كانت نفسها في دولة بني عبد الواد، وهي امتداد وذوبان بمهمة الحاجب، إذا احتفظ المزوار بمهمات الحاجب الصغرى فقط، بينما احتفظ الوزير بالمهمات الكبرى.

صاحب الأشغال:

مهمة صاحب الأشغال بدولة بني مرين، هي : أن يهتم بالحسابات الخاصة بالعطاء والخراج وأن يشرف على ديوان الجبايات والأعطيات وذلك بحفظ السجلات المالية، وتسجيل الحسابات الجولة فيها، كما أنه الذي يصحح تلك الحسابات، وهو يلي الوزير من هذا الأمر، ويعتبر خط صاحب الأشغال علامة على صحة الحساب. أما بالنسبة إلى دولة الحفصية فصاحب الأشغال حصرت مهمته بعد ظهور خطة الحاجب، في جلب الأموال فقط، وهو مرؤوس للحاجب[2].

أما عن العلامة: فقد ذكر الأستاذ دهينة أن علامتهم كانت " وكتب في التاريخ المؤرخ"[3]

الكاتب:

كانت مهمة كاتب الإنشاء في دولة بني مرين، تحرير مراسلات السلطان، وعهوده، ومعاهداته، وقراءة على الرسائل القادمة من الدول الإسلامية وغير الإسلامية والرّد عليها. بالإضافة إلى مهمة التوقيع بين يديه، وإصدار أوامر المكتوبة بأبلغ عبارة وأوجزها.

ويشترط في الكاتب أن تتوفر فيه ملكة البلاغة والبيان ومن كتاب هذه الدولة في عهد يعقوب بن عبد الحق، الكاتب محمد بن الفقيه، والكاتب محمد بن سعد الكلبي المعروف بالكناني، وأبو الصيب سعبد، ومحمد بن أحمد بن الربيب الكاسي، ومحمد بن عمران الغمراني، وعبد الله بن أبي مدين العثماني الفقيه.

---

(2)Dhina, (A) Opcit, P, 149.

(1)بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص167.

(3)Dhina, (A), Opcit, P, 163.

على دفع الحركة الاقتصادية وانتعاشها، فازدهرت بذلك الحياة الاجتماعية وبالخصوص في عهد كل من أبي يوسف يعقوب، وأبي سعيد الأول، وأبي عنان وغيرهم[1].

هذا المفهوم للحكم عند المرينين يوضح أنهم فصلوا السلطة السياسية عن السلطة الدينية وهذه الأخيرة كانت من صلاحية الرعية، مما يوضح وجود فرق بين السلطة التنفيذية والسلطة الدينية.

---

(1) كانت مداخل الخزينة المرينية تتألف من الموارد العامة، الخراج، والمكوس، والجزية، والأعشار، وخمس الغنائم، وخمس المعادن، وضرائب أخرى مختلفة، ويجمع هذه الزكاة، والخراج والمكوس، عمال الجهات الذين عينهم الأمير أبي سعيد الأول. هذه الموراد كانت تختلف من جهة إلى أخرى، فمدينة فاس مثلا: مائة وخمسون ألف مثقال، ومراكش، خمسون ألف مثقال، وسبتة خمسون ألف مثقال، وأغمات، خمسة وعشرون ألف مثقال....

كما قام أبو سعيد برفع ما كان يلزم رباعهم كل سنة من المغارم ثم تتابع رفعها على سائر بلاد المغرب، ويمتاز عهد أبي الحسن بإصلاحات جبائية هامة تمثلت في ترك إلا الخراج والزكاة وما يقرره التشريع الإسلامي، كما ألغى أبو عنان الضرائب، مثل ضريبة الرتب، وأمر رفع التضييق الذي كان عامل الزكاة وولاة البلاد يأخذونه من الرعية.

أما عن النفقات، والأمكاس، والجزية، وغيرها، فقد اهتم بها كذلك حكام بنو مرين، زيادة على الأوقاف التي قسمت إلى تسعة فروع، منها أوقاف مجامع القرويين، وجامع الأندلس، وأوقاف المدارس والمستشفيات، والزوايا... وكانت هذه الأوقاف تحتفظ بإرادتها الخاصة تحت رقابة النظام الاقتصادي، مجلة البحث العلمي، العدد الثالث، السنة الأولى، سبتمبر، ديسمبر، 1964، ص251-257.

هذا المفهوم للحكم عند المرينين يوضح أنهم فصلوا السلطة السياسية عن السلطة الدينية وهذه الأخيرة كانت من صلاحية الرعية، مما يوضح وجود فرق بين السلطة التنفيذية والسلطة الدينية.

خلاصة الفصل:

ما نستنتج من هذا الفصل الذي وضعه المرينيون بين السلطتين السياسية والدينية كان مجرد حبر على ورق، لأن السلطة كلها كانت بيد الحاكم وكان رعاياه تحت سلطته العليا باعتباره الحاكم الأول في البلاد، وحتى المشايخ لم يكن لهم مركز تنفيذي أو الحق في مخالفة ما يأمر به السلطان حتى ولو كان على خطأ.

إذن فالتطور الذي عرفه مفهوم الحكم عند المرينيين الذي انتقل من نظام قبلي إلى نظام ملكي سلالي، تميز بفصل الدين عن القضايا السياسية ما عدا في حالة الحرب التي تجتمع فيها السلطتان السياسية والدينية لإعلان الجهاد ضد النصارى، والنظام المريني هذا لم يغير من شيء في طبيعة الدولة التي قامت أساسا على ما وجد من قبل أي في دولة الموحدين مثلا. كما أن اهتمام المرينين بالجهاد لم يكن من ضمن اهتمامات سلاطينها، فالمشاكل الداخلية التي نشبت بين أفراد الأسرة المالكة قد تسببت في انهيار قوة الدولة، التي كانت من المفروض أن تسخر ضد النصارى الذين تكالبوا على المقاطعات الإسلامية بالأندلس، وكذلك تحالف بني الأحمر مع النصارى لضرب إخوانهم قد زاد من تأزم الوضع، وتفشي الأمراض، وهلاك آلاف الناس منهم. وهذا لا يعني أن الدولة المرينية لم تعمل على ردّ هجمات النصارى.

إن الدولة المرينية لم تكن تختلف عن الدولة الحفصية ولا الدولة الزيانية في تنظيمها السياسي، فالسلطان كما أشرنا يتمتع بسلطة مطلقة، يساعده عدد من الوزراء المخلصين الذين كانوا يعيشون معه بالقصر ويطلعونه على جميع أمور دولته، بالإضافة إلى الجيش الذي كان

أما عن النفقات، والأمكاس، والجزية، وغيرها، فقد اهتم بها كذلك حكام بنو مرين، زيادة على الأوقاف التي قسمت إلى تسعة فروع، منها أوقاف مجامع القرويين، وجامع الأندلس، وأوقاف المدارس والمستشفيات، والزوايا... وكانت هذه الأوقاف تحتفظ بإرادها الخاصة تحت رقابة النظام الاقتصادي، مجلة البحث العلمي، العدد الثالث، السنة الأولى، سبتمبر، ديسمبر، 1964، ص251-257.

يسيطر عليه سيطرة كاملة، فتعينه للأمراء والوزراء والأشياخ من أسرته ساعدته على قيادة هذا الجيش وتسخيره لتحقيق أهداف الدولة من أجل بقائها. فهذه المميزات التي اتصفت بها هذه الدولة في الطور الأول والثاني (مرحلة التأسيس والبناء) لم تستمر حتى نهايتها؛ لأن الصراع الذي نشب بين الأسرة المالكية من أجل الحكم، أضعف من قوتها وزاد من أطماع الإفرنج الذي زاد من ضرباته للاستيلاء على الموانئ التجارية الهامة للمرينيين التي كانت مصدر القوة الاقتصادية بالبحر الأبيض المتوسط.

كما أن هذه الدولة لم تقض على سيطرة النظام القبلي الذي حاول المرينيون في طور البناء القضاء عليه وحلّ محله نظام حكومي يقوم على هيئات ومجالس تضم كل شرائح بني مرين وأعوانهم، فهذا النظام القبلي عاد إلى الظهور بعدما ضعفت السلطة المركزية.

ومن نتائج نهاية هذه الدولة ظهور التصوف بصورة جلية في جميع المغرب الإسلامي، وأخذ أصحابه (أي المتصوفين) من الحياة الدنيا إلا القليل، فتشبّث الناس بهم، بعدما تفشى الفقر، وزاد بذخ الملوك والأمراء مما زاد من ضعفهم وخذلانهم أمام الإفرنج في حروبهم، فسقطت مدن عدة بيدهم، وتعرض المسلمون للقتل بأعنف صورة، مما دفع بالمتصوفين إلى أخذ زمام أمور المسلمين للدفاع عن أراضيهم باعتبارهم الزعماء الروحيين والقادة العسكريين لردّ هجمات الغرب المدمرّة لاستقرارهم الاجتماعي والاقتصادي.

إذا فالدولة المرينية ما هي إلا استمرار لكيان سياسي عملت الظروف على إيجاده وإسقاطه، والدولتين المعاصرتين أي الحفصية والزيانية لم تأت بجديد في مفهوم الخلافة، ولم تحدث أي تغير جدري في إدارة شؤون المسلمين، فالسلطة احتكرت من طرف بيت واحد، تصارع أصحابه على الملك، مما تسبب فيما بعد في انهيار الدولة وتمزيقها لكل هذه الدول الثلاث.

نتائج البحث

شهد نظام الحكم الذي عرفته بلاد الغرب الإسلامي، تطورات وتقهقر متباين بين فترة وأخرى، فنظام الحكم الذي ساد المغرب الإسلامي قبل الخلافة الفاطمية الشيعية، بين نظام أميري وشبه ملكي وراثي، وجمهوري، ثم تطور إلى نظام خلافي بعدما تم القضاء على هذه الدول الأربع التي مثلت النظم المذكورة، قام على مبادئ الشيعية، متخدين من لقب أمير المؤمنين لقبا لهم بعدما كان مقتصرا على الخلافة العباسية بالمشرق.

فانقطاع هذا النظام الخلافي الذي ظهر لأول مرة بالمنطقة، فصار نظاما أميريا وراثيا سلاليا متمثل في آل تاشفين السنيين الذين خضعوا السلطة فقهاء، وتلقب أصحابه بأمراء المسلمين، ولهذا لقب وجود من قبل في المغرب الإسلامي كدولة الأغالبة، دون اللقب الخلافي"أمير المؤمنين"، وطبيعة حكمهم كان أقرب إلى الإمارة إلى الخلافة، ولهذا أطلق لقب أميرية المرابطين على نظام حكمهم.

عاد نظام الحكم من جديد إلى نظام خلافي وراثي سني على يد الموحدين، وتلقب أصحابه بأمير المؤمنين، والخليفة، والإمام لقرون أخرى جاعلين من خلافتهم خلافة إسلامية هدفها حماية دار الإسلام ونصرته وحاول رجالها العظماء مثل عبد المؤمن بن علي وابنه أبي يعقوب يوسف وابنه أبي يوسف يعقوب من توفير العدل والرخاء بدولتهم الشاسعة الأطراف. ورغم أن هذه الدولة عرفت تذبذبات خطيرة ابتداءا من عهد المأمون الذي حاول القضاء على المبادئ التومرتية وما نصت عليه والعودة إلى القرآن والسنة. ربما يعود هذا التذبذب إلى أن نظرية ابن تومرت في الحكم والتي طبقها في تجربة التغير التي نادى بها، لم يوضح ماهو البديل السياسي التي يبعد التناحر على السلطة بين الحكم، وكذلك لم يؤكد على ضرورة مبدأ الشورى الذي يجب أن يقوم عليه أي نظام سياسي هدفه رعاية المسلمين دنيا ودنيا، وإبعاد والنهي عن الوراثة في الحكم التي تسبب في زال الأمم والشعوب وحضارتهم... وبالفعل انتهت هذه الفترة الطويلة إلى بروز نظام حكم تأرجح بين نظام شبه خلافي وأميري وملكي وسلطاوي، وتبنته كل من الدولة الحفصية، والمرينية والزيانية اللائي إنبثقن عن الخلافة الموحدية السنية، وربما يعود سقوط هذه الخلافة إلى ابتعاد أو غياب مبدأ الشورى بعدما صارت المجالس

الموحدية عاجزة على مسايرة أمور الدولة، وكذلك انتقال الحكم إلى نظام ملكي وراثي الـــذي يؤدي في كثير من الأحيان إلى الاستبداد بالرأي، وانعدام الشورى، ونشوب الصراعات حـــول السلطة مما أدى إلى سقوط الدولة وانقراضها.

فإثنان من هذه الدول الثلاثة تسمى" بأمير المؤمنين" باعتبارهم ورثة الخلافة الموحديـــة السنية التي زالت بسبب الصراعات التي دارت حول الحكم والعرش، فحاولا كل منهما تطبيق تعاليم المهدي، إلا أن محاولتهما كانت فاشلة، لأن طبيعة الحكم في هذه المرحلة صار قيـــادي عسكري، بمعنى أن الخلافة الإسلامية التي مهمتها رعاية المسلمين دنيا ودينا، وحماية دار الإسلام ومصالحها، انتقلت إلى قيادة عسكرية، اقتداء بالزعيم فهو عسكري أكثر ماهو روحي. كمـــا اتصفت هذه الدول بصبغة دنيوية، قامت على شخصيات معينة حاولت حل محـــل الزعمـــات الكبرى التي عرفها المغرب الإسلامي، كعبد الله المهدي، ومحمد ابن تومرت، وغيرهما محـــاولين التشبث بأهدافهما للحفاظ على النظام الذي ساد لفترات زمنية طويلة آل عثمان حتى انتقالـــه إلى يد العثمان وانتقال بذلك الخلافة الإسلامية إليهم وزوال الحكم الإسلامي بالأندلس علـــى يدي النصارى رغم المحاولات العديدة التي قام بها المتصوفون الذين حـــاولوا محـــل الزعامـــات الروحية التي كانت تقوم عليها الدول المغربية الإسلامية. وبروز الحركـــة الصـــوفية وقيادتهـــا للشعوب الإسلامية التي تضررت من هجمات النصارى المتكررة على بلادهـــم يعتـــبر نقلـــة جديدة، إذ انتقلت السلطة السياسية والعسكرية إلى قائد روحي هدفه حماية الثغور والســـواحل الإسلامية وتجنب سقوطها بيد الأفرنج، بعدما أصبح حكام هذه الدول يهتمون بجمـــع المـــال والصراع حول الحكم والتحالف مع الأعداء.

إذن فنظام الحكم طيلة هذه الفترة أي من القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي في القرن الحادي عشر الهجري السادس والسابع عشر الميلاديين، أصبح نظاما مطلقـــا وراثيـــا ســـلاليا سيطرت فيه الطبقة الحاكمة وحاشيتها على السلطة، فالطبقة العامة فلم يكن لها وجود في هذا النظام ما عدا الجهاد ورعاية مصالح الحكم وحاشيته.

فالأمر والنهي كان بيد خليفة كان أميرا بمعنى أن النظام هذا الذي سيطرت فيه طبقة معينة من الناس أدى حتما إلى بروز صراعات داخلية مهدت لسقوط قيام دول منازعة فيما بينها بغرض التسلط والحكم وليس بهدف قيادة المسلمين ورعاية مصالحهم. فحبهم الشديد للسلطة أدى إلى زوالهم.

كما اشتركت هذه الدولة الستة في مفهوم الحكم سواء أكان خلافة أو إمارة أو مملكة أو سلطنة إذ قامت كلها على العصبيات التي لعبت دورا كبيرا في المتغيرات السياسية لك فترة من هذه الفترات (من القرن الثاني الهجري إلى الثاني عشر الهجري).

فهذه العصبيات التي مثلت القوة(الجند) الذي يعتبر أساس الدولة، والمال المحرك الأساسي لكل نشاط اجتماعي اقتصادي الذي تخضع له المجتمعات بمختلف طوائفها، والمصدر الرئيسي للاستقرار البشري الذي يتولد عنه إنتاج حضري يسهل عملية المنظومة وهي وحدة الدار أي دار الإسلام والأمة بمختلف شرائحها، والخليفة الراعي للرعية دينا ودنيا، متخذين من مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كقاعدة ثابتة لقيام الأمة الإسلامية.

كما هو معروف تأثر المغرب الإسلامي تأثيرا كبيرا بما كان يحدث بالمشرق من صراعات سياسية ومذهبية التي أفرزت معطيات سياسية أستغلها الفاطميون في إقامة خلافة إسلامية شيعية لأول مرة، طبعت بطابع الشرعية وربطوها بالإسلام والمسلمين الجدد (البربر) بعيدين كل البعد على العنصر القريشي لكسر الخلافة العباسية التي قامت على فكرة الأمة القرآنية المتكونة من شعوب وقبائل، وعلى الدين والنسب والمصاهرة والمودة والبر، عكس الخلافة الفاطمية التي قامت على عصبية دينية مذهبية من الوهلة الأولى والتي تسببت فيما بعد في بروز خلافات مذهبية حادة بين السنيين بالمغرب الإسلامي وبينها قبل انتقالهم إلى مصرفي عهد المعز لدين الله.

نتيجة هذا الصراع أدى بطبيعة الحال إلى تكسير فكرة الوحدوية في العالم الإسلامي، ونقض مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي اتخذته كل هذه الدول كشعار لوصولها للسلطة، إلا أنهم اجتمعوا في وجوب السلطة لبناء هيكل سياسي يدار من طرف مؤسسات وجدت خصيصا لخدمة الراعي ومصالحه وأتباعه سواء أكانوا من بيت واحد أو بالمصاهرة أو المودّة.

ما لحظناه أيضا في التركيبة السياسية لهذه الدول أنها خضعت إلى الحاكم خضوعا كليا، أي أن مبدأ الشورى المتكون من أهل العقد والحل، قد أهمل تماما، لأن السلطة المركزية كانت سلطة مطلقة بيد الخليفة أو الأمير أو السلطان الذي جعل من دولته دولة دنيوية أكثر منها دينية (رغم أنها تقوم دائما في أول الأمر على مبدأ ديني)، وراثية حيث استقرّ القرار السياسي في بيت

أو آل واحد مما أدى وزاد من اضمحلال مبدأ الشورى الذي أنفرد بـــه الحكـــم الإســـلامي (الخلافة) عن الأنظمة السياسية الأخرى القديمة والمعاصرة لها دينية أو أقطاعية أو غيرها.

إن نظام الخلافة وهو نوع جديد من الأنظمة السياسية لم تعرفه البشرية من قبل، قـــد حاولت هذه الدولة الإسلامية التي عرفها المغرب الإسلامي من تجسيده على أرض الواقع. مثلا عمل حكام أميرية المرابطين منذ تأسيس دولتهم الواسعة الأرجاء التي ضمت كل من الأنـــدلس والمغرب الأقصى ونصف من المغرب الأوسط إلى جزائر بني مزغنة على نشر الرسالة الإسلامية للقضاء على الانحراف الديني ومحاربة كل كافر وطاغ، وأمر الخلافة والإمامة لم تكـــن ضـــمن إنشغالات هذه الدولة، بل قاموا بتعزيز وحدة العالم الإسلامي بتبعيتهم للخلافة العباسية السنية في المشرق، عكس الدولة الفاطمية التي عملت على تكوين جهاز سياسي ديني قصـــد ضـــرب الخلافة بالمشرق وزعزعتها.

كما أن مفهوم الحكم بالمغرب الإسلامي كان تطبيقا لما نصت عليـــه الدســـاتير الـــتي أوجدها الحكّام، الزعماء الروحيون والسياسيون.

فالدولة الفاطمية اعتمدت على مبادئ الشيعية والمرابطون على دستور المرادي الـــذي عرّف من خلاله أسرار السياسة ومتطلبتها، حيث أقترب من واقعية بيئة السياسية المغربيـــة، إذ أصبحت الإشكالية بالنسبة له ماهي إلا توضيح" ضرورة السلطة وعلاقتها بالشريعة، فقد كانت السلطة موجودة وعلاقتها بالشريعة واضحة، إذ أنها كانت عند المرابطين الاحتفاظ بالملك رغم عدم عراقتهم فيه" ونفس الشيء بالنسبة للخلافة الموحدية التي أتخذ أصحابها من مبادئ محمـــد بن تومرت كقاعدة أو أساس لكل عمل سياسي واجتماعي وتربوي واقتصادي.
وحذا حذوها الدول الثلاثة، الحفصية والزيانية والمرينية فيما بعد.

إن ما نستنتجه من كل ما تقدم أن التعدد الذي حدث في نظام الخلافة أفقد قيمة ووزن ودور هذا النظام الجديد، فالخليفة الذي كان يدّل على الحاكم الروحي والـــدنيوي المـــتحكم والمسير للعالم الإسلامي بمختلف شرائحه، صار بعد سقوط بغداد دار السلام مجرد حـــاكم لا تتوفر فيه ربما الشروط اللازمة لقيادة المسلمين وحمايتهم.
كالنسب والعلم والفراسة والشجاعة..ممّا أدى إلى انقراض الخلافة بمعناها التقليدي، وســـقوط الأمة الإسلامية في أيدي الأفرنج، والنصارى.

المصادر العربية

أولا : المصادر العربية

1- *القرآن الكريم* :

2- *ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الصديق ت 568هـ)*: الحلة السراء (تحقيق حسن مؤنس) الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، 1963

3- *ابن أبي دينار (القيرواني)* : المؤنس في أخبار أفريقيا و تونس (تحقيق و تعليق محمد شمام) الطبعة الثانية مطبعة 20 مارس تونس 1967م.

4- *ابن أبي زرع (علي بن عبد الله الفاسي ت ف 8 هـ)*: كتاب الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ فاس، (أعتنى بتصحيحه كارك و تنبرغ) 1973م.

5- *ابن الأثير (أبو الحسن عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري 630هـ)*: الكامل في التاريخ، دار صادر بيروت 1995.

6- *ابن الأحمر (أبو الوليد إسماعيل)* : روضة النسرين في دولة بني مرين، (تحقيق عبد الوهاب بن منصور) المطبعة المالكية، الرباط 1962.

7- *ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد بن محمد اللواتي ت 779 هـ)*: تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، الطبعة الأولى المطبعة الخيرية 1322 هـ.

8- ابن تومرت (محمد بن عبد الله ت 524 هـ) أعز ما يطلب (تقديم و تحقيق عمار طالبي) المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1985.

9- ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني ت 614 هـ) رحلة إبن جبير، الطبعة الأولى، طبعة بيروت 1964م.

10- *ابن حزم الظاهري (أبو محمد بن حزم)* : الفصل في الملل و الأهواء و النحل (تحقيق محمد إبراهيم نصر عبد الرحمن عميرة) الجزء الرابع، بيروت بدون تاريخ.

11- *ابن حيان الأندلس (أبو مروان بن خلف ت 427هـ)*: كتاب المقتبس في تاريخ الأندلس، عهد الأمير عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام (تحقيق و شرح و تعليق إسماعيل العربي) دار الأفاق الجديدة المغرب 1990م.

12- ابن خلدون (عبد الرحمن أبو زيد بن محمد ت 808هـ):

أ. المقدمة (تحقيق عبد الواحد وافي) دار الكتب العلمية، بيروت، 1992 م

ب. كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر جزاءان 6 و 7 (تحقيق عبد الواحد وافي) دار الكتب العلمية بيروت 1992م.

13- إبن خلدون (يحي):

بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد (تحقيق عبد الحميد حاجيات(، المكتبة الوطنية، الجزائر 1980م.

14- ابن الخطيب (أبو عبد الله لسان محمد بن عبد الله ت 776هـ):

أ. رقم الحلل في نظم الدول ، المطبعة العمومية تونس 1316هـ

ب. أعمال فيمن بويع قبل الإحتلال من ملوك الإسلام القسم الثالث نشره ليفي بروفنسال تحت عنوان "تاريخ إسبانيا الإسلامية" ، دار المكشوف، بيروت 1956م.

15-ابن خلدون (أبو العباس شمس الدين بن محمد 681هـ). وفيات الأعيان و أبناء الزمان (تحقيق إحسان عباس) دار الثقافة، بيروت، بدون تاريخ.

16-ابن صاحب الصلاة (أبو مروان عبد الله بن محمد ت 543 هـ):

المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين (تحقيق عبد الهادي التازي) دار الأندلس، بيروت 1964.

17- ابن عذاري (أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي ت ق 8هـ):

البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب قسم الموحدين (تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وزملائه) الطبعة الأولى، دار المغرب الإسلامي، بيروت 1985م.

18- ابن العربي (محمد بن عبد الله بن المعافري ت 543هـ):

العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه و سلم (تحقيق محي الدين الخطيب) المطبعة السفلية و مكتبتها جزيرة الروضة 1371 هـ .

19- ابن العنابي (محمد بن محمود) :

السعي المحمود في نظام الجنود (تقديم و تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983م.

20- ابن فرحون (برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد ت 799هـ) :

الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (دراسة و تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان) الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت 1996م.

21- ابن الفرضي (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي ت 403هـ) :

ا. تاريخ علماء الأندلس (تحقيق إبراهيم الأبياري) دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1989م.

ب. تاريخ علماء الأندلس، طبع في مدينة مجريط، بمطبع بلاغر نلده، المجلد الأول 1800م.

22- ابن القاضي : (عبيد الله تعلى احمد بن محمد) :

جذوة الإقتباس فيمن حل من الإعلام مدينة فاس، دون مكان الطبعة، 1309 هـ.

23- ابن القطان (أبو الحسن بن علي ت 646 هـ):

جزء من كتاب نظم الجمان (تحقيق علي مكي) كلية الأداب و العلوم الإسلامية المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط بدون تاريخ.

24- ابن القنفذ القسنطيني (أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب 810هـ):

ا. الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية (تقديم و تحقيق محمد شاذلي النيفر، عبد المجيد التركي) الدار التونسية للنشر تونس 1968م.

ب. كتاب الوفيات (تحقيق عادل بن نهيض) دار الأفاق الجديدة، بيروت 1980م.

25- أبو زكريا يحي الصنهاجي :

كتاب سير الأئمة و أخبارهم (حققه ووضع هوامشه إسماعيل العربي) الطبعة الثالثة ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1997.

26- أبو يعلي محمد (بن حسين الحنبلي) :

الأحكام السلطانية، شركة مكتبة و مطبعة، مصطفى الياس الحلبي و أولاده مصر، بدون تاريخ.

27- أحمد بن يحي (بن عميرة الضبي ت 599هـ) :

بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الأندلس علمائها و أمرائها و شعرائها و ذوي النباهة فيها ممن دخل اليها او خرج عنها ، مطبعة روضس مدينة مجريط 1981م.

28- الأدريسي (أبو عبد الله محمد بن أدريس 560هـ):

المغرب العربي في كتاب نزهة المشتاق في إختراق الأفاق من القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي (حققه و نقله محمد حاج صادق) المطبوعات الجامعية الجزائر 1983م.

29- البغدادي (عبد القادر) :

الفرق بين الفرق (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد) الطبعة الأولى القاهرة 1991م.

30- البيدق (أبو بكر على الصنهاجي ت ق 6هـ) :

أخبار المهدي بن تومرت (تقديم و تحقيق عبد الحميد حاجيات) الجزائر 1974م .

31- الترمانتي (عبد السلام) :

أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنن من سنة 37هـ (تأليف و تصنيف عبد السلام الترمانيي) الجزء الثاني، الطبعة الأولى ، الطبعة الأولى، ملا سدار 1991م.

32- التنسي (محمد عبد الله):

تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الذر و العقبان (تحقيق محمود بوعياد) المكتبة الوطنية الجزائر 1985م.

33- الجزنائي (علي):

جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس (تحقيق عبد الوهاب بن منصور) مطبعة جديدة، المطبعة الملكية الرباط 1991م.

34- الزركلي (خير الدين) :

الإعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال و نساء من العرب و المستعربين و المستشرفين، الطبعة الثانية، الجزء الرابع و العاشر، بدون تاريخ.

35- السلاوي (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ت 1315م):

الإستقصاء لأخبار، دول المغرب الأقصى، (تحقيق والدي المؤلف جعفر و محمد) دار البيضاء ج2، 1954م.

36- السيوطي (جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن ت 911هـ) :

أ. تاريخ الخلفاء، طبعة جديدة بيروت 1994 م.

ب- كتاب الموطا كتاب إسعاف المبطأ برجال الموطأ (قدم لهما وراجعهما و نسقهما فاروق سعد) الطبعة الأولى ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت 1979م.

37- الشهر ستاني (أبو الفتح محمد بن الكريم بن أحمد ت 548هـ) :

الملل و النحل (تحقيق سيكيلاني) دار المعرفة ، بيروت 1982م.

38. الغبريني (أحمد بن محمد بن عبد الله ت 714هـ):

عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية (تحقيق رابح بونار) الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر بدون تاريخ.

39- القاضي النعمان (بن محمد ت 363 هـ):

كتاب المجالس و المسايرات (تحقيق إبراهيم شيوح الحبيب الفقي محمد اليعلاوي). المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس 1978م.

40. القلقشندي (أبوا العباس ت 821ه) :

أ. مأثر الأنافة في معالم الخلافة (تحقيق عبد الستار أحمد فراج) طبعة عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ.

ب. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء مقتطفات (عرض و تحليل عبد اللطيف حمزة) المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة و الطباعة و النشر، القاهرة 1962م.

41- الكلاباذي (ابو بكر محمد):

التعرف لمذهب أهل التصرف لولا التعرف لما عرف التصوف (حققه و عرف يا علامه وقدم له عبد الحليم محمود طه عبد الباقي سرور) درا إحياء الكتب العربية، القاهرة 1960م.

40- مؤلف مجهول :

كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية (أعتني بنشره و تصحيحه س علوش) المطبعة الاقتصادية، الرباط 1936م)

41- الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد حبيب البصري 450هـ):

أدب الدنيا و الدين (حققه وعلق عليه مصطفى السقا) الطبعة الثالثة، شركة و مطبعة مصطفى البابا الحلبي و أولاده مصر 1955م.

42- محمد أبو زهرة :

تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة و العقائد و تاريخ المذاهب الفقهية، القاهرة، بدون تاريخ.

43- *المراكشي (أبو عبد الله محمد بن عبد الملك ت 703هـ) :*

السفر السادس في كتاب الذيل و التكملة لكتاني الموصل و الصلة (تحقيق إحسان عباس) الطبعة الأولى، دار الثقافة بيروت 1973م.

44- *المراكشي (عبد الواحد بن علي ت 657هـ):*

المعجب في تلخيص أخبار المغرب (تحقيق محمد سعيد العريان و محمد العربي العلمي) الطبعة السابعة، دار البيضاء 1978م.

45- *المقريزي (تقي الدين أحمد علي ت 845هـ):*

إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء (نشره و حققه و علق حواشيه وأقدم له ووضع فهارسه جما الدين شيال) دار الفكر العربي، مصر 1978م.

46- *محمد الصنهاجي (أبو عبد الله) :*

أخبار ملوك بني عبد وسيرتهم (تحقيق و تعليق جلول أحمد بدوي) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 .

48- *النويري (أحمد بن عبد الوهاب ت 732هـ) :*

تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط إفريقية و المغرب الأندلس صقيلة و أقرايطش من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب (تحقيق و تعليق مصطفى أبو ضيف أحمد) دار النشر المغربية، دار البيضاء بدون تاريخ.

49- *الوزير السراج محمد بن محمد الأندلسي:*

الحلل السندسية في الأخبار التونسية (تحقيق و تقديم محمد الحبيب الهيلة) الملجد الثاني، دار المغرب الإسلامي، بيروت 1985م.

50- *الونشريسي (أحمد بن يحي ت 914هـ):*

كتاب الولايات و مناصب الحكومة الإسلامية و الخطط الشرعية (نشر و تعليق محمد الأمين بلغيث) لافوميك، الجزائر 1985م.

المراجع

ثانيا: المراجع الحديثة العربية والمعربة.

1-أحمد بدر:

تاريخ المغرب والأندلس، المطبعة الجديدة، دمشق 1981.

2-أحمد أمين:

فجر الإسلام، الطبعة الحادية عشر، دار الكتاب العربي، بيروت، 1975.

3-إبراهيم حركات:

أ-النظام السياسي والحربي لدولة المرابطين، دار البيضاء دون تاريخ .

ب- السياسة والمجتمع في العصر الأموي، الطبعة الأولى، دار الآفاق الجديدة المغرب1983.

4-أحمد مختار العبادي:

I- في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت 1978.

II- في تاريخ العباسي والأندلسي، دار العربية للكتاب، بيروت، دون تاريخ.

5-ألفريدبال:

الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم (ترجمة عبد الرحمن بدري) الطبعة الثالثة دار الغرب الإسلامي 1987.

6-حسن إبراهيم حسن:

أ- الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي العصر العباسي الثاني (في الشرق ومصر والمغرب والأندلس)، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة العربية، مصر، 1991.

ب-تاريخ الدولة الفاطمية بالمغرب وسوريا وبلاد العرب، طبعة جديدة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1958.

ت-المعز لدين الله، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة المصرية، 1962-1963.

ث-النظم الإسلامية، الطبعة الثالثة، مكتبة الهنضة المصرية 1962.

7-حسن حسني عبد الوهاب:

خلاصة تاريخ تونس مختصر يشمل ذكر حوادث القطر التونسي منذ أقدم العصر إلى الزمان الحاضر، الطبعة الرابعة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968.

8-حسن عطوان:

الفقهاء والخلافة في العصر الأموي، الطبعة الأولى، بيروت، 1991.

9-حسن الباشا:

الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والأثار، القاهرة 1957.

11-حسين مؤنس

أ-تاريخ المغربوحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، دولة المرابطين والموحدين والحفصيين ، المجلد الثاني، الطبعة الثانية، العصر الحديث للنشر والتوزيع، ذ بيروت، 1978.

ب-معالم تاريخ المغرب والأندلس، الطبعة الأولى، القاهرة، 1980م.

12-رشيد بورويبة:

الوضع السياسي الفاطمي والزيري(تعريب محمد بلقراد) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

13-رشيد ملين:

عصر المنصور الموحدي من سنة 580 هـ إلى سنة 595هـ، مطبعة الشمال الإفريقي،

دون تاريخ.

14-رضوان السيد:

الأمة والجماعة والسلطة، دراسات في الفكر السياسي العربي الإسلامي، الطبعة الأولى، دار اقرأ للنشر والتوزيع 1984م.

16-الدراجي بوزياني:

نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1993م.

17-دوزي:

تاريخ مسلمي إسبانيا، الحروب الأهلية الجزء الأول (تعليق الحسن حبشي مراجعة جمال محرز مختار العبادي) وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة النشر 1963م.

18-روبار برونشفيك:

تاريخ افريقية في العصر الحفصي من القرن الثالث عشر الميلادي إلى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي (نقله إلى العربية حمادي الساحلي) الجزء الثاني، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.

19-لوتورنو روجي:

I- حركة الموحدين في المغرب في القرنيين الثاني عشر والثالث عشر (ترجمة أمين الطيبي) الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1982م.

II- تاريخ مدينة فاس (ترجمة نقولا زيادة)، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت، نيويورك، 1983م

20-سرور محمد جمال الدين:

مصر في عصر الدولة الفاطمية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1960.

21-شاكر مصطفى:

دولة بني العباس، وكالة المطبوعات، الكويت، 1974م.

22-صالح بن قربة:

المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي حتى سقوط بني حمـلا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

23-صبحي الصالح:

النظام السياسي ونشأتها وتطورها، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت، 1978م

24-عبد الحميد حاجيات:

أ-أبو موسى الزياني حياته وآثاره، طبعة جديدة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982.

ب-الحياة الاجتماعية والاقتصادية في عهد المرابطين والموحدين، وزارة الثقافة والسياحة الجزائر 1986م.

25-عبد العزيز سالم:

المغرب الكبير الجزء الثاني، العصر الإسلامي، دراسة عمرانية وأثرية، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، بيروت 1981م.

26-عبد الله علي علام:

الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، مصر، 1971م.

27-عبد الله عنان محمد:

عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الثاني، عصر الموحدين، وانهيار الأندلس الكبرى ومطبعة لجنة التأليف والترجمة، بيروت، 1964م.

28-عبد الله كنون:

النبوغ المغربي في الأدب العربي، الطبعة الثالثة منفحة ومزيدة، الجزء الأول مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت 1975م.

29-عبد المجيد النجار:

أ-التغيير في حركة المهدي بن تومرت، الطبعة الأولى مطبعة قرطاج، تونس 1984م.

ب-المهدي بن تومرت حياته وأراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، الطبعة الأولى دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983م.

30- عبد الهادي الإدريسي:

الإمامة عند ابن تومرت (تقديم أبو عمرن الشيخ) ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1991م.

31- العريني يوسف:

الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة الرياض 1995م.

32-عز الدين موسي:

الموحدون في المغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م.

33-عزيز أحمد:

تاريخ صقلية الإسلامية (نقله إلى العربية أمين توفيق الطيبي) الدار العربية للكتاب طرابلس الغرب 1980م.

34-عصمت دندش عبد اللطيف:

الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني 510هـ-546هـ/1176م-1151م تاريخ سياسي وحضاري، الطبعة الأولى دار الغرب الإسلامي بيروت1988م.

35-علي حسن الخربوطلي:

الإسلام والخلافة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت 1969م.

36-علي عبد الرزاق :

الإسلام وأصول الحكم بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام، مطبعة مصر القاهرة1952م

-فرحات الدشراوي:

الخلافة الفاطمية بالمغرب 296هـ-365هـ/909م-975م التاريخ السياسي والمؤسسات (نقله

إلى العربية حمادي الساحلي) الطبعة الأولى دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م.

37-القشقري عبد الرحيم محمد:

الكنى والأسماء للإمام مسلم بن الحجاج (دراسة وتحقيق عبد الرحيم أحمد

القشقري)الجزء الأول الطبعة الأولى المجلس العلمي، إحياء التراث الإسلامي المدينة المنورة 1984م.

38-كارل بروكمان:

تاريخ الشعوب الإسلامية (نقله إلى العربية نبيه أمين فارس منير البعلبكي) الطبعة الأولى، دار العلم للملايين 1948م.

39-ليفي بروفنسال:

مجموع رسائل موحدي من كتاب الدولة المؤمنية، الرباط 1941م.

40-ماجد عبد المنعم:

نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، الجزء الأول مكتبة الأنجلو مصرية 1953م.

41-محمد الأمين بلغيث:

النظرية السياسية عند المرادي وأثرها في المغرب والأندلس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989م

42-محمد العروسي المطوي:

السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، بيروت 1986م.

43-محمد الهادي العامري:

تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الازدهار والذيول، نشر الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1974م.

44-محمود بوعياد:

جوانب من الحياة من المغرب الأوسط القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982م.

45-محمود شاكر:

التاريخ الإسلامي مفاهيم حول الحكم الإسلامي، الجزء التاسع، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي 1991م.

41- مصطفى بنسباع:

السلطة بين التسنن و"التشيع" والتصوف ما بين عصري المرابطين والموحدين(تقديم أحمد بنعبود) جامعة عبد الملك السعدي، الطبعة الأولى، تيطوان 1999م.

42-موسى لقبال:

أ-المغرب الإسلامي منذ بناء معسكرات القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج سياسة ونظم، الطبعة الثالثة المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984م.

ب- دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري-الحادي عشر الميلاديْ-الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1979م.

ت-الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي نشأتها وتطورها، الطبعة الأولى الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1971.

43-يوسف أشباخ:

الأندلس في عصر المرابطين والموحدين (ترجمة عبد الله عنان) الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984م.

الرسائل الجامعية:

1- سهيلة عبريق، فن المدح في عهد المرابطين والأندلس، رسالة الماجستير، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر 1999.

2- صالح بن قربة- المسكوكات المغربية على عهد الموحدين والحفصيين والمرينيين خلال القرون: السادس والسابع والثامن للهجرة دراسة حضارية وأثرية، أطروحة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر 1996.

3-صفية ديب- التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، رسالة الماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2001.

4-محمد الأمين بلغيث، الربط في المغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين، رسالة الماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 1978.

5-محمد قريبير، الشعر الصوفي في الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، رسالة الماجستير، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق 1986.

المراجع بالفرنسية:

44-BOUROUIBA.R, L'art religieux musulman en Algerie,
(Sned), Alger 1973.
45-BURLOT.J, La civilisation Islamique, Hachette Paris 1982.
46-DHINA.A, Les Etats de l'occident musulman au XIV et XV siécles, Institutions gouvernementales et administratives, office des publications ENAL Alger 1984.
47-KHANEBOUBIA, Les premiers mérinides : Histoire politique et sociale, Editions L'Harmattan, Paris1989.
48-LEVI-PROVENCAL, Extraits des historiens arabe du Maroc, Paris, 1929.
49-SOURDEL. DJ, La civilisation de l'islam classique, Editions Arthand Paris1983.

الدوريات و الملتقيات:

-إبراهيم التهامي" الأشعرية في المغرب وموقف العلماء منها" مجلة الموافقات العدد الرابع، الجزائر 1995 ص ص 41-42.

-أحمد حدادي " جهود المغاربة في خدمة السنة" مجلة رسائل النور العدد الخامس تطوان، دون تاريخ، ص ص 21-41.

-أنيسة بركات: "ابن خلدون وعصره، أعمال الملتقى الدولي لابن خلدون، فرندة 1-4 سبتمبر 1984م ص ص 28-37.

-الحبيب الجنحاني: " الصراع الأموي الفاطمي في المغرب خلال القرن الرابع الهجري" عدد خاص أعمال الملتقى الثالث التونسي، الإسباني قرطاج 11-17 أفريل 1977م ص ص 18-32.

-سليمان عبد الغني:"بعض ملامح الحياة الاجتماعية في مدينة مراكش في عصر المرابطين والموحدين" مجلة الدارة، العدد الثالث، ديسمبر الرياض 1986م ص ص 172-179.

-الشنوفي علي، "كتاب الناظر مدخل لتاريخ الحضارة في المغرب الإسلامي في القرن التاسع الهجري" عدد خاص الملتقى الثالث التونسي، الإسباني قرطاج 11-17 أفريل 1977م ص ص90-105.

-صالح أبو دياك" المواكب السلطانية ورسوم الأعلام في الدولة الحفصية" مجلة الدارة العدد الأول السنة الثانية عشر يونيو، الرياض 1986م ص ص 175-182.

-عبد الحميد حاجيات:

أ-" تاريخ دولة الأدارسة من خلال كتاب نظم الذر والعقبان لأبي عبد الله التنسي" القسم الأول مجلة التاريخ، الجزائر 1980 م ص ص 6-46.

ب-"تلمسان مركز الإشعاع في المغرب الأوسط" مجلة الحضارة الإسلامية عدد خاص 14-18-21 أفريل 1993 م ص ص 61-82.

ت-" عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموجدين" مجلة الأصالة العدد 64 ديسمبر 1978م ص ص 41-50.

-عبد الرحيم لمشيش " السلطة والدين في نظر الإسلام" مجلة المعالم، العدد الثاني، الجزائر 1994م ص ص 128-130.

-ماريا مسيوس فيغيرا " أخبار أفريقية في المسند لابن مرزوق" أعمال الملتقى الثالث التونسي-الإسباني، العدد 103-104 قرطاج، تونس 1977، ص ص

-محمد بن عبد الجليل: " كيف قاومت المالكية التشيع من أول عهد الدولة الزيرية إلى عهد المعز بن باديس الصنهاجي" عدد خاص أعمال الملتقى الثالث التونسي-الإسباني، قرطاج 1977 ص ص 5-16.

-موسى لقبال "دور قبيلة كتامة في قيام الدولة الفاطمية" مجلة الأصالة العدد 11 نوفمبر -ديسمبر 1972م ص ص 173-185.

-وداد القاضي: " النظرية السياسية لسلطان أبو حمو موسى الزياني الثاني ومكانتها بين النظريات السياسية المعاصرة لها " مجلة الأصالة السنة الرابعة العدد 27 سبتمبر -أكتوبر 1975م ص ص 1-100.

2/ الموسوعات والمعاجم:

-موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم " مادة إمارة" محمد علي التهتوي تحقيق علي دحروج، ترجمة زيناني، مكتبة لبنان، بيروت.

-معجم أعلام الجزائر لصدر الإسلام حتى منتصف القرن العشرين، عادل نويهض طبعة الأولى من منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1971.

3/دائرة المعارف الإسلامية " مادة الزلاقة" مجلد ر-ز دون تاريخ.

الفهارس العامة

فهرس الأعلام والقبائل والشعوب

أ- فهرس الأعلام

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم 1، 2، 3، 5، 7، 19، 27، 29، 30، 31، 50، 72، 73، 81، 83.

-أ-

أبا الفضل بن محشرة 98
إبراهيم الخليل 100
إبراهيم بن الأغلب 11
إبراهيم بن الحسن 192
إبراهيم بن تاشفين 60
إبراهيم بن علي 61
إبراهيم عنان 10
إبن أبي خصال 68
ابن أبي عمارة ابن المسيلي 119
ابن الأحمر 187
ابن الحزم القرطبي 101
ابن الخطيب 187
ابن الصائغ 112
ابن إندراس 140
ابن تافراجين 123
ابن تومرت 73، 72، 74، 75، 77، 78، 79، 80، 81، 82، 92، 94، 99، 101، 107،103، 195، 201
ابن جوزي 187، 193
ابن رضوان 187
ابن زيان محمد بن عثمان 164
ابن عباد 62
ابن غانية 109

ابن هانئ 24
ابن هود 103
أبو أحمد جعفر بن عبيد 33
أبو إسحاق إبراهيم 119، 122، 123
أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي 162
أبو البقاء خالد 122
أبو بكر بن حرزة 172
أبو بكر بن حمامة 185
أبو بكر بن عبد الحق 186
أبو بكر بن علي 62
أبو بكر بن عمر اللمتوني 37، 52، 55، 66
أبو بكر بن علي يوسف 60
أبو بكر الشاشي 74
أبو بكر الصديق 3، 4، 27، 31
أبو بكر الصيرفي 68
أبو بكر محمد عبد الله بن داود الخطاب الغافقي 172
أبو تاشفين الأول 155، 156، 164
أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو 177
أبو ثابت بن عبد الرحمان 151، 16، 167
أبو ثابت المتوكل 113، 151
أبو جعفر بن عطية 6، 11، 13
أبو جعفر الصادق 68
أبو جعفر النبي 68
أبو الحسن بن العياش القرطبي 68
أبو الحسن بن ياسين 98
أبو الحسن طيب 116
أبو الحسن المريني 33
أبو حفص عمر الثاني 123، 148، 167، 195، 198
أبو حفص عمر الهنتاتي 82
أبو حمو موسى الأول 148، 151، 153، 156، 169، 170، 147، 148، 149، 11، 152، 153، 154
أبو حمو موسى الثاني 162، 16، 166، 167، 168، 169، 171، 172، 173، 174، 176، 178، 183

أبو زكريا الناصر 112
أبو زكريا أبي إسحاق 132، 134، 137
أبو زكريا صالح الهنتاتي 184
أبو زكريا الفزازي 99
أبو زكريا يحيى 109، 111، 112، 142، 144
أبو زكريا يحيى بن صالح الهنتاتي 115
أبو زكريا الواثق 112، 117، 119، 132
أبو طاهر تميم 62، 67
أبو سالم فتح الله بن عمر بن محمد السدراني 207
أبو سعيد بن أبي زيد 118
أبو سعيد عثمان بن سعيد 33، 147، 148، 151، 164، 167، 169، 173، 189، 19، 210.

أبو العباس أحمد 123
أبو العباس أحمد بن إبراهيم 112
أبو العباس أحمد بن عبد الله 139
أبو العباس بن ماض 98
أبو العباس محمد أحمد العاقل 113
أبو عزة زكدان بن زياد 164
أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز 123
أبو عبد الله محمد بن يعقوب المنصور 108
أبو عبد الله محمد 82
أبو عبد الله محمد الرابع. 125
أبو العلا أدريس 85، 108، 118، 183
أبو عمران بن سيد أبي عبد الله يعقوب 108
أبو عيسى محمد بن محمد بن أبي بكر السداد 172
أبو الفضل بن عبد الله بن أبي مدين 123
أبو الفضل جعفر بن علي 33
أبو فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب 140، 186، 187، 188، 192، 210
أبو القاسم القالمي 98
أبو القاسم بن السقاط 68
أبو القاسم بن بقي 98
أبو القاسم محمد بن عبيد الله 16، 18
أبو القاسم محمد بن يحيى الغساني البرجي 210
أبو مالك عبد الواحد بن أبي حمو الثاني 149، 156، 198

أبو المكارم المنديل بن محمد بن المعلم 173
أبو محمد عبد الواجد بن أبي حفص 105، 106، 108
أبو يحيى بن أبي العلاّ بن جامع 112
أبو يحيىأبو بكر بن عبد الحق 183، 184، 186، 188، 202.
أبو يحيى بن يحيى بن عبد الحق 146
أبو يوسف يعقوب 105، 167، 182، 184، 197، 200، 204، 210
أحمد ابن مرزوق 170
أحمد أبي سالم بن أبي الحسن 119، 187
أحمد بن العز 192 .
أحمد بن مرزوق 198
أحمد أبي سالم بن أبي الحسن 10، 88
أخيل بن ادريس الرندي 21
ادريس الأول 10، 88
ادريس الثاني 21.
ادريس بن عبد المالك 117
ادريس عبد الواحد الرشيد 88
آدم عليه السلام 100
اسحاق ابن علي 66
اسماعيل بن جعفر الصادق 06
الإيادي 24

-ب-

بربروس 189
بلقين بن زيري 41
باديس بن منصور 41
بيدق 75
بيبرس بن دقداري 133
بيتر الرابع 156

-ت-

تاشفين بن علي بن تاشفين 46، 60، 61، 65، 66، 71، 195
تاشفين بن محمد الخامس 158

-ج-

جعفر صادق 06

-ح-

الحسن بن أبي طالب 06، 34
الحسن بن أبي طالب 06، 30
الحلواني 11
حوذر 34
الحسن بن أبي مروان الأندلسي الحميري 117
حيدر باشا 114
الحسن المزالي 160
حمامة بن محمد 185

-خ-

خادل 33
خير الدين بربروس 149
خليفة بن حيون بن رقاصة 208

-ز-

زيان بن ثابت 152

-ر-

الرشيد 36، 84، 88، 91، 93، 99

روجي لي ترنو 73
رحو بن محمد بن علي الخرساني
(المعروف بأبي الفتوح التيجاني). 170

-ط-

أبي بكر الطرطوشي 57، 74

-ع-

عامر بن عبد الله بن يوسف 191
عامر بن فتح الله السدراتي 200
عبد الحق بن سبعين 102، 119، 13
عبد الله بن جلاء البجائي 112
عبد الله بن أبي مدين العثماني 208، 210
عبد الله بن عباس المستظهر بالله 47، 156
عبد الله محمد بن عبد الجابر الرعيني السوسى 118
عبد الله بن ميمون القداح 15
عبد الله بن فاطمة 61
عبد الله بن ياسين 43، 55، 102
عبد الله بن محمد الحبيب 14، 15، 23، 27
عبد الرحمان ناصر 36
عبد الرحيم بن إلياس 39
عبد الرحمن بن خزال التسولي 210
عبد الرحمن بن رستم بن بهرام 9
عبد الرحمن بن محمد بن ملاح 173
عبد المجيد بن عبدون 67
عبد القوي بن عياش بن عطية 109
عبد المهيمن بن محمد الحضرمي 210
عبد العزير بن عبد أبي الحسن 195
عبد المؤمن بن علي 66، 71، 78، 81، 82، 83، 84، 85، 87، 90، 94، 95، 97، 98، 99، 100، 102، 103، 106، 108، 109

عبد الواحد بن محمد بن الواحد 108
عبد الواحد بن ناصح بن محمود الهسكوري 208
عثمان بن عبد الحق 200
علي بن أدريس المأمون بن يعقوب 88
علي بن أبي طالب 19، 26، 30، 31، 73
علي بن يوسف بن تاشفين 46، 47، 51، 53، 56، 57، 61،58، 63، 65، 66، 69.
علي بن عبد العزيز الأنصاري 67
علي بن المأمون 85
علي قبطان 144
عقيل بن عطية 98
عنبر الحضي 208
عيسى بن مريم 78

-غ-

غانم بن محمد الراشيدي 170
غازي بن يحيى بن ادريس بن الكاس الورتاجين 207

-س-

سليمان بن جدو 55
سليمان بن داود العسكري 207
سعيد بن موسى الثاني 158
سنان باشا 144
-سيدي إبراهيم المصمودي 161
-سيدي أبو الحسن 161
-سيدي الحلوي 194
-سيرين أبي بكر 61، 62
-سيرين علي 60

-ف-

فاطمة الزهراء 31
الفضل بن أبي يحيى أبي بكر 129
فاتن بن مطغرة يدري بن يخفت بن عبد الله 182
فارس بن ميمون بن ودرا الحاشمي 207

-ق-

القائم بالله بن عبيد الله 18، 28، 83

-ك-

الكيالهراسي 74

-ل-

لويس التاسع 114، 138

-م-

المأمون أبو العلا 88
المأمون بن يعقوب 84، 88، 91، 92، 99
ماخوخ الزياني 185
مالك بن وهيب 68
المبارك بن عبد الجبار 74
المتوكل على الله 127، 192، 195
مرين بن ورتاجن 185
محمد أبي عصيدة الواثق 111، 119
محمد بن عبد أبي عبد الرحمان المغيلي 210
محمد الباقر 06

محمد البشير الونشريسي 79
محمد بن اسماعيل 06
محمد عبد الله بن عطو الجيناني اسحاق 207
منصور أبي طاهر اسماعيل 10، 18، 25، 28، 33، 34، 88،85
محمد بن أحمد بن ربيب الكاسل 110
محمد بن تومرت 59، 71، 72، 73، 75، 78، 79، 80، 85، 81، 89، 91، 94، 100، 102، 104، 118، 120، 134، 143
محمد بن الحسن الحفصي 127، 144
محمد بن الحمراء 113
محمد بن سعيد الكلبي 210
محمد بن محمد الفقيه 210
محمد بن ناصر بن الأحمر 103
محمد بن عمران الغمراني 210
محمد ذو النفس الزكية 10
محمد الكناني 115، 185
محمد بن ميمون بن مالح 171
محمد الموحدي 6، 14، 17، 18، 24، 30، 36، 6، 77، 81، 83، 84، 87، 88، 90، 92، 108، 109، 112
مسلم سجلمائي 33
المعز بن باديس 41
المعز لدين الله 12، 18، 24، 25، 28، 32، 34، 37
معاوية بن سفيان 26
منصور بن بلوقين 41
موسى بن علي الكدري 164

-ن-

نقفور الفقاس 24
ناصر الموحدين 107

-و-

وادافل بن عبو 170

-هـ-

هلال القطلاني 71
هارون الرشيد 11
الهادي 36

-ي-

يحي بن أبي منديل العسكري 207
يحي بن حازم العلوي 207
يحيى بن طلحة بن يحيى بن محلى البطرئي 207
يحيى بن عمر 55، 71
يحيى بن مكن 170
يحيى بن موسى الكمي 170
يعقوب بن عبد الحق 146، 184، 185، 191، 195، 208، 210
يعقوب بن منصور 98، 100
يعقوب بن يوسف الأول 87
يغمراسن بن زيان 109، 126، 145، 146، 147، 150،148، 153، 159، 160، 161، 162، 167، 169، 175، 176، 178، 184، 204.
يوسف بن تاشفين 46، 47، 50، 51، 52، 54، 55، 56، 59، 61، 62، 63، 65، 66، 68، 71، 102، 193
يوسف بن يعقوب 86، 87، 93، 806
يوسف المنتصر الموحدين 183

2/فهرس القبائل والشعوب

-ب-

بنو الأحمر 103، 110
بنو الأغلب 16
بنو أمية 29
بنو جامع 98، 111
بنو حفص 103، 107، 108، 113، 116، 121، 129، 132، 140، 146، 175، 178، 188
بنو زيان 106، 112، 116، 126، 134، 145، 166، 156، 167، 168، 173، 177، 178، 179، 180، 184
بنو عبد الواد 103، 145، 146، 182، 186، 188
بنو عسكر 199
بنو غنية 145
بنو مرين 103، 106، 123، 134، 145، 146، 162، 177، 180، 181، 182، 186، 183، 187، 188، 197، 205
بنو منصور 109
بنو هود 103
بنو وسين 182
بنو وطاس 103، 106
بنو واتنطق بن منصور 43
بنو هلال 178
بنو يادين 182
بني يلومي 182

-ت-

التتار 127

-ص-

صنهاجة 93، 120

-ق-

قبائل بربر 43، 103، 138، 183
قبائل هنتاتية 111
قبائل زيانية 148، 182
قبائل عربية 183، 18

-ك-

كتامة 14
كدميوة 80
كومية 83

-ل-

لمتونة 43

-م-

المرتزقة 103
مصامدة 10، 9، 71، 72، 79، 82، 93، 103، 107، 120
مغراوة 109

-و-

ولهاصة 171

-هـ-

هرغة 72
هنين 168، 179
هوارة 168

فهرس الأمكنة

-أ-

أجادير 160

اسبانيا 50

اشبيلية 62

افريقيا 09، 42، 105.

افريقية 11، 12، 16، 33، 39، 41، 45، 47، 105، 106، 107، 108، 109، 112، 120، 121، 123، 124، 125، 129، 139، 142، 144، 187

الأندلس 4، 36، 37، 40، 43، 45، 46، 50، 53، 54،56، 59، 60، 61، 62، 63، 64، 66، 67، 68، 69، 71، 93، 94، 96، 97، 98، 102، 103، 104، 105، 109، 115، 141، 142، 150، 152، 153، 155، 187، 188، 1889، 192، 195، 196، 197، 210

ايطاليا 111

إيكيجان 185

-ب-

بجاية 104، 108، 112، 114، 115، 116، 117، 143، 188

البحر الأبيض المتوسط 37، 65، 179

البربر 10، 32، 39، 41، 43

برقة 164

بسكرة 139، 142، 182

البطحاء 168

البصرة 10

بغداد 11، 14، 24، 37، 46، 47، 74، 114، 119، 180
بلنسية 93
بونة 113، 124، 135، 139

-ت-

تازا 183، 186
تجرارت 160
تلمسان 10 39، 105، 106، 109، 113، 115، 116، 145، 146، 147، 148، 149، 150، 154، 156، 160، 163، 165، 167، 168، 170، 178، 182، 184، 188، 196، 201
تلاغ 167
تمزعران 168
تنس 161
تنملل 185، 78
توزر 143
تونس 11 16، 75، 104، 106، 108، 109، 111، 113، 114، 116، 117، 123، 129، 142، 143، 144، 147، 163، 185، 187، 188
تيهارت 13، 16

-ج-

الجريدة 139، 142
الجزائر 16، 105، 160، 179، 194
جزيرة جربة 16
جنوة 111
جيجل 188

-ح

الحامة 139
الحجاز 114، 228، 129
الحمامات 143

-خ-

خرسان 160

-د

درعة 170
دلس 179
دمشق 37، 74

-ر-

الرباط 184
الروم 5، 24

-ز-

الزاب 15
زاب الأسفل 185
زاب افريقية 182، 185

-ص-

الصحراء 43، 55، 60، 114، 183، 196
صقالبة 32، 33
صقلية 16، 39، 40، 111
صنهاجة 47، 71

-ط-

طنجة 105
طرابلس 16، 39
طليطلة 65
طوس 64

-س-

سبتة 59، 105
سجلماسة 13، 15، 16، 186، 188، 204
سلا 82، 93، 184.
سلمية 14
السودان 16، 43
سوريا 15، 20
سوس 71
سوق جمار 12

-ش-

الشام 36، 140
شمال الشام 14.

-ع-

العراق 04
العرب 32، 42، 43، 55، 54، 93، 117، 142، 182.
العلوج 142
غرناطة 63، 93
غرب الأندلس 93
غدامس 142

-ف-

فارس 78
فاس 09، 10، 63، 105، 118، 143، 149، 183، 184، 185، 187، 194
الفتح 184، 188
الفنقيون 59

ـق-

قابس 114، 139
القاهرة 19، 133
القبائل الشرقية 82
قرطبة 24، 37، 63، 65، 93
قسنطينة 108، 124، 126، 127، 139، 188
قشتالة 103
قفصة 143
القيروان 15، 16، 17، 108، 143

ـك-

كتامة 12، 14، 25، 28، 32، 33، 71
الكوفة 14

ـل-

لمتونة 43، 56، 57
ليبيا 76، 104

ـم-

مالقة 93
مراغة 12
مراكش 47، 62، 66، 74، 93، 94، 104، 109، 115،120، 146، 147، 159، 184، 185، 193، 195
مرسية 93
مسيلة الزاب 139
مستغانم 168
المشرق 9، 11، 20، 36، 42، 48، 50، 53، 74، 75،81، 86، 88، 114، 132، 190

مصر 12، 14، 15، 16، 18، 19، 32، 36، 39، 40، 41، 106، 107، 109، 119، 132، 138، 140، 155، 179، 182
المغرب 11، 12، 14، 15، 16، 17، 18، 20، 21، 26، 32، 36، 37، 39، 40، 42، 45، 46، 52، 53، 56، 59، 60، 61، 62، 63، 64، 69، 70، 71، 74، 75، 76، 94، 96، 97، 98، 100
المغرب الأدنى 102، 105
المغرب الأقصى 09، 10، 47، 43، 4، 71، 99، 102، 105، 114، 118
المغرب الإسلامي 4، 8، 10، 11، 12، 13، 14، 19، 20، 23، 24، 40، 46، 50، 3، 62، 64، 67، 68، 78، 81، 82، 85، 97، 102
المغرب الأوسط 09، 41، 43، 71، 102، 105، 144
مكة 10، 114، 119، 122، 128، 129، 135
المكناس 105
المناطق الشرقية للجزائر 149
المنصورة 194
المنصورية 24
المهدية 18، 24، 39، 80، 81، 82، 130
موقع الزلاقة 50
موريطانيا 16
المغول 114
المونستير 143

-ن-

ندرومة 168، 179
نفطة 143
نفرة 10
نهر السنيغال 44
نهر الشلف 142
النصارى 56، 65، 69، 71، 83، 97، 102، 103، 119، 127، 130، 181، 187، 188، 189، 210
نيجيريا 16

-و-

واد أم الربيع 93، 184
واد تافنا 94
واد تلاغ 146، 184
واد المغرب 198
واد ملوية 146، 186
واد يسيلي 147
وجدة 147، 168
وطاط 186
وهران 82، 179، 182

-ي-

اليمن 37

الملاحق

يشترك جميعُكم في المسرَّة ، ويتساهم كلُّكم في شكر الله عليها ، ويتجدد الاخلاص لكافَّتكم بهذا المسموع . . . . . (١) .

الرسالة الحادية والعشرون

وهي من إنشاء الكاتب أبي القاسم القالَميّ ، معلّماً بهزيمة عَرَب إفريقية :

من أمير المؤمنين ـ أيَّده الله بنصره ، وأمدَّه بمعونته ـ إلى الطَّلَبة والشيوخ والاعيان والكافَّة من الموحّدين من أهل فاس ـ أعزَّهم الله بتقواه ، وأدام كرامتهم بحسناه ـ سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعدُ فالحمدُ لله الذي تمَّم مقاصد أوليائه فيما اعتمدوه من إقامة أمره الواجب ، وأناف بأغراضهم المقصورة على مرضاته على مطامح المطالب ومدارك الرغائب ، وبلَّغهم في أعدائهم الذين ولّوا أمر الله وقد استقبلهم جانب الاعراض والادبار ، وبدَّلوا نعمة الله كفراً وأحلُّوا قومهم دار البوار ، أماني الظافر الغالب ، ووكّل بهم أيَّة ولجوا ، وعلى أيّ مدرج درجوا ، من النصر المحالف المُصاحب ، ما يكون لعامَّة أكنافهم ، وجنبات أوساطهم وأطرافهم ، عين المحافظ المُراقب ، ومكّن لهم إنفاذاً لمقدوره ، وإفاضةً لأشعَّة نوره ، أسباب التقليب في أفياء الامنة وظلال السكون من جانب إلى جانب ، وأحظاهم نعمةً منه وفضلًا وقد فاؤوا بشرف الفتح الجسيم ، واحتقاب الحظّ العميم ، وابتغوا رضوان الله والله ذو

(١) السطور الاخيرة من هذه الرسالة ناقصة في الاصل المنقول عنه .

الرسالة الخامسة عشرة

وهي أيضاً من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطيّة المذكور :

من أمير المؤمنين ـ أيّده الله بنصره ، وأمدّه بمعونته ـ إلى الطَّلَبة الذين بسَبْتة والاشياخ والاعيان والكافّة بها ـ وفّقهم الله وأعانهم على شكر نعماه ـ سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاتُه .

أمّا بعدُ فالحمد لله أهل التقوى والمغفرة ، ووليّ الرحمة الشاملة والرأفة الواصلة والميسرة ، الذي نوّر أفئدة المهتدين بأنوار التبصرة ، وأقبل بقلوب الراشدين قبل التنبيه والتذكرة ، وأعلن بعصم محبّته علق النفوس التوّابة المتطهّرة ؛ والصلاة على محمّد نبيّه المبتعث بالحجّة الغرّاء المبصرة ، والدعوة الظاهرة المظهرة ، والسنّة الواضحة النيّرة ، وعلى آله الطيّبين الطاهرين ، وصحابته المختصّة المؤثرة ؛ والرضا عن الامام المعصوم ، المهديّ المعلوم ، القائم بأمر الله تعالى على رغم الفرَق الجاحدة المنكرة ، المؤيّد في رفع أسباب الشنآن ، والحماية عن ترعات الشيطان ، بموادّ المعونة المنهضة المقدرة .

وهذا كتابُنا إليكم ـ عرّفكم الله من عوارف نعمه أفضل ما تتعرّفون ، وسقاكم من معين حكمته ما لا تصدعون عنه ولا تنزفون ، وأولاكم من رحمته ما تحافظون على شكره وتعكفون ، وجعل لكم بالايمان والعمل الصالح ودًّا لا تصدفون عن رعايته ، وحفظ غايته ، ولا تصرفون ـ من حضرة مرّاكش ـ حرسها الله ـ ونحن نشكره سبحانه أن جعل هذا الامر المبارك

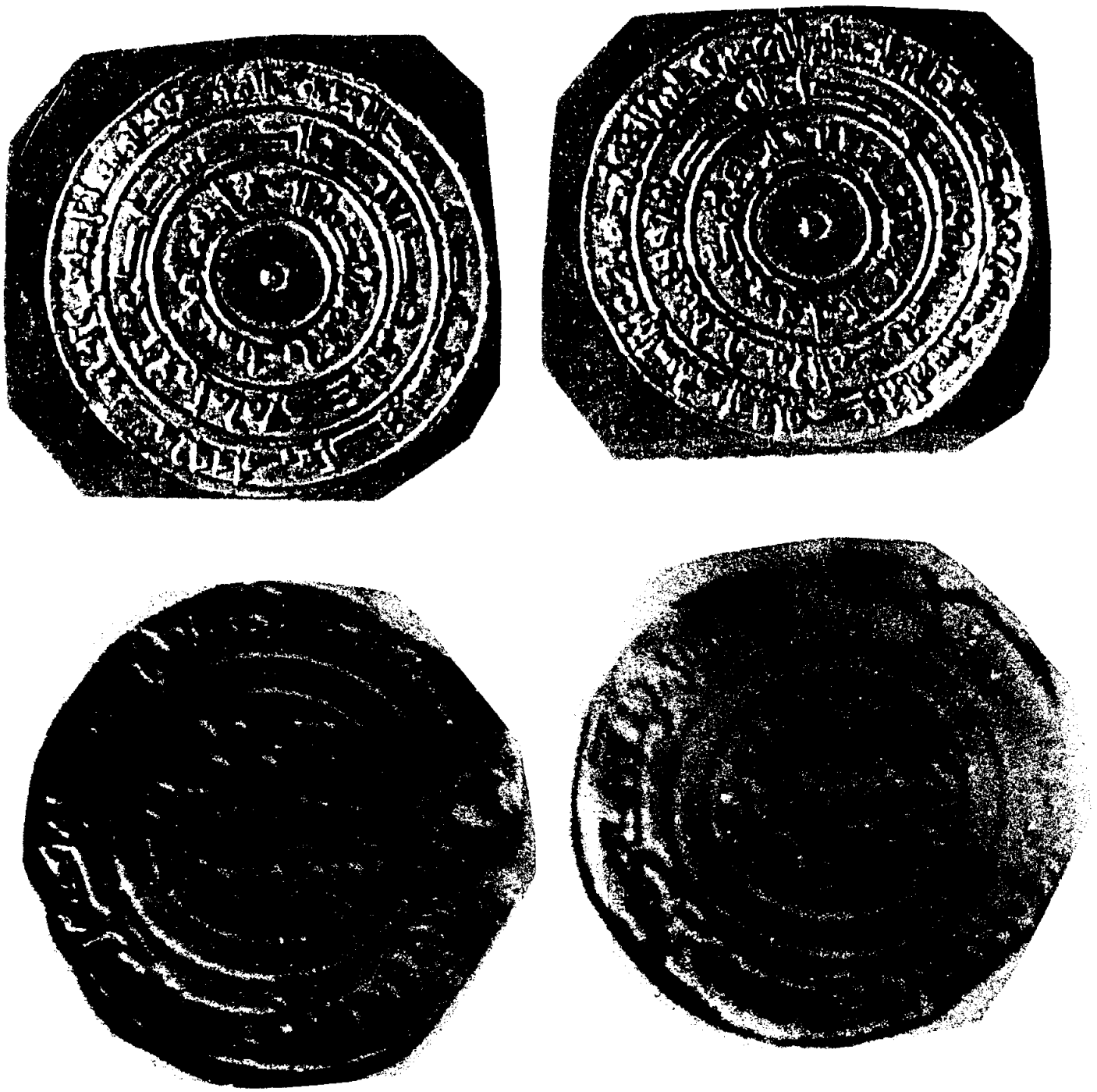

عن دا صالح بن قربه

لوحة 1 : الدينـار الفـاطمـي

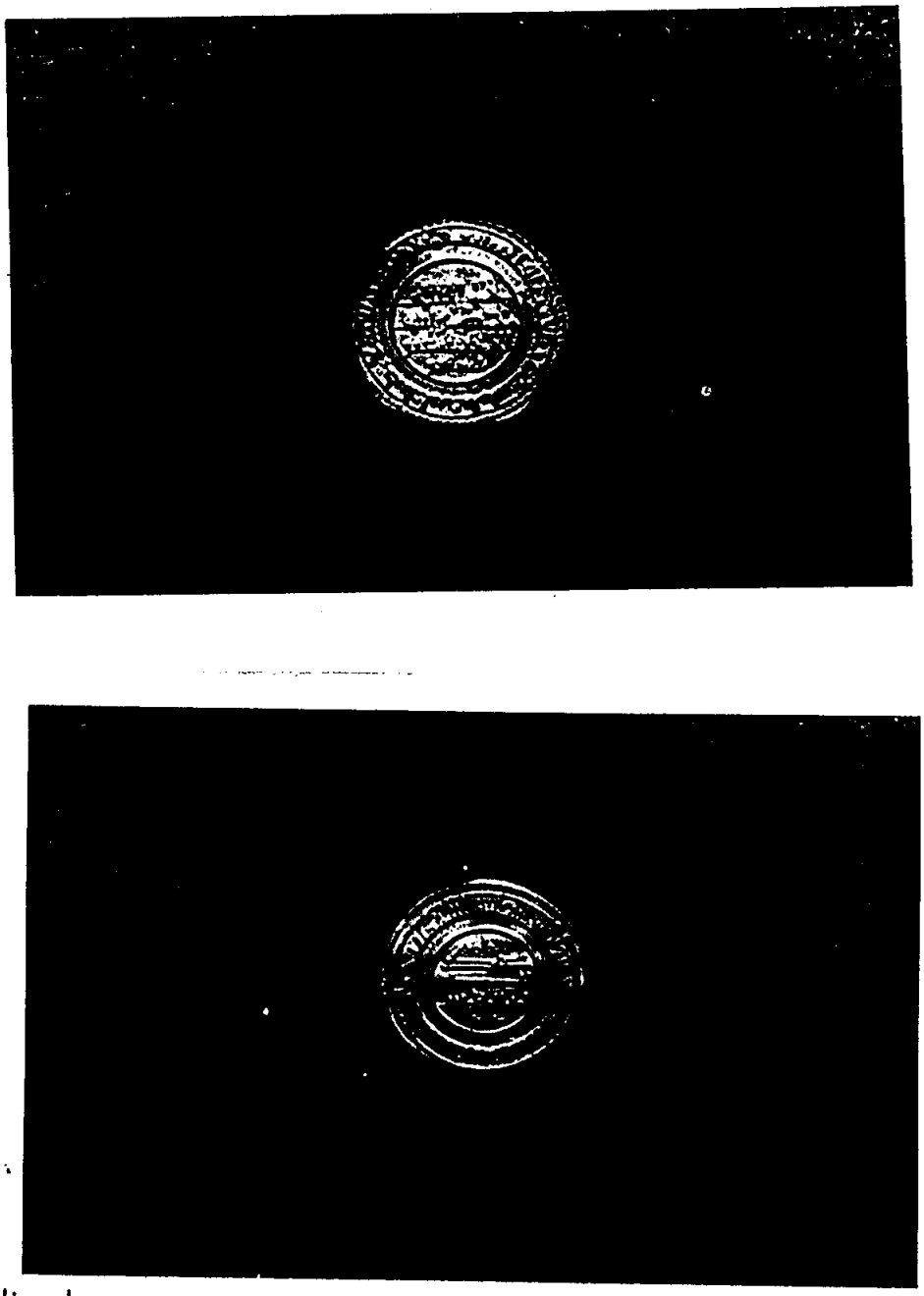

عن دا صالح بن قربة

لوحة 2 : الدينـار المـرابـطـي

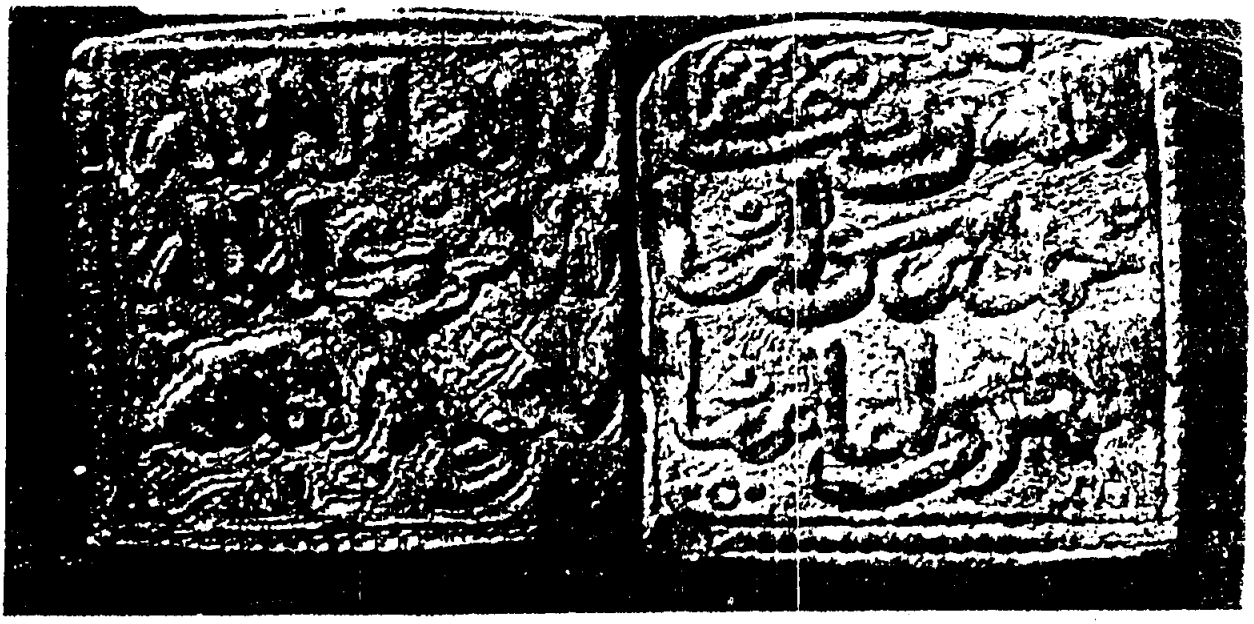

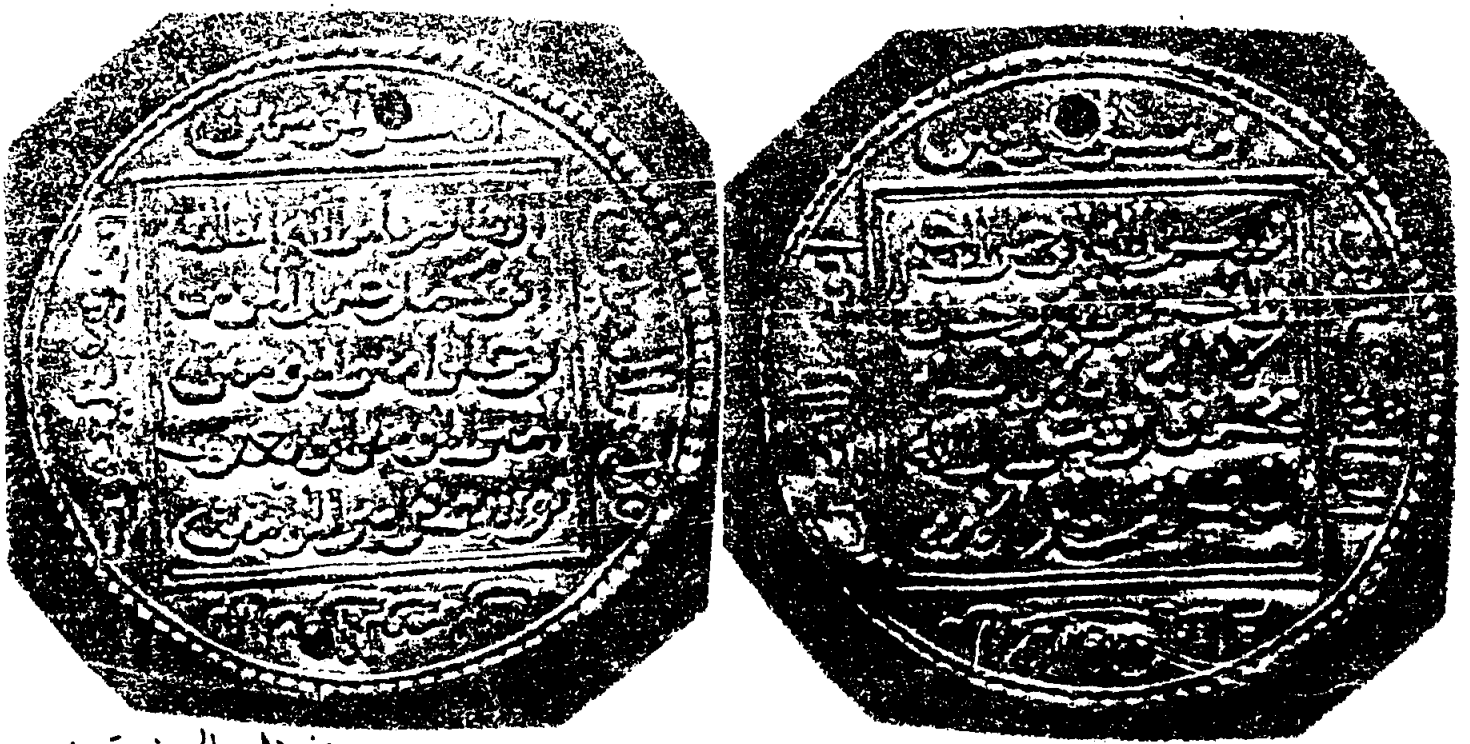

عن د/ صالح بن قربة

لوحة 3 : الدرهم الموحدي

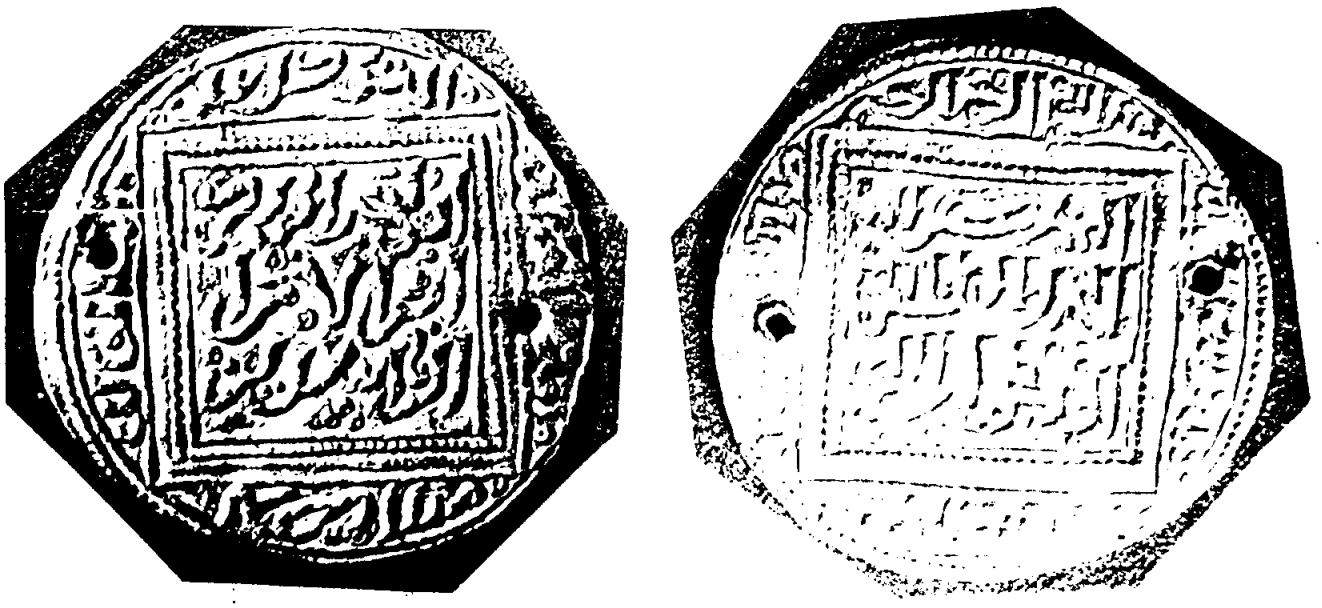

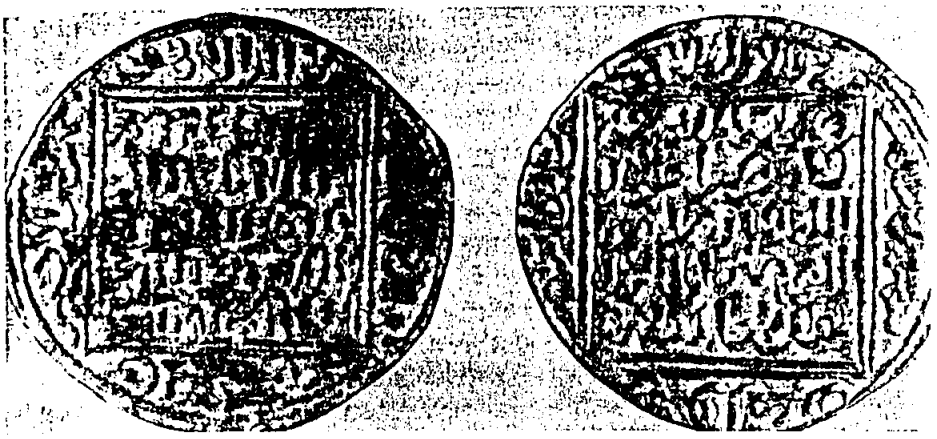

عن د/ صالح بن قربة

لوحة 4 : الدينار الحفصي

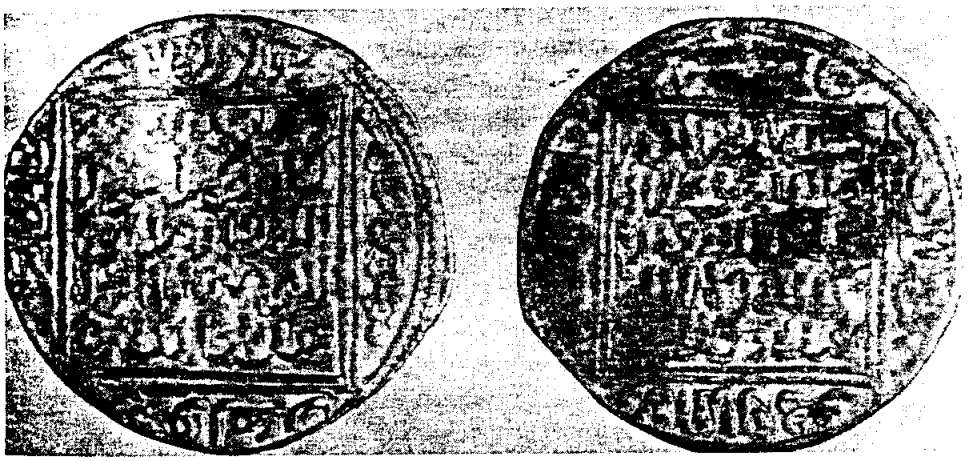

عن د.صالح بن قربة

لوحة 6 : الـدينـار المـريـنـي

المـــــحتوى

المقدمة

نقد المصادر والمراجع

تمهيد 01

الفصل الأول: طبيعة الخلافة الفاطمية 09

تمهيد 09

- التعريف بشخصية عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية 14

- مفهوم الخلافة بالدولة الفاطمية ببلاد المغرب 21

- الألقاب الخلافية وشارات السيادة لدولة الفاطمية 24

خلاصة الفصل 39

الفصل الثاني: أميرية الدولة المرابطية 43

1-قيام الدولة المرابطية 43

2-علاقة المرابطين بالخلافة العباسية 47

3- تطور مفهوم الحكم عند المرابطين 50

نهاية أميرية المرابطين 69

خلاصة الفصل 70

الفصل الثالث: الخلافة الموحدية 72

تمهيد 72

مراحل تاريخ دولة الموحدين 79

تطور مفهوم الخلافة عند الموحدين 81

أ- الألقاب الخلافية 85

ب-شارات الملك 92

ج- خصائص الخلافة الموحدية 100

3- أوجه الشبه والاختلاف بين أميرية المرابطين والخلافة الموحدية 103

سقوط الموحدين

خلاصة الفصل 106

الفصل الرابع: الدولة الحفصية 108

نبذة تاريخية 108

1-النظام السياسي للحفصيين 113
2-تطور مفهوم الحكم عند الحفصيين 122
أ- الألقاب الخلافية 136
ب-البيعة وشارات الملك 142
3-مميزات الدولة الحفصية 144
4-نهاي الدولة 147
الفصل الخامس: الدولة الزيانية 149
تمهيد تاريخي 150
1-مراحل الدولة الزيانية 148
2-طبيعة الحكم عند الزيانيين 150
3-تطور مفهوم الحكم عند الزّيانيين 161
خلاصة الفصل 181
الفصل السادس: الدولة المرينية
تمهيد 182
1-الأدوار التاريخية لقيام دولة بني مرين 185
2-تطور مفهوم الحكم عند المرينيين 189
أ- الألقاب والشارات الخلافية 191
ب-الوظائف السلطنية ومراتبها: 202
خلاصة الفصل 211
نتائج البحث 213
1-ثبت المصادر والمراجع 226
2-الفهارس العامة 235
فهرس الأعلام والقبائل والشعوب 235
فهرس الأمكنة 247